من اليوم

لن تنام حزينا يابني



الخبير التربوى
د. عبد الله محمد عبد المعطى

مكتبة الرمحي أحمد

من اليوم
لن تنام حزينًا يا بني

الخبير التربوي
عبد الله محمد عبد المعطي
Email: atfallna@yahoo.com

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

الإهداء

إلى صُنّاع السعادة في حياة الصغار..

إلى الأم التي توقظ طفلها في الصباح: من فضلك أيقظيه برفق، واجعلي أول شيء يراه في صباحه: ابتسامتك، وأول كلمات يسمعها: اشتقت إليك..

إلى المعلم والمعلمة الذين يتحملون أبناءنا طوال النهار: من فضلكم لا تعيدوا الطفل إلى بيته حزينًا، اجعلوه مشتاقًا لرؤيتكم في اليوم التالي..

إلى الأب الذي يعود إلى بيته بعد العمل متعبًا: من فضلك اجعل لحظة دخولك إلى البيت لحظة سعادة ومرح، فالصغار ينتظرونك على شوق..

إلى الشيخ الذي يحفظ أطفالنا على يديه القرآن: من فضلك اجعل الحفظ جميلًا وكن رفيقًا، واحذر أن يكره الصغير حفظ القرآن على يديك..

إلى شيخ المسجد والمؤذن والعامل حيث يصلي أطفالنا: من فضلكم اجعلوا أبناءنا يحبون الصلاة بالهدايا البسيطة والكلمة الحانية، لقد حضر الطفل إلى المسجد ليسعد بالصلاة في بيت الله فلا تجعله يعود إلى بيته باكيًا محزونًا..

أيها الأب الكريم.. أيتها الأم الحنون: مهما حدث لا تجعل ابنك (ابنتك) ينام حزينًا دامع العين.. فإنك لا تدري هل ستلقاه غدًا أم لا..

وليكن شعارنا جميعا:

«من اليوم.. لن تنام حزينًا يا بني»

المؤلف

المقدمـــة

على مدى عام كامل كنت أسأل الشباب والفتيات (المئات منهم):

ما عدد الأيام التي تنامها حزينًا في الأسبوع؟

وكانت المفاجأة أن نسبة مرتفعة منهم قالوا: أنام حزينًا من ٣ إلى ٤ أيام في الأسبوع، يعني نصف أيامه أو أكثر ينامها حزينًا، ونسبة قليلة جدًّا من هؤلاء قالوا: أنام حزينًا يومًا واحدًا في الأسبوع..

وسألت الكثير من الأطفال والمراهقين: متى تنام حزينًا؟ ما الأشياء التي تمر بها خلال اليوم وقد تجعلك تنام حزينًا؟

فقالوا أشياء مختلفة جمعتها كلها فبلغت حوالي مائة سبب.. نعم مائة سبب قد تجعل ابنك وابنتك ينامون والحزن رفيقهم...

إنه زمن الهموم والأحزان بالنسبة إلى الكبار، فكيف حال أطفالنا في هذا الزمن؟ إن الأحزان تهاجم أبناءنا صباح مساء، وهم في حاجة ماسة ليد أم حانية وابتسامة أب صافية، ولقد كتب أحدهم يقول: أبي الحبيب، ما أنا فيه من أحزان يكفيني، إنني أحزن في الشارع والمدرسة وفي الطريق وبين أصدقائي، ولم يتبقَّ لي غير بيتي، فلا تجعله موطنًا للأحزان... فقط أعطني أملاً في الحياة، أملاً في أن أكون سعيدًا في بيتي حتى وإن هاجمتني الأحزان في كل

مكان، إنني أريد أن أهرب إليك لا أن أهرب منك..

أيها المربي الكريم:

إذا عدت يومًا لبيتك محزونًا فاتجه نحو طفلك وأسعده تزول أحزانك، وإذا غضبت من شريك حياتك فكن سعيدًا بين أبنائك، ولكي تنام سعيدًا اجعل طفلك يبتسم قبل نومه فهذا أحسن مخدر في العالم، لكي تنام هادئًا لا تجعل ابنتك تنام ودموعها على خدها، وإذا أغضبك مديرك في العمل فقل حينها في نفسك: لا يهم ففي بيتي وبين أبنائي سأبتسم عندما أعود، ففي بيتك نعم غالية ومصدر سعادة جميل اسمه الأبناء، لقد قالت يومًا إحدى الزوجات: أنا متزوجة منذ سبعة عشر عاما ولم أنجب، أتمنى حتى نصف ولد أسعد بقبلته واحتضانه، البيت بدون أولاد بارد... باااااااارد...

ولكي تنجح في تلك المهمة، فقد قدمت لك في هذا الكتاب مئات الأفكار العملية الواقعية المبدعة - والسهلة البسيطة - لمحاربة أحزان الأبناء، خلال النهار وفي المساء وساعة النوم... وهدفنا أن يكون البيت واحة سعادة، يشعر فيه الجميع بالطمأنينة، وينسى بين جدرانه أحزانه... ولا ننسى أن أحب عبادة إلى الله سرور تدخله على قلب مسلم، قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا»[(١)] وترضية الصغير عندما يكون حزينًا لها ثواب عظيم، فقد روي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، خَرَجَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَمَعَهُ صَبِيٌّ لَهُ يَلْثِمُهُ

(١) صحيح الترغيب للألباني ح ر ٢٦٢٣.

(يقبله)، فَقَالَ: أَتُحِبُّهُ، يَا عُثْمَانُ؟ فَقَالَ: إِي وَالله يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لأُحِبُّهُ، قَالَ: أَفَلا أَزِيدُكَ لَهُ حُبًّا، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «إِنَّهُ مَنْ تَرَضَّى صَبِيًّا لَهُ صَغِيرًا مِنْ نَسْلِهِ حَتَّى يَرْضَى تَرَضَّاهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَرْضَى»(١)

والنبي ﷺ كان حريصًا على مواساة الصغار في أحزانهم، فعندما مات الطائر الذي كان يلعب به أبو عمير، كان النبي يواسيه في حزنه على لعبته التي فقدها ويلاطفه حتى لا يبكي، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغر(٢) يلعب به، فمات (الطائر)، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره فقال: «يا أبا عمير! ما فعل النغير»(٣)

وعمر بن الخطاب ﷺ أمر بتعديل سياسة الدولة من أجل طفل يبكي، ففي ذات يوم قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم. فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتقى الله تعالى وأحسني إلى صبيك (وهي لم تعرفه)، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه، فقال لها مثل ذلك، ثم عاد مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى إلى أمه، فقال لها: ويحك! إنك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك. قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم (لا يعطي راتبًا من بيت المال إلى للطفل المفطوم فأكبر منه)، قال: وكم عمر ابنك؟ قالت: كذا وكذا شهرًا. فقال: ويحك لا

(١) أخرجه ابن عساكر (٥٢/ ٣٦٣)، جامع المسانيد والمراسيل (١٨٩٨٤)، كنز العمال (٤٥٩٥٨)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (٢/ ٢٠٠) ح (٦٣)، وتذكرة الموضوعات (١/ ١٣٢).
(٢) النغر: طائر يشبه البلبل ملون الريش.
(٣) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٦٩.

تعجليه عن الفطام.

فلما صلى عمر الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه، فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق(١)

ومن روائع حضارتنا أن المسلمين أقاموا وقفا اسمه «وقف الزبادي»، وهو من أطرف المؤسسات الخيرية، وهو مخصص للأولاد الذين يكسرون آنية الزبادي - الفخارية أو الصيني - وهم في طريقهم إلى البيت، فيأتون إلى هذه المؤسسة ليأخذوا (إناء) زبادي جديدة بدلًا من المكسورة مجانًا، ثم يعودوا إلى بيتهم وكأنهم لم يصنعوا شيئًا، كل هذا لإسعاد الصغار وإزالة الحزن عنهم(٢)

والآن: حان دورنا لننضم لقافلة صناع السعادة في حياة الصغار، ولأن الكلام وحده لا يكفي، فإنكم ستجدون في صفحات هذا الكتاب وسائل عملية فيها شفاء أحزان الصغار، فهيا إلى العمل، والله الموفق والمستعان...

عبد الله محمد عبد المعطي

الجمعة ١٥ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ

١١ من نوفمبر ٢٠١١ م

---

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٦

(٢) من روائع حضارتنا ، ص ٩٩ (بتصرف).


دعاء الآباء
مفتاح سعادة الأبناء

دعاء الآباء مفتاح سعادة الأبناء

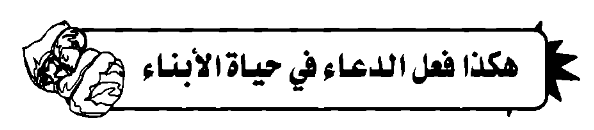


سألت كثيراً من الآباء والأمهات

ما الدعاء الطيب الذي كان يدعوه لك أبوك أو أمك، وتشعر أنه قد تحقق؟.. وما أثره على حياتك اليوم؟

وما الدعاء السيئ الذي كان يدعوه عليك أبوك أو أمك، وتشعر أنه قد تحقق؟.. وما أثره على حياتك اليوم؟

وقد وجدت أن مفتاح سعادة الكثيرين كان في دعاء والديهم الطيب من أجلهم لأن هذه الدعوات قد تحققت، وسبب شقاء الكثيرين كان في دعاء آبائهم أو أمهاتهم عليهم بسوء وقد تحققت تلك الدعوات السيئة.



هكذا فعل الدعاء في حياة الأبناء

بدعواتك يا أمي.. أصبح القلق رفيقي

كنت في أيام طفولتي وشبابي أسعد كثيرًا بالجلوس ليلاً مع أختي التي تصغرني بسنوات، نتحادث معًا ونبتسم ونحكي ونتسامر وربما نضحك، وهذا كان بدوره يزعج أمي جدًّا؛ حيث إنها كانت امرأة عاملة، فكان ضحكنا يزعجها كثيرًا، وعندها تقوم متضايقة جدًا وتدعو علينا قائلة: «ربنا يقلق منامكم كما أزعجتموني»، ظلت أمي لسنوات تفعل معنا ذلك وتدعو علينا بتلك الدعوة، ولأنني ابنتها الكبرى فقد نلت حظًا وافرًا من التأنيب والدعاء، ومرت السنوات وتزوجت ورزقني الله بالأولاد، ويبدو أن الله تعالى قد استجاب دعوة أمي عليّ، فوالله لا أستمتع بالنوم أبدًا، نومي كله قلق واضطراب، أقل صوت بجواري يفزعني، أي شيء يسير بجواري يقلقني، نومي متقطع ولو هناك حشرة صغيرة تسير على السجاد توقظني من نومي، لقد أصبح القلق والاضطراب من سمات حياتي، سامحك الله يا أمي فقد تحول نومي لقلق وحياتي لعدم استقرار بسبب دعائك عليّ، وكان يكفيك أن تنبهيني برفق وتدعو لي بالهداية...

أصابتني دعوة أمي

في فترة مراهقتي كنت شابًّا مغرورًا بالأشكال والمظاهر، وكنت للأسف كثيرًا ما أهاجم أمي وأسخر من شكلها وحجم جسمها، كنت أقول لها: كان الله في عون أبي، لماذا أنت سمينة هكذا؟ إنني محرج من السير بجوارك... وغيرها من الكلمات القاسية، وكانت أمي تحزن كثيرًا بسبب كلماتي وتقول لي: «ربنا يرزقك بزوجة مثل حجمي مرتين».. ودارت الأيام، وبدأت رحلة

البحث عن عروس، وكان شرطي الأول هو: أن تكون نحيفة، وبفضل الله تزوجت امرأة نحيفة وجميلة، لكن بعد ثلاثة أشهر من زواجنا أصبحت ضعف حجم أمي، واحتار الأطباء في تفسير ذلك، لكنني تيقنت حينها أن دعوة أمي قد أصابتني...

ربنا يبعد بلادك يا ابنتي

كنت ابنة مدللة، وكنت كثيرًا ما أتعب أمي وأعارضها، لم تكن تمضي عشر دقائق إلا وأضايقها فيها مرة على الأقل، فكانت تدعو عليّ قائلة: ربنا يبعد بلادك عني ويريحني منك... ومرت الأيام، وتزوجت مهندسًا يعمل في الصحراء، ومن يومها أنتقل معه من موقع صحراوي إلى آخر.

ربنا يحبب فيك خلقه.. والحصى في أرضه



كانت أمي كثيرًا ما تدعو لي قائلة: «ربنا يحبب فيك خلقه، والحصى في أرضه»، دعت لي بهذا الدعاء سنوات وسنوات... والحمد لله ما تعرفت على أحد إلا أحبني، ورأيت حبي في عيونهم ومعاملتهم، حتى من يكرهون أنفسهم أرى حبهم لي ظاهرًا في عيونهم وإن لم يجهروا به، وبكرم الله تعالى ما تركت وظيفة إلا أكرمني الله تعالى بغيرها سريعًا، بل يسارع صاحب العمل الأول بطلب عودتي للعمل عنده، بينما يطلب الثاني بقائي عنده في وظيفتي الجديدة، فكل مكان أتركه يذكرني من فيه بالمحبة، وكل مكان أنزل به أجد المحبة تسبقني بين أهله، وبسبب دعوة أمي ما نزلت منزلاً إلا شعرت فيه بالراحة والطمأنينة وكأنه هو الآخر أحبني، ولم لا وقد قال ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه»[١]

---

(١) رواه البخاري.

وعدت لأبي معتذرا عما مضى

يقول أحد الآباء:

لقد كان أبي يدعو عليّ كثيرًا ويقول: «يا رب ما تنفع في شيء»، ومرت السنوات، وبدأت رحلتي مع سوق العمل، فتقدمت لأكثر من وظيفة ولم أوفق، وبدأت أكثر من مشروع ولم أنجح، فجلست يوما أفكر فوجدت أن دعوت أبي قد تحققت، فأسرعت نحو الله تعالى تائبًا ونحو أبي معتذرًا عما مضى، طالبًا منه الدعاء لي بالتوفيق والنجاح، وبانتظار الخير، والله المستعان.

النبتة الجافة في يدي خضراء

يقول أحد الآباء: كانت أمي تدعو لي كثيرًا قائلة: «ربنا يجعل النبتة الجافة في يدك خضراء »... وبالفعل ما قابلني شيء عسير إلا سهله الله تعالى، وما قابلتني مشكلة صعبة إلا وحلها الله تعالى على يدي، ودائمًا ما يرزقني الله تعالى أفكارًا عملية وحلولاً إبداعية، وأنا اليوم أعمل محاميًا، وكثير من القضايا بفضل الله تعالى تُحل بالصلح قبل الذهاب إلى المحكمة، ولو حدث ووصلت قضية إلى المحكمة فإن الله تعالى يكرمني بحكم في صالحي، ولذلك لا أقبل إلا القضايا العادلة ولا أدافع إلا عن المظلومين...

ربنا يعمي عينك عن الحرام

يقول أحد الآباء:

كان دعاء أمي الذي تدعو لي به كثيرًا: «ربنا يعمي عينك عن الحرام»، كانت تدعو لي به أيام طفولتي وكنت لا أفهم معناه، ومرت الأيام وبدأت أدرك حلاوة دعاء أمي، وبفضل الله تعالى أصبحت فيها بعد شابًّا محبًّا للخير مبتعدًا عن الشر قدر المستطاع، وببركة دعاء أمي أصبحت كارهًا للحرام، ولو حدث ووقعت في معصية أسارع بالتوبة، بل إنني أصبحت لا أحب من

يفعلون الحرام... وبمرور الأيام اكتشفت أن الله تعالى عصمني من الوقوع في كثير من الحرام أيام المراهقة، وأعمى عيني عن كثير من المحرمات مع أنها كانت تحيط بي من كل ناحية... واليوم بعد مرور السنوات أصبح دعاء أمي هو ما أدعو به لأبنائي.

وأخيرا.. استسلمت ورفعت الراية البيضاء

تقول إحدى الأمهات:

لي حكاية طريفة مع الآلات والمعدات، فقد كان أبي مهندس ميكانيكا، وكان يحتفظ في بيتنا بكثير من أدوات النجارة والسباكة والكهرباء وغيرها بالمنزل، فكنت دائمًا أتضايق من تلك الآلات التي تتبعثر هنا وهناك وتجعل تنظيف المكان متعبًا، وبعد أن أنهى والدي فترة خدمته الوظيفية وأصبح على المعاش؛ كنت أخبئ تلك الأدوات بعيدًا عن عين أبي وأخفيها هنا وهناك، وطبعًا كان أبي يبحث عنها جاهدًا، وكان يعثر عليها بصعوبة وعندها يقول: « ربنا يجازي من أخفاها بما يستحق »... ومرت الأيام، ورزقني الله تعالى بزوج محب للأدوات والمعدات، يفعل تمامًا ما كان يفعله أبي، وطبعًا لا أستطيع أن أفعل معه ما كنت ما أفعله مع أبي، فرفعت الراية البيضاء وأعلنت الاستسلام، وأسأل الله أن يغفر لي ما فعلته بك يا أبي.

الراحة الأسرية سراب.. بسبب دعاء الأحباب

كنت مراهقًا متهورًا، وكنت كثيرًا ما أتعب أمي وأغضبها، كانت تصبر وتصبر، وكانت غلظتي معها تزداد يومًا بعد يوم، وبعد أن أحست بالفشل بدأت تدعو عليَّ قائلة: «ربنا ما يريح قلبك» «أتعب الله قلبك» «أتعب الله قلبك كما أتعبت قلبي»... كنت أيامها لا أعير دعاءها اهتمامًا، بل إنني كنت أسخر منها، ومرت الأيام وتزوجت لكنني لم أشعر مع هذه الزوجة بالسعادة،

فتزوجت بالثانية باحثًا عن الراحة الأسرية، لكنني لم أجد ما أبحث عنه من طمأنينة وراحة... وجلست يومًا أفكر في سبب ما يحدث لي، بحثت عن سبب فقداني للراحة الأسرية وافتقادي للسكينة الأسرية؟ وبعد تفكير عميق اكتشفت أن ما يحدث لي هو بسبب دعوة أمي ألا يريح الله تعالى قلبي...

اللهم أصلح ما بين يديه

نحن خمسة إخوة ذكور، وأذكر آخر دعاء دعا لي به والدي قبل وفاته، فقبل أن يغادر الحياة بساعات كنت بجواره؛ فدعا لي قائلاً: سترك الله في الدنيا والآخرة... وأحمد الله تعالى فدائمًا يشملني ستره سبحانه، وبعد وفاة الوالد كنت أقرب إخوتي لأمي، وكانت تستعين بي دائمًا في قضاء حاجيات المنزل، وكلما قابلتها مشكلة نادت عليَّ لتشاورني وتحاورني فيما تفعل، فكنت دائمًا أجتهد في حل المشكلة ومساعدة أمي، وكانت مكافأتي دعوة صادقة من قلب أمي فترفع يديها للسماء وتقول: « اللهم أصلح ما بين يديه »... ولقد استجاب الله تعالى دعوة أمي، فلا شيء في حياتي اسمه مستحيل، وكل مشكلة لها بين يدي حل بإذن الله...

ربنا يرزقك الرضا في الدنيا والآخرة

كان أبي مثالاً للأب الراضي بقضاء الله السعيد باختيار الله له، كنت أرى ذلك الرضا في ابتسامته وفي هدوئه وفي جميع تصرفاته معنا، فقد كان يجلس بين أبنائه على مائدة الطعام مبتسمًا سعيدًا مداعبًا، كنا أحد عشر أخاً وأختاً، ستة ذكور وخمس إناث، ولك أن تتخيل أبي وهو جالس بيننا ويمسك بيديه الطعام القليل ليوزعه علينا وهو مبتسم، لقد كانت ابتسامة الرضا تشبعنا أكثر من الطعام، ولا أنسى أنه كان ربما يوزع علينا جميعًا ثلاث أو أربع بيضات، يقسمها بيننا بالتساوي ويعطي كل واحد نصيبه مع ابتسامة وكلمة رقيقة...

ولأن أبي كان يشعر بقيمة الرضا وذاق حلاوته، فقد كانت دعوته الدائمة لي: « ربنا يريح قلبك ويرزقك الرضا في الدنيا والآخرة »، والنتيجة أنني بفضل الله تعالى سعيد في حياتي وقلبي مرتاح وأرضي بما قسمه الله لي، لدرجة أن كل من يعاملني يشعر أنني من أثرياء الناس، مع أنني متوسط الحال، إن الرضا يجعل القليل كثيرًا والضعيف قويًّا والفقير غنيًّا..



أمي تدعو لي.. وأبي يدعو علي

أمي دائمًا ما تدعو لي قائلة: ربنا يوفقك يا ابنتي ويسهل لك حياتك ويرزقك بابن الحلال.

أبي على النقيض تمامًا يدعو عليَّ قائلاً: الله يوقف حالك ولا تجدين من يتزوجك.

وأظن والله أعلم أن دعاء أمي مستجاب وكذلك دعاء أبي، فدعاء كل منهما يتحقق في حياتي، فكثير من الخطاب يأتون لبيتنا في سهولة ويسر، لكنهم سريعًا ما يغادرون لأسباب تافهة تحول دون إتمام الزواج وتتسبب في وقف الحال...

وفي بعض الأوقات يدعو أبي عليّ قائلاً: ربنا يخرب بيتك... وأحيانًا أقول في نفسي: عندما يكون لي بيت أولاً تأتي مرحلة الخوف من خرابه..

سامحك الله يا أبي فقد كنت سببًا في عذابي... وأسألك يا رب يا كريم أن تلطف بي وترحمني..

ربنا يحرق قلبي عليك يا بني

كان أخي معاندًا جدًّا لأمي قاسيًا في تعامله معها، وذات يوم أساء أدبه جدًا

ودفع أمي فأوقعها على الأرض، وبينما كانت أمي ملقاة على الأرض وبعقل مصدوم وقلب محزون قالت لأخي: «ربنا يحرق قلبي عليك»... وما هي إلا أيام وفارق أخي الحياة، مات سريعًا وفي ظروف عجيبة... واليوم مر على وفاة أخي قرابة أربعين عامًا، ظلت أمي خلالها تبكي أخي بقلب محزون ومحترق، ظلت تفعل ذلك من يوم وفاته وحتى يومنا هذا..

تسعة بيوت وخمسون حفيدًا والحب يجمعهم

نحن تسعة إخوة وأخوات، كان والدي منذ طفولتنا يدعو لنا كثيرًا ويقول: «ربنا يحببكم في بعض يا أولادي»، كان هذا دعاؤه الدائم على مدار أيام وشهور وسنوات، وبمرور الزمن بدأنا نشعر بثمرة دعاء الوالد، بدأنا نشعر أن الله تعالى قد استجاب دعاءه رحمه الله، ونحن الآن أصبحنا أسرة كبيرة، حيث نحن تسعة بيوت وخمسون حفيدًا وحفيدة، والجميع يعيشون في محبة وسعادة بفضل الله تعالى ثم بفضل دعوة أبي، ولنا عادة طيبة نمارسها باستمرار دون انقطاع، فمنذ عشرون عامًا كل رمضان لنا إفطار عند أحدنا لمدة عشرة أيام، ولنا لقاء للعائلة ثابت يحضره الآباء والأحفاد، وبفضل الله لم تحدث بيننا طوال هذه السنوات خصومة ولا فرقة، ستون عامًا تقريبًا عشناها في محبة ومودة، ومن أفكار شباب العائلة الجميلة أن ابني خطب ابنة عمه، وفي يوم عقد القران حضرت العائلة كلها، وكانت المفاجأة أن الشباب قد جهزوا فيلم فيديو جميل عن رحلة العائلة وقصة حياة العروسين منذ الطفولة حتى تزوجا، وبدأ الفيلم بصورة الجد صاحب الدعاء لأبنائه بالمحبة وصورة زوجته الطيبة (الجدة)، ثم الأبناء وكيف تزوجوا، ثم جاء دور العريس كيف كان طفلاً وكيف سار في مراحل عمره، وكذلك زوجته ومراحل طفولتها وشبابها، ثم صورة لهما يوم العرس، كان فيلمًا جميلاً مدعومًا بصور وذكريات العائلة الجميلة، رحمك الله يا أبي، وأسعدك في الجنة كما أسعدنا الله تعالى بسبب دعوتك الصالحة من أجلنا..

ربنا يعطيك على قدر نيتك

كنت دائمًا ما أطيع أمي رغبة في الحصول على منافع مادية، فمثلاً أشتري لها ما تريد حتى تسمح لي باللعب خارج المنزل، وأحضر لها الأشياء لتعطيني مبلغًا من المال أشتري به ما أحب، وهكذا عشت معها بقانون «تبادل المصالح»، لكن أمي كانت تدعو لي كثيرًا عندما أقدم لها معروفًا وتقول: «ربنا يعطيك على قدر نيتك».

في البداية لم أكن أفكر في دعوتها جيدًا، لكنني مع مرور الأعوام فكرت في دعاء أمي، فقلت في نفسي: إذًا لن يعطيني الله شيئًا لأن نيتي فاسدة، ومن يومها تعلمت أن أخلص النية لله تعالى، وأنوي الكثير من أعمال الخير، حتى يعطيني الله تعالى على قدر نيتي الطيبة.

ربنا يحرق قلبك.. يا حبيبي

كنت وأنا صغير عاقًا جدًا لأمي، حتى إنني كنت أقابل دعاءها عليّ بضحك وسخرية قائلاً: هذا الكلام من وراء قلبك وعلى لسانك وفقط، ولن يستجيب الله تعالى دعاءك... وذات يوم أغضبتها جدًا لدرجة لا يتصورها عقل؛ فدعت عليّ قائلة: «ربنايحرق قلبك».. وهذه المرة شعرت أن دعاء أمي مستجاب، لأول مرة يرتعد قلبي من دعاء أمي وأخاف منه، ومرت الأيام وتأكدت مخاوفي، فقد ذهبت للطبيب وأخبرني أنني مريض بمرض من أمراض القلب المعضلة، حدث هذا في شبابي وأنا رياضي من الدرجة الأولى ولم أشكو قبلها من شيء، لقد نزل عليَّ الخبر كالصاعقة، وأدركت حينها أن دعوة أمي قد رفعت إلى السماء مجابة ومقبولة... ومن ساعتها وأنا أحاول أن أكون بارًّا بأمي، وأطلب منها أن تسامحني فيما مضى، وتدعو لي بخير فيما بقي.

الدعاء الجميل.. كان مكافأة أمي

كنت فتاة مطيعة لأمها، وكانت أمي تقابل ذلك بدعوات جميلة، فكانت

أمي كلما قدمت لها خدمة أو ساعدتها في مهنة منزلية أو اشتريت لها شيئًا من خارج البيت؛ تدعو لي ائلة: «ربنا يريح بالك»، كانت هذه مكافأتي على كل عمل أساعد أمي فيه... ومرت الأيام، ورزقني الله تعالى بزوج هو في عيني لا مثيل له، وكلما تراه أمي يحاول إسعادي بكل الطرق ويبحث عن راحتي في كل مكان تقول: هذه دعوتي لك يا ابنتي، إنني أشعر أن ما أنا فيه من راحة وسعادة هو بسبب دعاء أمي الذي تقبله الله تعالى منها، ولذلك فإنني اليوم أخاف أن أدعو على ابنتي فيستجاب دعائي..

سأعاقبك.. بعدم الدعاء لك

كانت أمي ساعة أن تغضب مني بسبب خطأ فعلته؛ تقول لي: «أنا غضبانة منك ولن أدعو الله لك».. كانت هذه أقصى عقوبة تستخدمها معي أمي، قد يظن البعض أن هذه عقوبة سهلة وبسيطة، على العكس من ذلك لقد كانت عقوبة صعبة جدًّا، ولم أشعر بقيمتها إلا بعدما كبرت، فكنت عندما تقول لي أمي: « لن أدعو الله لك ».. أقول لها: إلا الدعاء يا أمي، عاقبيني بشيء آخر..

ربنا يقلّ راحتك

كنت طفلاً مشاغبًا كثير الحركة وافر النشاط، وكانت أمي تغضب مني لقلة هدوئي وبسبب إزعاجي الدائم لها، وكانت تدعو عليَّ وتقول: « ربنا يقل راحتك »... لم أكن حينها أهتم بدعائها، كنت أشعر أنه كلام وفقط، واليوم بعد مرور السنوات ظهرت النتيجة، فأنا رجل أعمال مشغول جدًّا، عندي مصنع ومحلات وغيرها، مشغول فيها ساعات طوالاً، حتى الطعام يأتيني في العمل ساخنًا فأنشغل عنه حتى يبرد، ويتم تسخينه عدة مرات ويبرد، وفي النهاية لا أتناوله لأنني مشغول، حتى وقت الراحة أكون مشغولاً بالتفكير في مشاكل العمل، تقريبًا حصلت على كثير من نعم الحياة: المال، الصحة،

الزوجة، الأولاد... لكنها جميعًا لا طعم لها لأنني لم أتذوق يومًا طعم الراحة، رحمك الله يا أمي، ليتني كنت أعلم أن دعاءك عليَّ قد يُستجاب، لكان حالي معك غير الحال...



ربنا يصلح في يدك كل فاسد

كنت أحب إصلاح الأدوات المنزلية مهما كانت بسيطة، فالكرسي المكسور والسلك الكهربائي المقطوع والمصباح المعطل كلها تناديني، وكانت أمي -رحمها الله- السبب في شغفي بهذه الهواية، أتعلمون كيف ذلك؟ لقد كانت كلما قابلها شيئا يحتاج إلى إصلاح أو مساعدة، كانت تناديني، فأسرع نحوها وأجتهد في فعل ما أرادت، وهذا لأنها كانت تدعو لي بعدما أنجز المهمة التي طلبتها « ربنا يصلح في يدك كل فاسد »، كانت هذه أجمل مكافأة أحصل عليها من أمي، كم كنت أحب أن أعيد إصلاح الشيء الواحد مرات ومرات حتى أسمع الدعاء من أمي أكثر وأكثر... واليوم أصبح لهذا الدعاء أثر كبير في حياتي، فأنا أعمل مستشارًا اجتماعيًا وكثير من المشاكل الصعبة تُحل بفضل الله على يدي، وأصبحت ماهرًا في إصلاح ما فسد في بيتنا من أدوات وآلات..

ابنتي الحبيبة.. ربنا يرزقك الفشل

كنت طفلة مدللة جدًّا، وكنت أحتقر عمل المنزل، وأقول: إن البنت لم تخلق للكنس والطبخ وتربية الأولاد، إنها خلقت لكي تكون سفيرة ووزيرة وطبيبة، وكانت أمي كلما طلبت مني أداء عمل منزلي أقول لها باستعلاء: لماذا أعمل في المنزل مثل الخادمة أنا طبيبة، فكانت أمي ترد علي قائلة: يا رب تفشلي في كل شيء، وعندها كنت أضحك من أمي وأسخر من كلامها ولا أساعدها في شيء...

ومرت الأيام، وجاءت المرحلة الإعدادية (المتوسطة) وأنا على حالي من الكسل واحتقار العمل المنزلي، وفي الصف الثالث الإعدادي حدث ما لم أكن أتوقعه، إذ لم أحصل على مجموع يؤهلني لدخول الثانوية العامة، والتحقت بالدبلوم الفني، وضاعت أمنياتي وتحطمت أحلامي، وبدلاً من أن أكون طبيبة مؤدبة راعية لبيتها وأبنائها وزوجها، أصبحت حاصلة على دبلوم فني وغير ناجحة في حياتي العملية حتى الآن، كما أنني فاشلة في أعمال المنزل... اللهم انتقم ممن لعب في عقلي وأخبرني أن الطبخ والكنس يقلل من شأن الفتاة، ورحمك الله يا أمي، وليتني سمعت كلامك..

ربنا يكسر قلبك يا ابنتي

قبيل حفل زفافي بأيام، كنت أقوم بكي بعض الملابس، وفجأة سقطت المكواة من يدي رغمًا عني، عندها غضبت أمي غضبًا شديدًا وصاحت قائلة: أنت فتاة مهملة، كنت ستكسرين المكواة...ربنا يكسر قلبك... فاعتذرت لأمي وحاولت ترضيتها...

ومرت الأيام، وجاء يوم الزفاف الذي تحلم به كل فتاة طوال عمرها، كنت أحلم بهذا اليوم وكيف سيكون سعيدًا، وفي غمرة الاستعدادات حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد ماتت أعز صديقاتي قبيل حفل الزفاف بساعات، فانكسر قلبي وضاعت منه الفرحة والسعادة، إذ كيف أجهز لحفل الزفاف ورفيقة دربي تجهز لتكون تحت التراب..

هذه هي المرة الوحيدة التي دعت عليّ أمي فيها، فهي - حفظها الله - تدعو لي كثيرًا بكل جميل، وتسأل الله تعالى أن يرزقني كل خير..

* * *

أبي.. لا تحرمني من بركات دعائك

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، و دعوة الوالد لولده»(١)



وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»(٢)

إن دعاء الوالد لولده - له وليس عليه - مقبول بإذن الله لا محالة، طالت مدة الإجابة أو قصرت، ظهرت الحكمة الربانية لنا أم لم تظهر، والدعاء للأبناء يكون قبل الزواج وقبل الحمل وبعد الإنجاب وفي كل مراحل الحياة، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن نجاه الله من النار التي ألقاه قومه فيها، قرر أن يترك قومه ويخرج مهاجرًا إلى الشام، وفي تلك اللحظة أحس أنه وحيد بلا ولد يسانده، فدعا ربه أن يرزقه الولد، لكنه لم يطلب ولدًا وفقط، بل طلب ذرية صالحة... قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٩٩- ١٠١]، لقد كانت نتيجة دعائه أن رزقه الله تعالى بغلام حليم ونبي كريم هو سيدنا إسماعيل عليه السلام.

---

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٣١٢٩.
(٢) صحيح الجامع للألباني ح ر ٣٠٣٢.

وبعد إسماعيل جاءت البشرى بغلام آخر هو إسحاق، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ • إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ • قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥١ – ٥٣].

ولم تقف البشريات عند إسماعيل وإسحاق؛ بل تعدت إلى الحفيد يعقوب، قال تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، ومن تمام البشرى أن هذا الحفيد سيراه جده إبراهيم في حياته..

لقد رزق الله تعالى إبراهيم عليه السلام ابنين وحفيدًا بفضل دعائه الكريم : رب هب لي من الصالحين، لقد دعا إبراهيم ربه أن يرزقه الله بأبناء صالحين فجاءوا في قمة الصلاح والتقوى ومن حملة الرسالة والنبوة..

وبعد أن رزق الله تعالى سيدنا إبراهيم بإسماعيل وإسحاق، كان لا بد من شكر المنعم الوهاب، وهنا قال إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم:٢٦٠]، وبعد الشكر جاء الدعاء الجديد: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم:٤٠]، وكانت النتيجة أبناء لا يصلون وفقط، بل يأمرون أبناءهم «أحفاد إبراهيم» بالصلاة، وهكذا تصبح الذرية كلها مقيمة للصلاة آمرة غيرها بإقامتها، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا • وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، وقال جل شأنه: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا • وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠]، فذرية إبراهيم لم تكن مقيمة للصلاة فحسب، بل هي التي اشتركت معه في بناء البيت الحرام والكعبة المشرفة قبلة الناس في الصلاة، وإنهم رسل جاءوا بالهداية للناس

وأمروهم بالصلاة والزكاة..

وعندما ترك سيدنا إبراهيم زوجته هاجر وابنها إسماعيل في صحراء مكة وحيدين، دعا الله تعالى لهما قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ولعلك تلاحظ أن إسماعيل ابنه الأكبر لا يزال رضيعًا وأبوه يضع إقامة الصلاة هدفًا ودعاء فيقول: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وتمر الأيام ويدعو ربه قائلاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾..

ولم يتوقف دعا سيدنا إبراهيم لأبنائه عند هذا الحد، بل استغل حدث إقامته للكعبة مع ابنه إسماعيل، وأشرك ابنه معه في دعاء ربه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
[البقرة: ١٢٧ – ١٢٩].

وهنا تقول إحدى الأمهات:

إن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبنائه بأن يكونوا من مقيمي الصلاة لهو من إلهام الرسالة وجمال الأبوة، ولهذا الدعاء بركة ممتدة في ذرية إبراهيم من المسلمين، ولقد كانت لي مع هذا الدعاء قصة... عندما بلغت ابنتي الحادية عشرة من عمرها كانت الصلاة ثقيلة جدًا على قلبها، وذات يوم أمرتها أن تقوم لتصلي، وبعد طول حوار وشد وجذب قامت أخيرًا لتصلي، وراقبت ماذا ستصنع، لقد قامت ابنتي ودخلت غرفتها وأخذت سجادة الصلاة فرمتها على

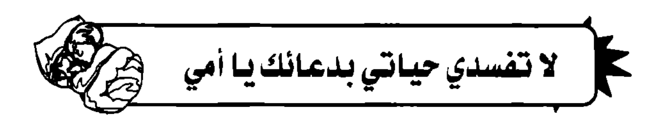
الأرض ولم تصلِّ، بعد قليل خرجت من حجرتها وجاءت عندي، فسألتها: هل صليت؟ فقالت كاذبة: نعم..

وبدون شعور صفعتها بيدي على وجهها، وبكت وبكيت، وخاصمتها وخوّفتها من الله تعالى، لكن هذا كله لم ينفع معها..

وذات يوم زرت صديقة لي وهي امرأة بسيطة ليست كثيرة التدين، وعندما حضرت الصلاة قام أولادها يصلون دون أن تناديهم، فقلت لها: ما شاء الله، كيف يصلي أبناؤك من أنفسهم بدون خصام وتذكير؟ فقالت: ليس عندي شيء أقوله لك غير أني قبل أن أتزوج وأنا أدعو الله تعالى بدعاء سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ وحتى يومنا هذا أدعو بهذا الدعاء..

ومن يومها تعلمت الدرس جيدًا، بدأت في سجودي وقبل التسليم من الصلاة وفي الوتر وفي كل أوقات الإجابة أدعو بهذا الدعاء، حدث هذا منذ سنوات، وابنتي اليوم في المرحلة الثانوية، والله لقد تبدل حالها من أول ما بدأت رحلتي مع هذا الدعاء، واليوم هي التي توقظنا للصلاة وتذكرنا بها، وأصبحت هي وإخوتها – بفضل الله – حريصون على الصلاة..





لا تفسدي حياتي بدعائك يا أمي

روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم».. وفي رواية أبي داود قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، لا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»(١)

إن الدعاء على الأبناء مثل قذف كثير من الحجارة على إنسان، قد يصيبه حجر منها، والدعاء على الأبناء يكون في ساعة الغضب، ومن فضل الله تعالى أنه لا يستجيب كل دعواتنا على أبنائنا، فقط تحدث الإجابة إذا وافق الدعاء ساعة يستجيب الله تعالى فيها الدعاء..

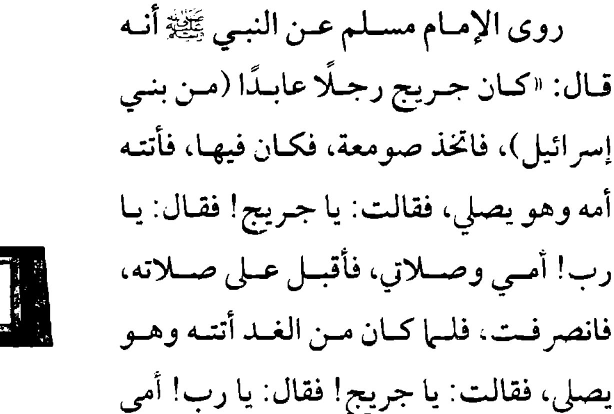
إن دعاء الغضبان على نفسه وأبنائه وماله قد يجاب إذا صادف ساعة إجابة، ومن كرم الله تعالى أنه لا يستجيبه كله وإلا تحولت حياتنا إلى جحيم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، قال العلماء: هو الواصل لأهله وولده وماله إذا غضب عليه، قال: اللهم لا تبارك فيه، اللهم العنه، فلو عجل الله تعالى له ذلك، لأهلك من دعا عليه، فأماته، فهذا يدل على أنه – بفضل الله – لا يستجاب جميع ما يدعو به الغضبان على نفسه وأهله وماله، لكن الخطر يكمن في أنه قد

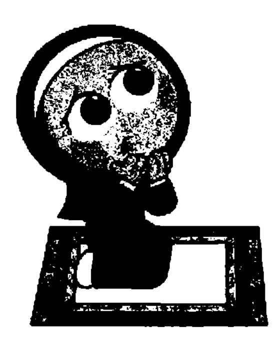
(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ١٥٣٢

يستجاب لموافقته ساعة إجابة[١]

فيا معشر الآباء والأمهات... لا تدعوا دعاء سوء على أنفسكم بالهلاك ومثله، ولا تدعوا على أولادكم بالعمى ونحوه،ولا تدعوا على أموالكم بالهلاك ونحوه، لئلا تصادفوا ساعة إجابة فتستجاب دعوتكم السوء، فتندموا يوم لا ينفع الندم.

أمي..لا تكوني مثل أم جريج





روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «كان جريج رجلًا عابدًا (من بني إسرائيل)، فاتخذ صومعة، فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي، فقالت: يا جريج! فقال: يا رب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج! فقال: يا رب! أمي وصلاتي (يعني هل أستمر في صلاتي أم أجيب أمي)، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي. فقالت: يا جريج! فقال: أي رب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته. فقالت: اللهم! لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات[٢]، (وفي رواية فقالت: اللهم! إن هذا جريج. وهو ابني. وإني كلمته فأبى أن يكلمني. اللهم! فلا تمته حتى تريه المومسات. قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن) فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته. وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها. فقالت: إن شئتم لأفتننّه لكم. قال: فتعرضت له فلم يلتفت

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٧٣

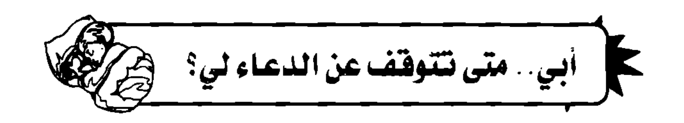
(٢) المومسات جمع مومس، وهي الزانية.

إليها. فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها. فوقع عليها. فحملت. فلما ولدت، قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه. فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي. فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي. فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه (بإصبعه)، وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعي. قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا».

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: قوله: «يا رب أمي وصلاتي» يدل على أن جريجًا ﷺ كان عابدًا، ولم يكن عالمًا، إذ بأدنى فكرة يدرك أن صلاته كانت ندبًا، وإجابة أمه كانت عليه واجبة، فلا تعارض يوجب إشكالاً، فكان يجب عليه تخفيف صلاته أو قطعها وإجابة أمه، سيما وقد تكرر مجيئها إليه، وتشوقها واحتياجها لمكالمته، وهذا كله يدل على تعين إجابته إياها، ألا ترى أنه أغضبها بإعراضه عنها وإقباله على صلاته؟ وعند ذلك دعت عليه، فأجاب الله دعاءها تأديبا له، وإظهارا لكرامتها، والظاهر من هذا الدعاء أن هذه المرأة كانت فاضلة عالمة، ألا ترى كيف تحرزت في دعائها فقالت: «اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات؛ فقالت: حتى ينظر ولم تقل غير ذلك، ولو دعت عليه بالفتنة لفتنته المرأة الغاوية» [(١)]

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٨٩ - ٦٥٦هـ) بتحقيق جماعة من العلماء، (٦/ ٥١٢، ٥١٣)، ولقد قال بعض العلماء: من أقوى الأدلة على وجوب طاعة الوالدين في ترك المندوب قصة جريج، بل فيها ما هو أقوى من ذلك، إذ فيها وجوب الخروج من المندوب بعد الدخول فيه، ولهذا قال الحسن: إن أمرته أمه بالفطر من صيام التطوع أفطر «طاعة الوالدين متى تجب على الأبناء ومتى لا تجب؟» ص ١٨.



أبي.. متى تتوقف عن الدعاء لي؟

إن كنت يا أبي عاصيًا.. فمتى تقطع الأمل في هدايتي وتتوقف عن الدعاء لي؟

إن كنت فاشلاً من وجهة نظرك.. فهل تتوقف عن الدعاء لي بالنجاح والتوفيق؟

إن كنت مريضًا.. فمتى تيأس من شفائي وتتوقف عن الدعاء لي؟

إن قصة سيدنا نوح ﷺ مع ابنه تحمل في طياتها الإجابة، إذ بدأ سيدنا نوح يدعو ربه أن يهدي ابنه وذلك مع بداية دعوته للناس إلى الإيمان، لكن ابنه ضلّ وكفر، ولم يتوقف سيدنا نوح عن الدعاء لابنه الكافر بالهداية، ظل يدعو ابنه إلى الإيمان ويدعو الله تعالى أن يهدي ابنه طوال تسعمائة وخمسين سنة هي المدة التي قضاها سيدنا نوح مع قومه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، لكن السنوات مرت بلا إجابة، فلم يتحقق ما تمناه الأب لابنه الحبيب، وجاء الطوفان ونصح الأب المكلوم ابنه أن يرجع عن ضلاله ويركب مع المؤمنين، لكن ابن نوح أضاع فرصة النجاة الأخيرة وعاند قائلاً: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.. وحالت الأمواج بين نوح وابنه فكان من المغرقين، وعلى ظهر سفينة النجاة لم يقطع نوح الأمل في أن يغفر الله تعالى لابنه ويرده إليه مسلمًا، ورفع الأب المحزون يديه بالدعاء قائلاً: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾، فكان الرد الإلهي: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي

أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾.. هنا فقط توقف نوح عن الدعاء لابنه، توقف لما قال له الله تعالى توقف إنه ليس من أهلك فلا تسألن ما ليس لك به علم، وهنا فقط توقف نوح ﷺ عن الدعاء لابنه..

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤١ – ٤٨].

إذًا فالأب العاقل الحكيم الموصول القلب بربه تعالى؛ لا يتوقف عن الدعاء لابنه -العاق أو العاصي أو المريض أو الفاشل – مهما حدث ومهما طال الزمن، يتوقف فقط عندما يقول له الله تعالى: إنه ليس من أهلك فلا تسألن ما ليس لك به علم، وهذا بفضل الله تعالى لن يحدث أبدًا، إذًا فالأمل في أبنائنا موجود، ومن قطع الرجاء في ربه أساء في حق مولاه، فهو سبحانه عند حسن ظن عبده به، فمن ظن خيرًا فله الخير، ومن ظن شرًّا فله الشر..

جدٌ لا يقنط.. وحفيدٌ لا ييأس

تزوج سيدنا إبراهيم وعاش سنين بلا ولد، وجاءته الرسالة وألقاه قومه

في النار وليس لديه ولد، ودعا ربه سنوات رب هب لي من الصالحين، ومرت سنوات وسنوات لم يتوقف خلالها قلبه عن الرجاء ولا لسانه عن الدعاء، وبعد زمان طويل جاءته الملائكة بالبشرى، بشروه بغلام عليم هو سيدنا إسحاق، فرد عليهم إبراهيم متعجبًا: قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون؟ هل هذه البشرى منكم أم من الله تعالى؟ فردت الملائكة: بشرناك بالحق، فهي بشرى ربانية نحن فقط مبلغوها لك، ثم نصحت الملائكة سيدنا إبراهيم بأدب ورفق: فلا تكن من القانطين، وهنا أعلن إبراهيم ﷺ أنه لم يكن يومًا من القانطين..

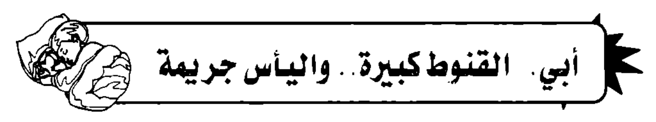
قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۞ قَالُواْ لاَ توجل إنا نبشرك بِغُلامٍ عَلِيمٍ ۞ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۞ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۞ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحِجر: ٥١ - ٥٦].

ولأن إبراهيم كان صابرًا محتسبًا، ولم ييأس يومًا من رحمة ربه، فقد بشره الله تعالى بغلام حليم هو إسماعيل تلده السيدة هاجر؛ قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، ثم بشرته الملائكة بغلام عليم هو إسحاق تلده السيدة سارة؛ قال جل شأنه: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، ثم جاءت البشرى بالحفيد «يعقوب بن إسحاق» الذي سيراه إبراهيم في حياته ويضمه يومًا إلى صدره قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

ومرت السنوات وتحققت البشرى واحدة تلو الأخرى، ولأنهم ذرية بعضها من بعض، فقد ورث الحفيد - يعقوب - من جده إبراهيم عدم اليأس، ويظهر هذا واضحًا جليًا في قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن

يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٧٨]، هذه الكلمات قالها يعقوب عليه السلام بعد أن فقد ابنه يوسف وانقطعت أخباره لعشرات السنين[١]، وبعد أن فقد اثنين آخرين من أبنائه، وبعد أن فقد بصره وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم «مملوء بالحزن لكنه يكظمه ولا يشكوه لأحد»؛ في هذه اللحظات الحالكة قال لأبنائه: ﴿لاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ﴾، لا تيأسوا من رحمة الله وفرجه، وكانت النهاية كما حكاها القرآن الكريم ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف ٩٩، ١٠٠].

(١) واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه، فقيل أقل مدة قالوا أن غابها يوسف عن أبيه هي ١٨ أو ٢٠ سنة، وبعض العلماء رأى أنه غاب عن أبيه ٤٠ أو ٨٠ سنة. انظر: تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤١٢.



عن ابن عبّاس - رضي اللهّ عنهما - أنّه قال: إنّ رجلاً قال: يا رسول اللهّ، ما الكبائر؟ قال: «الشّرك باللهّ، والإياس من روح اللهّ، والقنوط من رحمة اللهّ»(١)

قال ابن الأثير: القنوط هو أشدّ اليأس من الشّيء..

وقيل هو: استبعاد الفرج واليأس منه(٢)

وقال العزّ بن عبد السّلام: القنوط استصغار لسعة رحمة اللهّ ﷻ ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده تعالى(٣)

فيا أبي الحبيب.. ويا أمي الغالية...

لا تيأسوا يومًا من صلاح حالي... ولا تقنطوا من تحسن أحوالي...

واعلموا أن أشد لحظات احتياجي لحبكم؛ هي عندما تظنون أنني لا أستحق ذلك.. وأكثر لحظات أحتاج فيها إلى دعائكم، هي عندما تظنون أن الوقت قد فات..

لو دعوت الله تعالى لمدة ٢٠ سنة أن يصلح ابنك أو أن يشفيه، ولم يتحقق لك ذلك؛ فهل تيأس وتتوقف عن الدعاء؟

قال مُورّق العجلي - رحمه الله - وهو من التابعين: «لقد سألت الله حاجة منذ عشرين سنة، فما شفعني فيها، وما سئمت من الدعاء».(٤)

(١) رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون، مجمع الزوائد للهيثمي (١/ ١٠٤)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ر ٢٠٥١

(٢) فتح المجيد، ص٣٥٩

(٣) شجرة المعارف والأحوال - العز بن عبد السلام، ص ١٢٠

(٤) نزهة الفضلاء ص ٣٩٨.


وداعًا للمحاضرات
وأهلاً بالأفكار العملية

وداعًا للمحاضرات وأهلاً بالأفكار العمليـــة





كثير من الآباء يتعامل مع أخطاء أبنائه بنظام المحاضرات والمواعظ المطوّلة، وكلما كان الخطأ كبيرًا كانت المحاضرة طويلة، فعلى سبيل المثال عندما يعود ابنه إلى المنزل متأخرًا يستقبله بوابل من التوبيخ والتعنيف، ويوقفه أمامه طويلاً ليسمعه ما لذ وطاب من النصائح المدعومة بالشتائم - إن وُجدت، فتسمع الأب يقول: قلت لك مائة مرة لا تتأخر، وكثيرًا ما وعدتني لكنك كاذب، فأنت لست برجل، ويظل الأب يدندن حول تلك العبارات ويكررها ويعيدها قائلاً لابنه: أفهمت؟ ولا يصرف ابنه من أمامه إلا بعد أن يجف حلقه (حلق الأب) ويشعر بالصداع فيصرخ في ابنه: اغرب عن وجهي فقد أتعبتني... ويتكرر الأمر نفسه مع أخطاء أبنائنا، فكل خطأ له محاضرة معروفة ومحفوظة، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما نتيجة هذه المحاضرات؟

أبناؤنا أصناف أربعة

كل رسالة لها مرسل ومستقبل، ولكي نعرف نتيجة محاضراتنا كآباء وأمهات (مرسل الرسالة)، كان لا بد وأن نعرف ردود أفعال الأبناء (مستقبل

الرسالة) تجاهها ومدى تجاوبهم معها، ولذلك فقد سألت مئات الأبناء والبنات: بماذا تشعر عندما يوقفك أبوك (أو أمك) أمامه ليسمعك محاضرة نتيجة لخطأ ارتكبته؟ وكيف تتصرف حينها؟

ولقد أبدع الأبناء والبنات في الإجابات، وانقسموا إلى أربعة أصناف:

١- الأبناء الطيبون

هذا الصنف من الأبناء يقولون: نحن نعترف أننا مخطئون، لكن آباءنا وأمهاتنا يطيلون الحوار، ويكررون الكلام في المرة الواحدة مرات ومرات، حتى نمل ونتعب، ليتهم يخبروننا في كلمات معدودة، وساعتها ستكون استجابتنا أفضل، ولأن الوقفة أمامهم أثناء المحاضرات تطول، فإننا نستخدم وسائل الدفاع السلمية، ونتلقى كلماتهم في الأذن اليمين ونخرجها سالمة من اليسار دون أن تمر على العقل، كل هذا ونحن نتمنى أن نسمع كلمة السر وهي: اغرب عن وجهي، فمن أول كلمة «تعال يا ولد» وحتى كلمة «اغرب عن وجهي».. لا نفهم شيئًا، فليت آباءنا يريحون أنفسهم ويريحون أبناءهم بالوعظ اللطيف المختصر.

٢- الأبناء المبدعون

قال بعضهم: هل تتخيل أن ما يقوله آباؤنا وأمهاتنا هو ما يصل إلى عقولنا، بالطبع لا، فما يصلنا هو ترجمة شيطانية لكل ما يقولون، فالشيطان يمسك آذاننا ويترجم ما يقوله آباؤنا ترجمة فورية، فعندما يقول أبي مثلاً: يا غبي يا حيوان، يقول الشيطان: هل هذا هو الأب الذي يصلي؟ لينصح نفسه أولاً... وعندما يقول أبي: أخوك الصغير لم يخطئ مثله وما فعل هذا الخطأ أبدًا ليتك مثله، تكون الترجمة الشيطانية: هل ترى كيف يحب أخاك أكثر منك، لا بد وأنك لست ابنه، لو كنت ابنه ما قسا عليك بتلك الطريقة، ابحث عن أبيك

سيكون أرحم من هذا الرجل... لذلك أخرج من المحاضرة أسوأ مما دخلت..

٣- الأبناء المتمردون

يقول أحدهم: أنا لست بصغير وأبي يرفض أن يحترم عقلي ولا يعترف أن لي رأيًا في حياتي، وأنا صبور نوعًا ما فأرفض الاشتباك مع أبي أو أمي في جولات المحاضرات والمواعظ الأولى، لذلك فإنني أستخدم أسلحة دفاعية أخرى (وعندي منها الكثير)، وسلاحي الذي أستخدمه الآن هو: أرح المتكلم وكن أنت الفاعل، بمعنى آخر: دعهم يتحدثون واجعل الموقف يمر بسلام وافعل ما يحلو لك... فعندما يقول لي أبي مثلاً: مائة مرة قلت لك لا تمشي مع فلان، أرد عليه قائلاً: لن أمشي معه ثانية، وفي داخله: أقسم أنني سأمشي معه عنادًا فيك..

٤- الأبناء المواجهون

هذا الصنف من الأبناء غالبًا ما يكون في مرحلة المراهقة، وهو طبعًا لا يتحمل الكثير من النقد واللوم والتوبيخ والتعنيف، تقول إحدى الفتيات: لا أستطيع الصمت أبدًا، فأمام ضغط أمي وكلماتها القاسية ونقدها الدائم، أجدني مضطرة للرد عليها حتى أخفف من التوتر النفسي الشديد الذي أشعر به، ومع أن ردي على أمي يزيد الأمر سوءًا... كثيرًا ما أحاول الصمت، وينجح الأمر في الدقيقة الأولى والثانية وقد يمتد للخامسة، لكن مع وابل الطلقات من الكلمات الجارحة أجد نفسي – لا إراديًا – أرد على أمي، كثيرًا ما أحاول الانسحاب لكن أمي لا تسمح لي بالانصراف وتعتبر ذلك قلة ذوق، لقد حاولت أن أتجنب التصادم، إلا أنني لا أرى أن هناك حلا أفضل من المواجهة لإنهاء تلك المحاضرات المهينة والقاسية والمملة.

إن الواقع يثبت: أن المحاضرات لا تصنع بيتا سعيدًا، فهي ترهق الآباء

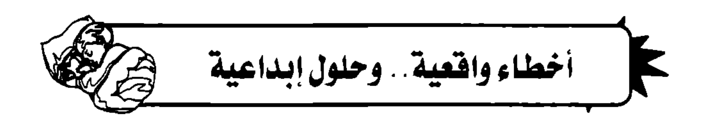
وتتعب الأبناء، والمحاضرات كذلك لا تقوّم سلوكًا معوجًا، بل ربما تزيده سوءًا، فما الحل؟

كم تقضي من الوقت تؤنب ابنك وتعاتبه وهو واقف بين يديك؟ ١٠ دقائق، ربع ساعة، أم نصف ساعة؟ وما هي النتيجة؟ هل يتحسن سلوك المخطئ بتكرار المحاضرات؟ ما رأيك أن تستغل الوقت الذي كنت ستعطي ابنك خلاله محاضرة بأن تستغله بإحدى طريقتين:

الطريقة الأولى: اجلس في هذا الوقت - وحدك أو مع شريك حياتك - وفكِّر في طريقة تساعد ابنك على تصحيح خطئه، وصلِّ ركعتين واسأل الله تعالى التوفيق.

الطريقة الثانية: اجلس مع ابنك المخطئ وقل له: كنت سألقي عليك محاضرة فيها من العتاب والتوبيخ لمدة نصف ساعة تقريبًا، ما رأيك بدلاً من ذلك هيا نجلس معًا ونفكر في طريقة حل تلك المشكلة، ونبحث عن طريقة تساعدك على التوقف عن هذا الخطأ الذي تقع فيه.

* * *



أخطاء واقعية.. وحلول إبداعية

وفيما يلي نقدم نماذج لآباء ومربين نجحوا في علاج أخطاء أبنائهم بطرق إبداعية؛ ولم يحتاجوا إلى المحاضرات والصياح والشتائم والتوبيخ..

ابن يسرق.. وأم حكيمة

كنت أيام طفولتي أعيش في منطقة صحراوية وأرعى أغنامنا، كنت أخرج في أول النهار ولا أعود إلا مع الغروب، كانت حالتنا الاقتصادية ضعيفة، وكنت أرى أمي تقاوم مرضها وتدارى عني أوجاعها، وذات يوم كنت أرعى الغنم بجوار أحد المساجد، فدخلت إليه فوجدت به صندوقًا (صندوق التبرعات) ففتحته وإذا أنا أجد فيه ثلاثة قروش ونصفًا، فرحت حينها فرحًا شديدًا وأخذت النقود وانصرفت، وفي المساء عدت إلى أمي حاملاً معي بعض الحلوى من الهريسة وغيرها، لقد أشفقت على حال أمي المريضة فأردت أن أهون عليها ما تلاقي، وبالفعل فرحت أمي بالحلوى وأكلتها معي وشكرتني كثيرًا، لكنها فجأة سألتني: من أين حصلت على النقود؟

لم أتعود الكذب عليها، فأخبرتها بالحقيقة...

فما كان من أمي إلا أن ربتت على كتفي، وشكرتني على شعوري بها ورغبتي في إسعادها، لكنها قالت: هديتك مقبولة، لكننا لا نأكل الحرام لأنه يضر ولا ينفع... ثم

قالت: خذ الخمسة قروش هذه فضعها في الصندوق غدًا (الخمسة قروش هذه كانت ربما كل ما نملك)..

في اليوم التالي ذهبت فوضعت القروش الخمسة في الصندوق، وعدت آخر النهار لأمي وأخبرتها بما فعلت، فابتسمت وقالت: بارك الله فيك، وحتى يتوب الله عليك لا بد وأن تصوم الاثنين والخميس.

ولأن أمي تعاملت معي برفق ومحبة؛ سارعت نحو صيام الاثنين والخميس، والعجيب أنني مازلت أفعل هذا حتى يومنا هذا... مرّ على هذا الحدث أكثر من أربعين عامًا، لم أترك خلالها صيام الاثنين والخميس، وأنا اليوم أعمل مهندسًا وحالتي المادية جيدة جدًا، لكنني لا أنسى موقف أمي مع القروش الثلاثة والنصف، ولا أترك صيام الاثنين والخميس... رحمك الله يا أمي..

إذا شتمتك يا أبي.. ماذا ستفعل؟

إذا حدث – لا قدر الله – وشتمك طفلك، فماذا ستفعل؟

هذا ليس افتراضًا خياليًّا، فهذا الموقف يحكيه لنا أحد الآباء قائلاً:

كنا في شهر رمضان وابني ذو الثماني سنوات قد أتم بفضل الله صيام يوم طويل جدًّا (١٣ ساعة تقريبًا) وحار جدًّا (٤٠ درجة تقريبًا)، وبعد أدائه لصلاة التراويح خرج ليلعب مع أصحابه بالشارع، ولما حان موعد دخوله للمنزل الذي اتفقنا عليه مسبقًا، خرجت مناديًا عليه، فقال: أريد وقتًا أطول فالكل يلعب في الشارع ولم يدخل أحد، فصممت على رأيي وقلت: أنت رجل وهذا اتفاقنا، فدخل ابني إلى البيت متضايقًا حزينًا معلنًا أنه يريد وقتًا زيادة لعب، وطبعًا رفضت وقلت له: هذا هو الموعد الذي اتفقنا عليه..

دخل ابني واغتسل وغيَّر ملابسه المتسخة، ثم جاء وجلس بجواري وعلامات الإجهاد بادية عليه، ثم قال: كنت أريد أن ألعب أكثر، فقلت: لقد لعبت كثيرًا، ومع سماعه لصوت الأولاد الباقين يلعبون في الشارع زاد غضبه وقال: أريد أن أنزل، ولم يكتف بالقول بل مد يده وضربني على رجلي، فقلت له: كل ضربه ستضربني إياها سأضربك بمثلها (وضربته على رجله)، وتوالت الضربات بيننا (حوالي ٩٠ ضربة هنا وهناك)، وفي النهاية بلغ من طفلي الحبيب التعب مبلغه، وخرج عن شعوره وصاح بي قائلاً: يا ابن الكاااااالب، يا ابن الكاااااااااااالب، يا ابني الكاااااااااالب...

لقد صدمتني شتيمته، هذه أول مرة يفعلها معي، فما كان مني أن سكت مبديًا حزني وقمت من أمامه، قمت حتى لا أضربه بجنون، وجلست حزينًا أفكر ماذا سأفعل؟

جاء طفلي وأخذ يقبل يدي ورأسي معتذرًا باكيًا، لكنني رددت عليه بالصمت، ومع كثرة اعتذاره قلت له: ما فعلته معي كبير جدًّا، ولا بد وأن أجد طريقة لتصحح بها خطأك..

بعد عشر دقائق تقريبًا قلت له: هناك حل... لا بد وأن تستغفر الله تعالى كل يوم ١٠٠ مرة حتى أسامحك، ووافق وهو سعيد لأنه وجد حلاً يعيد الصفاء فيما بيننا، وجاء الجدول كالتالي:

جدول استغفار... ابني الحبيب

مسلسل	اليوم والتاريخ	عدد مرات الاستغفار	ملاحظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			

وقمت مع ابني بتصميم الجدول على الكمبيوتر، وعلقناه في غرفته، وكنت يوميًّا أتابعه في الاستغفار فيقوم به أمامي، وبعدها يقوم هو بكتابة الرقم (١٠٠) في عدد مرات الاستغفار، وأنا أضع علامة (صح) في خانة الملاحظات، وبعد انتهاء الأسبوع كتبت له أسفل الجدول... الآن سامحتك يا حبيبي... وبهذه الطريقة تعلم طفلي الحبيب كيف يتعامل مع ذنوبه وأخطائه، وطبق سنّة النبي ﷺ في الاستغفار اليومي، روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، وفي رواية مسلم: قال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»..

وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: الغيبة تخرق الصوم، والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل... وقيل لبعض السلف: كيف أنت في دينك؟ قال: أمزقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار[١]

في وقت فراغك يا بني.. ازرع ريحانًا

كثيرًا ما ننصح أبناءنا أن يكفوا عن مشاهدة أفلام الكرتون والجلوس على الإنترنت، محاضرات ونصائح وتوبيخ وتهكم وصراخ... وكلها تعطي نتائج وقتية وفقط، إنها مسكنات تزيد الحال سوءًا، إن علاج سوء استغلال أبنائنا لأوقات الفراغ لا يكون بكلمات فارغة ونصائح جوفاء مثل: استغل وقتك، هذا سيفسد عقلك... إن العلاج يكمن في كلمات قالها أحد الأطفال لوالده عندما قال: أوجد لي بديلاً يسعدني..

إنني أذكر حينما اشتكت لي إحدى الأمهات أن طفلتها الصغيرة متعلقة كثيرًا بأفلام الكرتون، ولا تنام إلا بعدما تتعب من مشاهدة الكثير منها، فقلت لها: إننا من يقذف بأبنائنا للتلفزيون حتى نستريح منهم قليلاً، ولو وجدت طفلتك بديلاً ممتعًا ما جلست أمام التلفزيون، إن مشاهدة التلفزيون هي أقل متعة ممكنة يحصل عليها أبناؤنا، والدليل أنك - كأب أو أم - قد تمسك بالريموت كنترول وتقلب بين القنوات ٣٠٠ أو ٤٠٠ قناة ولا تجد شيئًا تسعدك مشاهدته، ولو وجد أطفالنا شيئًا آخر يمتعهم فإنهم سيتركون المشاهدة مهما كان ما تعرضه القنوات... ونصحت هذه الأم بأن تبدأ في حكاية قبل النوم مع ابنتها، وتحدد للحدوتة موعدًا معينًا هو قبل موعد نوم الطفلة:

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢ / ٣٧٨.

بربع أو نصف ساعة، وتسمح للطفلة بطلب حدوتة ثانية وفقط، وهكذا يطيب وقت النوم ويكون سعيدًا.. ولقد جربت الأم النصيحة لمدة ١٥ يومًا، والنتيجة جاءت على لسان الأم حينما قالت: لم أكن أتخيل أن تطفئ ابنتي التلفزيون بنفسها لأن موعد الحدوتة الجميلة قد حان.

لقد ركبت يومًا مع أحد المهندسين وعمره يقارب الستين عامًا، وما إن ركبت في السيارة حتى شممت رائحة جميلة، إنها رائحة الريحان، في البداية حسبته معطر جو جديد، لكنني بعد لحظات رأيت أعواد الريحان موضوعة في مكان جميل عن يمين مقعد السائق، فقلت له: جميل أن تضع أعواد الريحان في سيارتك، فقال مبتسمًا: إنها تظل خضراء ويانعة لمدة أسبوع على الأقل، وهذا لأنني أضعها في ماء وسكر داخل زجاجة جميلة معدة لذلك، وأقوم بتغيير الماء يوميًّا.. ونزع الزجاجة من موضعها المتناسق جدًّا وأراني فكرته الجميلة... هنا قلت له: ما سبب حبك للريحان هكذا؟ فقال: سأحكي لك الحكاية:

كنت طفلاً كثير الحركة نشيط ومشاغب، كنت أقضي وقت فراغي في مضايقة إخوتي الصغار، وكانت أمي تلاحظ ذلك، ورغم أن أمي كانت أميّة لا تقرأ ولا تكتب، إلا أنها كانت تفكر جيدًا في حل مشكلتي دون أن تخبرني، وبعد طول عناء وجدت الفكرة، كانت هناك مساحة بسيطة بجوار بيتنا يمكن زراعتها، فقالت لي أمي: عندي فكرة لا ينفذها إلا ابن واحد من أبنائي وربما تكون أنت، وهذا سر بيننا، الريحان نبات جميل يمكنك أن تزرعه بجوار بيتنا ليعطينا رائحة طيبة، وأبوك سيعرف أنك من فعل ذلك وكذلك جيراننا وكل من زارنا... فوافقت سريعًا، وأحضرت أمي لي بذور الريحان وزرعتها، وبدأت أمي تلفت انتباه الجميع إلى روعة ما زرعت، ومن يومها بدأت رحلة الحب بيني وبين الريحان، كان هذا منذ أكثر من أربعين عامًا، والعجيب أنني

عندما دخلت الجيش أخذت بذور الريحان معي وزرعتها أمام خيمتي؛ فكان قائد الكتيبة لا يحب الجلوس إلا في خيمتي، وعندما سافرت إلى العراق أخذت بذور الريحان معي وزرعتها هناك، واليوم ها هو الريحان حول بيتي وفي مكتبي وداخل سيارتي... رحمك الله يا أمي فقد أحسنت اختيار نشاط أحبه ويملأ حياتي عطرًا وسعادة.

كيف أحب ابنتي السارقة؟

كنا ذات يوم في زيارة قريبة لنا، وبعد أن رجعنا إلى بيتنا فوجئت بأن ابنتي ذات الثمانية أعوام قد سرقت إحدى اللعب من عند ابنة قريبتنا وجاءت به معها إلى المنزل، عندها حزنت بشدة إذ كيف تكون ابنتي سارقة، وهممت أن أضربها وأوبخها، لكنني تمالكت أعصابي وقلت لها:

أنت بنت مسلمة وجميلة كيف تفعلين ذلك؟ فبكت طفلتي واكتفت بالصمت...

فقلت لها: تعالي نفكر كيف نصحح هذا الخطأ؟ ما هو الحل من وجهة نظرك؟

قالت ابنتي ودموعها على خدها: لا تحزني يا أمي، غدًا سأذهب لبيت خالتي فلانة، وأعتذر لها وأعيد لهم ما أخذته من بيتها..

فوافقتها على هذه الفكرة ووعدتها أن أذهب معها، لقد كنت سعيدة أن ابنتي هي من اقترحت الحل ووجدت الطريقة التي تصحح به خطأها...

في اليوم التالي ذهبنا إلى بيت قريبتنا، وأعدنا لهم تلك اللعبة، واعتذرت ابنتي لها، ولقد تفهمت قريبتنا الموقف وتعاملت مع ابنتي برفق وأدب وذكاء، وشكرتها على حسن أمانتها...

لم ينتهِ الموقف عند هذا الحد، فلقد سعدت جدًا بتصرف طفلتي الحبيبة، وأثنيت عليها كثيرًا أنها صححت خطأها وردت اللعبة لأصحابها قبل فضيحة يوم القيامة بين الناس جميعًا.. ولقد كافأتها على حسن تصرفها بأن اشتريت لها لعبة مثلها تمامًا، لكنها جديدة وجميلة وحلال..

خطوات التعامل مع الطفل السارق

- تعرف وتكتشف الأمر.
- تكظم غيظك وتظهر خطورة الفعل وأن طفلك جيد لا يفعل ذلك.
- تفكر مع طفلك في تصحيح ذلك الخطأ.
- تتركه يقترح الحل.. أو تقترح أنت عليه وهو يوافق.
- تساعده في تنفيذ الفكرة وإعادة ما أخذ إلى أصحابه (مع ضرورة ستر طفلك قدر المستطاع؛ فإن أخذ شيئًا من محل مثلاً، فيمكنك أن تذهب معه وتجعله يضعه دون أن يشعر صاحب المحل حتى لا يفضح أمره).
- تكافئه على حسن تصرفه وعلى تصحيحه لخطئه (يستحسن مكافأة من جنس ما سرق).

ضع نقطة من العسل في ختام كلامك المرّ

لو حدث يومًا واضطررت لأن تعطي ابنك محاضرة قاسية توبخه فيها على خطأ وقع فيه، فلا تجعله ينصرف من أمامك إلا بعد أن ترضيه بكلمات طيبة، تعبر فيها عن حبك له وتأسفك لخروجك عن مشاعرك، وربما طلب

السماح منه لو أخطأت في حقه خطأ كبيرًا.. فاختم حوارك (القاسي والعنيف) بضمة المخطئ إلى صدرك، أو بقبلة، أو بكلمة حانية مثل: أنا خائف عليك فسامحنى إن كنت قد صرخت في وجهك... كم أنا حزين لأنني قلت لك هذا الكلام... ما كنت أتمنى أن أصرخ في وجهك لأنني أحبك... أنا متأكد أنك ستكون أفضل... أعلم أن بداخلك إنسانًا جميلاً... كلنا نخطئ وأنا ألتمس لك عذرًا وأنا على يقين أنك ستتعلم من خطئك..

تقول إحدى الأمهات:

ابني عمره ست سنوات، أضربه أحيانًا وليس كثيرًا، لكني بعد كل مرة أضربه فيها لا بد وأن أرضيه بعدة أشياء، فأقول له بعد أن أضربه: كم أنا حزينة لأنني ضربتك ولذلك فإنني أستغفر الله كثيرًا بعدما أضربك، وهذا لأن النبي نهى عن ضرب الأطفال أمثالك، وأطلب منه أن يذكرني في المرة القادمة عندما أضربه بأن يقول لي: «يا ماما، لا تغضبي ولك الجنة»، وأخبره كثيرًا أنني أحبه... بهذه الطريقة لا يترك ضربي له أي أثر سلبي في نفسه بإذن الله.

وتذكر أيها المربي الكريم...

أن الكلمة القاسية – التي تقولها لابنك في العتاب – لها كلمة طيبة مرادفة تؤدي المعنى نفسه...

والمثل الصيني يقول: نقطة من العسل (كلمة طيبة) تصيد من الذباب ما لا يصيد برميل من العلقم (كلماتك القاسية)..

سرقت من أبي.. فكان علاجه مبدعا

عندما كنت صغيرة مددت يدي يومًا في جيب أبي وسرقت منه نقودًا، في أول مرة لم يشعر بما حدث، ولما تكررت مني السرقة شعر أبي بما يحدث، فحاول جاهدًا أن يعرف من هو السارق بين أبنائه، فجمعنا بين يديه وأخبرنا

أن هناك سارقًا بيننا يمد يده في جيبه، وطبعًا أنكر الجميع وأنا معهم، وكانت المفاجأة أن أبي قابل إنكار الجميع بأن قال: أنا أصدقكم، لكن هناك من يمد يده في جيبي وقد تأكدت من ذلك أكثر من مرة، لكنني الآن لا أريد أن أعرف من هو حتى لا أحرجه، فأنا أحبكم جميعًا وأخاف أن يكون واحدًا منكم محرجًا بين إخوته ووالديه. إن أبي لم يشغل نفسه بمعرفة السارق، لكنه أوصل له رسالة تقول: «أنا أحبك، فكيف يسرق المحب من حبيبه، أنا أخاف على صورتك وأحترم مشاعرك، فكيف لا تحترم مشاعري ولا تخاف على نقودي ونقودك؟».

بعد أيام جمعنا أبي مرة أخرى، فشككت أنه قد عرف من السارق، لكني فوجئت بأبي يقول: لقد فكرت كثيرًا في حال من يمد يده في جيبي، وقررت أن أزيد له المصروف حتى لا يرتكب ذنب السرقة مرة أخرى، ولأنني لا أحب أن أعرف من هو حتى لا تهتز صورته أمامي؛ فقد قررت أن أزيد المصرف لكم جميعا».

لقد قرر أبي أن يزيد مصروف أبنائه جميعًا، وأنا طبعًا من بينهم، وكان لهذا التصرف النبيل أثر كبير في قلبي، فكم اختليت بنفسي وبكيت على ما فعلته بهذا الأب الكريم، كيف أمد يدي في جيبه فيرد هو على هذا الفعل الآثم بمكافأتي مع إخوتي؟ كيف أسرق ممن يحرص على ستري ولم يحرص على فضيحتي؟

لذلك قررت من يومها ألا أخون أبي ثانية، وعزمت على ألا أعود للسرقة منه ثانية، بل إنني فكرت كثيرًا في كيفية رد ما أخذته منه، كان هذا بسبب عطفه وحكمته ورفقه بنا، وأظن أنه لو فعل العكس وصمم على معرفة السارق وضربنا وأهاننا فربما كان قد صنع مني لصًّا دون أن يشعر..

افتح قلب ابنك قبل أن تصبّ فيه النصيحة

أحضر كوب ماء فارغًا وضعه على المنضدة مقلوبًا، ثم أحضر زجاجة ماء وحاول أن تصب الماء في الكوب المقلوب، ماذا سيحدث؟ لا بد وأن الماء سيقع خارج الكوب.. الآن اشتم الكوب: امتلئ يا غبي، اسمع الكلام لماذا لا تفهم، قلت لك امتلئ... ومهما صرخت وشتمت ماذا سيحدث؟ الكوب مقلوب ومغلق ولن تدخله قطرة ماء... إن من يراك وأنت تحاول إدخال الماء في الكوب المقلوب والمغلق سيقول عنك: إنك مجنون وربما غبي.. والآن اطلب من طفلك الصغير أن يساعدك في ملء الكوب بالماء، ماذا سيفعل.. سيأتي مبتسمًا ويقلب الكوب ويعدله ليصير مفتوحًا، ثم يضع فيه الماء..



هذا إذًا هو الدرس، فالكوب المغلق هو قلب ابنك المغلق من ناحيتك لأسباب متعددة أنت تدرك بعضها وهو يدرك البعض الآخر ولم يقله لك، ومهما حاولت جاهدًا إدخال النصائح إلى قلبه فلن تفلح، فما دام القلب مغلقًا فلا بد من فتحه أولاً، تفتح قلب ابنك وابنتك بالحب بالتسامح بالتحاور بالتغافر بالهدية بالكلمة الطيبة بالتربيت على الكتف.. وهنا يستقبل ابنك بحب ما تقوله له برفق..

إن أبناءنا في استقبال نصائحنا – كآباء وأمهات – أربعة أصناف:

١ – صنف يستقبل النصيحة الطيبة بقلبه، وهذا أعظمهم استفادة مما نقوله له، تأمل قول الله تعالى عن نزول القرآن على النبي ﷺ، لقد أخبرنا أن القرآن نزل على القلب وهو أفضل مكان لاستقبال كلام الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ • نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء ١٩٢ – ١٩٤].

٢- صنف من الأبناء يستقبل النصيحة الطيبة بعقله، فيفكر فيها كثيرًا قبل أن يقتنع بها، وربما يقارن ما قلته بما في عقله، ويفضل في النهاية ما في عقله هو ويحب أن يجرب ما يراه هو صوابًا لا ما تراه أنت صوابًا، وهذا يحتاج إلى حوار هادئ وإقناع جميل.

٣- صنف من أبنائنا يتلقى نصائحنا بلسانه، مع أنه من المفروض أن يتلقاه بأذنه ليمرّ على عقله أو قلبه، ومن يتلقى الكلام بلسانه تراه يجادل ويرد الكلمة بمثلها فتصبح معركة لسان مع لسان، ومن يتلقى الكلام بلسانه ينقله لغيره دون أن يمرره على عقله وقبل أن يمس قلبه، ولقد قال الله تعالى معاتبًا من تناقل خبر الافتراء على السيدة عائشة – رضي الله عنها – بلسانه وهو قول باطل: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

٤- صنف من الأبناء لا تتجاوز نصيحتك أذنه أصلاً، فعليها قفل كبير، وفي قلبه نية ألا يسمعك، وعقله يفكر في غيرك، فهذا هو صاحب القلب المغلق، يحتاج أولاً إلى فتح قلبه بالحب، ومخاطبة عقله بالحكمة، حتى تسمح أذنه لكلامك بالمرور إلى قلبه...

هل كوب الماء يحتاج إلى محاضرة؟

عندما تطلب من ابنك كوبًا من الماء ماذا يحدث؟

إنك قد تقول له: «لو سمحت، أحضر لي

كوبًا من الماء»... هذا لو كنت من الآباء الذين يقولون: «لو سمحت»؛ فبعضهم يرى أن استئذان ابنه الصغير شيء لا ينبغي، إذ كيف أقول لابني: لو سمحت، كل ما عليّ فعله هو أن أطلب منه ما أريد بأي طريقة وعليه فقط أن ينفذ... هناك قاعدة تربوية اسمها«التبادلية التربوية»، وهي تعني أن ما تقوله لطفلك ستسمعه منه يومًا، وما تفعله معه سيفعله معك يومًا، فلو كنت تقول لابنك: «أنت»، فستسمعه عندما يحاورك يقول لك: «أنت»، أما إن قلت له: «حضرتك»، فسيقول لك: «حضرتك»... ومن هنا إن أردت أن تسمع من طفلك كلمة لو سمحت فقلها أنت له أولاً، وإن أردت أن يطرق هو باب حجرتك؛ فاطرق أنت أولاً باب حجرته..

نعود لكوب الماء، الآن ماذا يفعل ابنك أو ابنتك عندما تطلب منه كوبًا من الماء؟

الطريقة الأولى: قد يستجيب ابنك مسرعًا ويحضر لك ما تريد قائلاً: تفضل.. وهذا فضل من الله تعالى ورحمة، فاشكر ابنك حتى يستمر في هذا السلوك الطيب، يقول أحد الآباء: عندما يحضر لي ابني كوبًا من الماء، وأكون عطشان وأريد كوبًا آخر أقول له: لا أدري من أين تحضر هذا الماء الجميل؟ وأقدم له الكوب مبتسمًا، هنا لا يملك إلا أن يحضر لي كوبًا آخر... فأشكره قائلاً: الماء من يدك له طعم جميل... وتقول إحدى الأمهات: كنت وأنا بنت صغيرة أحب أن أحضر الماء لأمي عندما تطلبه، أتدرون لماذا؟ لأنني كنت كلما أحضرت لها الماء تدعو لي قائلة:« ربنا يسقيك من ماء زمزم»... ومرت الأيام، وذهبت للحج والعمرة أكثر من مرة بعدما تزوجت مباشرة، وشربت من ماء زمزم مرات ومرات..

الطريقة الثانية: قد يصدر عن ابنك واحدة من ردود الأفعال التالية

عندما تطلب منه كوبًا من الماء:

* يقول: عندما أنهي فيلم الكرتون هذا أو في الفاصل الإعلاني.

* يتضجر ويقول: لماذا أنا فكل إخوتي يستطيعون فعل ذلك؟

قد يقول لأخته: ناولي أباك الماء، فإن قلت له: لقد قلت لك أنت، فسيرد عليك بمنتهى الهدوء قائلاً: أليس من المهم أن يأتيك الماء؟

* يتظاهر بأنه لم يسمعك.

* يقول: «حاضر سأفعل، ويظل جالسًا يمارس ما يفعله»، ثم: «حاضر سأفعل»، ثم: «حاضر سأفعل»، بلا نتيجة عملية.

أمام هذه الردود والأفعال المستفزة، ماذا يفعل الآباء والأمهات؟ في كثير من البيوت يكون رد فعل الأب غاضبًا جدًّا، إذ كيف يطلب من ابنه كوبًا من الماء ولا يسرع لنجدته، وهنا ينفعل الأب وينطلق ليعطي ابنه محاضرة طويلة يقول فيها: أنت ولد لم يتربَّ جيدًا، أنا طوال النهار في الحر والشمس من أجلك (والأم تقول طوال النهار في المطبخ واقفة وأنت لا تشعر بي)، أنت ولد عاق، كوب من الماء لا تحضره، غدًا ماذا ستفعل بنا، لقد كنت مع والدي إذا نظر إلى كوب الماء أجري أنا مسرعًا لأحضره له قبل أن يطلبه، أنتم جيل فاشل... انهض وقم أحضر الماء يا.. كذا وكذا وكذا..

هنا يقوم الابن متضايقًا، ويذهب متثاقلاً نحو المطبخ ليحضر كوبًا غير نظيف، ويملؤه بماء ساخن من الصنبور (في الصيف)، ثم يأتي متضايقًا ويناولك إياه، وبينما أنت تشرب يقول هو في سره: يا رب يختنق بالماء (يشرق) ويموت ونتخلص منه...

إنني أعرف إحدى الأمهات، تترجى أبناءها أن يصنعوا لها كوبًا من

الشاي، فتقول: لو سمحتم، من أجل ماما المتعبة، أنا أمكم حبيبتكم... فقط كوب من الشاي... وطبعًا الأولاد يهملون طلبها ونادرًا ما يستجيبون لها، فما كان من هذه الأم إلا أن أسمت كوب الشاي الذي تطلبه من أبنائها وبناتها بـ« كوب الذل»، لأنها تتذلل لهم كثيرًا حتى يصنعون لها كوبًا من الشاي.

الحل البديل - لهذا التعب والصياح - بسيط وعملي وفيه قدوة نبوية جميلة، روى الإمام أحمد في مسنده عن السيدة عائشة- رضي الله تعالى - قالت: كنت على بعير صعب، فجعلت أضربه، فقال لي رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(١)

وروى الإمام مسلم أن النبي قالﷺ: يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق. ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. وما لا يعطي على ما سواه، ومعنى: ويعطي على الرفق يعني من المثوبات والمآرب أو من الأغراض والمطالب(٢)

فما لم تأخذه – أيها الأب وأيها المعلم - من ابنك بالعنف والمحاضرات القاسية، يمكنك أن تحصل عليه بالرفق والرحمة، كيف ذلك؟ عندما تطلب من ابنك كوبًا من الماء، ويرد عليك ردًّا مستفزًّا معناه الرفض، تمالك أعصابك، وتظاهر أنك حزين، وقل لمن تكاسل في تلبية طلبك: شكرًا، أنا حزين، سأحضره لنفسي... وتوجه نحو الماء... وانتظر النتيجة..

يقول أحد الآباء:

عدت يومًا من العمل متعبًا، وجلست بين أبنائي الثلاثة على الطعام، وأحسست فجأة بالعطش، فقلت لواحد منهم: هات كوبًا من الماء... فقال: أليس في البيت أحد غيري ليقم أحد غيري... فما كان مني إلا أن قلت له: شكرًا،

(١) مسند أحمد٦/ ١٧١ ح ر ٢٤٣٧٥.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣١٧١.

سأحضره أنا بنفسي، وهممت أن أقوم من مكاني لأحضر لنفسي الماء... لكن مفاجأة جميلة أقعدتني مكاني، لقد قام أبنائي الثلاثة (بمن فيهم صاحب الرد القاسي) كل واحد منهم يريد أن يحضر لي الماء قبل أخيه... لقد جربت العنف كثيرًا معهم قبل ذلك ولم ينفع، وها هي الرحمة تؤتي ثمارها بفضل الله تعالى...

ولأن أبناءنا شخصيات مختلفة، فترى هذه الفكرة تنجح مع بعضهم، إذ سيكون رد فعلك هذا أشد من الضرب بكثير، لكن هناك فئة من أبنائنا سيتظاهر بأن الأمر لا يعنيه، ويتركك تحضر لنفسك ما تريد فماذا تفعل معه؟... مع هذا الصنف من الأبناء الذين لا يظهرون تأثرهم بسرعة، بعد أن تذهب وتشرب تظاهر بأنك حزين، وتوقف عن مخاطبته لفترة دون أن تقول له: إنك غاضب منه، فقط أهمله وتحدث مع غيره... بل يمكنك بعد فترة إن كان طفلاً صغيرًا وطلب منك شيئا، أن تقول له: لقد قلت لي مرة «لا».. ولك عندي مرة «لا»... ويمكنك أن تقول له: لقد قلت لي «لا» عندما طلبت منك كوب الماء، ولن أكون سيئًا مثلك سأقول لك «نعم» وأعطيك ما تريد، وأنا على يقين أنك في المرة القادمة لن تقول لا..

وهناك صنف آخر من الأبناء سيتعاملون مع هذا الموقف بما يشبه «عدم الإحساس»، فعندما تقول له: شكرًا سأحضر الماء بنفسي، سيرد عليك قائلاً: هاتِ لي كوبًا من الماء معك... تمالك أعصابك فأنت قد ذبحته من الداخل لكنه يقاوم ولا يحب أن يظهر منكسرًا... اذهب وأحضر له كوبًا من الماء، وقدمه له وأنت تمثل الحزن وقل له: تفضل، هل هو بارد أم ساخن؟ هل تريد حضرتك – من أبيك – شيئًا آخر؟... ثم اصمت فترة ولا تكلمه... واترك لشريك حياتك فرصة التدخل وحث هذا الابن على الاعتذار منك، وعندما يأتيك معتذرًا انتهز الفرصة وخاطبه مترفقًا عن سبب رفضه، وقل له: أنا على

يقين أنك في المرة القادمة لن تخذلني...

عندما يكون الطفل جالسًا أمام التلفزيون يشاهد برنامجه المفضل بحب واستمتاع، ثم تنادي عليه أمه قائلة: ناولني كوب الماء، هنا قد يحدث أمران:

أولاً: قد لا يرد عليها الطفل، وهنا تظن به الأم سوءًا وترى أنه يسمعها ولا يعيرها اهتمامًا ولا يحترمها، فتصيح فيه وتصرخ وتتوعد، والطفل في هذه الحالة مظلوم لأن الدراسات تقول: إن الطفل عندما يشاهد أفلام الكرتون التي يحبها يكون في حالة استغراق تام فيما يشاهده، وفي عزلة عما هو حوله، فعندما تسأله أمه قائلة: لم لا ترد علي ويقول: لم أسمعك، فهو صادق...

ثانيًا: قد تقول للطفل الجالس أمام التلفزيون: قم وأحضر لي كوبًا من الماء، فيرد بمنتهى اللطف قائلاً: حاضر... وتنتظر أنت الماء فلا يأتي، وفي النهاية تصرخ في ابنك: ألم أطلب منك كوبًا من الماء؟ فيرد بكل هدوء: والله لم تقل لي شيئًا... فهل هو كذاب؟ الواقع إن الدراسات تقول: إن الطفل أمام التلفزيون يكون عقله الواعي كله مستغرقًا في المشاهدة، وإن خاطبه أحدهم فإنه يرد عليه بعقله اللاواعي، ويتجاوب به لكنه لا يكون منتبهًا لما يقول... وهنا يقول أحد الآباء: لقد حدث هذا معي تمامًا، فذات يوم دخلت بيتي عائدًا من عملي، فوجدت ابني جالسًا أمام التلفزيون، فقلت له: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام، وبعد أن غيرت ملابسي عدت وجلست بجوار طفلي الحبيب، بعد دقائق انتهى الكرتون الذي يشاهده، فنظر نحوي وقال مستغربًا: بابا، متى رجعت من العمل؟! إنه لم يشعر بعودتي مع أنه رد عليَّ السلام..

والحلّ حتى يسمعك طفلك أثناء مشاهدته للتلفاز، هو أن تذهب نحوه، وتربت على كتفه، وتجعله ينظر نحوك، حتى ينتبه، وهنا فقط اعلم أنه بدأ يسمعك...

ومن الأخطاء الشائعة في حق أطفالنا، أننا نريدهم أن يتركوا ما يشاهدونه فورًا وحالاً ليفعلوا ما نطلبه منهم، من منا يستطيع ترك ما يحب فورًا لأن أحدًا يريده؟ نعم هذا سلوك جميل وقدرة على ضبط النفس وكبح شهواتها، لكن تعليمها للطفل يحتاج إلى تدريب وتدرج، وعندما يفعل يحتاج إلى مدح وتشجيع، أو نقول له: سنحكي لك بعد عودتك الجزء الذي فاتك من البرنامج، أو نقبل بفكرة الحل الوسط، وهي أن يفعل ما نريد في الفاصل الإعلاني أو بعد انتهاء ما يشاهده، إن الأطفال لا يتحركون بالريموت كنترول، ومن يفعل منهم ذلك فهو في خطر عظيم، لأن الريموت الذي نحرك الطفل به قد يقع يومًا في يد أحد الأشرار، الذي سيحرك بدوره ابننا كيفما شاء..


أحزان الأبناء
كيف يصنعها الآباء ؟

أحزان الأبناء كيف يصنعها الآباء؟



يقول أحد الآباء:

كان أبي وأمي – بدون قصد – يشعرونني بأنني فاشل وغبي ولا أحسن التصرف، كنت أسمعهم كثيرًا يقولون: أنت غبي، لا ترسلوه لهذا العمل فهو لا يحسن التصرف، درجاتك الدراسية سيئة أنت فاشل، أنت لا تحسن فعل شيء، أنت كالحمار يجب أن يسحبك أحدهم... والآن وقد بلغت من العمر أربعين عامًا، إلا أنني مازلت أخشى الدخول في كثير من الأعمال – حتى وإن كانت بسيطة – خشية الإخفاق والفشل... اللهم اغفر لهما فقد تسببا في حزني وضياع الثقة مني.

إننا نحرم أبناءنا من السعادة بكلمات سلبية نقولها لهم؛ ونزرع بذور الحزن في قلوبهم بأيدينا، ونرويها – يوميًّا – بلساننا عن طريق تلك العبارات القاسية القاتلة، ومع الأيام تكبر شجرة الأحزان في القلوب، فتتحطم ثقة أبنائنا بأنفسهم، ويقل إقبالهم على الحياة، ويزيد صمتهم، وتقل ابتسامتهم، وفي النهاية يسكن اليأس والهم والغم حياتهم... وفيما يلي الدليل...

أمي لماذا تفسدين حياتي ؟



هناك أم تقارن بين اثنتين من بناتها، إحداهما ناعمة الشعر والأخرى شعرها مجعد صعب التمشيط، هذه الأم كلما جلست لتمشط شعر ابنتها (المجعد) أبدت غضبها وأظهرت تعبها وقالت لابنتها المسكينة معاتبة: شعرك متعب جدًّا في تمشيطه، شعر أختك أسهل منه بكثير ولا يتعبني هكذا... وتكرر الأم هذه الكلمات في كل مرة تمشط فيها شعر ابنتها، وتسمع البنت المسكينة هذه الكلمات التي تسمم مشاعرها على مدار سنوات، والنتيجة معروفة، حزن يخيم على هذه البنت المسكينة، شعور بأن أمها لا تحبها وتحب أختها أكثر منها، رغبة في حلق شعرها سبب كراهية الأم، شعور بأنه لن يعجب بي أحد، ليتني لم أولد... كل هذه رسائل سلبية تغرس في قلب البنت المسكينة، وترويها الأم يومًا بعد يوم، حتى تكبر وتلقي بظلالها الحزينة على حياة البنت، فلا تشعر بجمال الحياة، وتقل رغبتها في النجاح، وتبغض أختها صاحبة الشعر الناعم، وربما تدخل في حالة من القلق والاكتئاب...

كلمات جارتي.. حرمت ابنتي من السعادة شهورًا

تقول إحدى الأمهات:

بعض النساء من الجارات والأقارب والجيران (فاعلات الخير) عندما يأتين لزيارتنا؛ تأتي بناتي لتسلم عليهن وترحب بهن، وهنا تسمع البنات ما يفسد بينهم

من علاقات، فإحدى الجارات ذات مرة عندما سلمت على بناتي قالت: «بناتك كلهن بشرتهن بيضاء، لكن هذه البنت سمراء البشرة، من تشبه من عائلتكم، إنها لا تشبه أحدكم».. لا أعرف لم نطقت بتلك الكلمات القاتلة، فقد ظللت بعدها بشهور أعالج الآثار النفسية السيئة التي لحقت بابنتي (قمحية البشرة) بسبب تلك الكلمات القاسية، فقد أصبحت ابنتي بعد سماعها لتلك الكلمات شاردة الذهن، كانت تسأل كثيرًا: متى ولدت يا أمي؟ من أشبه من عائلتنا؟ هل حقًّا تحبيني؟... ولعل هناك أسئلة كثيرة أخرى كانت تدور في ذهنها لم تفصح عنها مثل: هل أنا حقًّا ابنتكم؟ هل وجدتموني على باب المسجد؟ هل أنا أقل أخواتي جمالاً؟ هل تغضب أمي من شكلي ولا تفتخر بي أمام صديقاتها؟... والنتيجة أشهر من العلاج النفسي والتأهيل التربوي لابنتي المسكينة (صاحبة البشرة القمحية)، وأخيرًا استعادة ثقتها بنفسها وتحسنت علاقتها بأخواتها (صاحبات البشرة شبه البيضاء)، وكم تعبنا لنكتشف مناطق تميزها ونظهرها وننميها، حتى مرت المحنة بسلام... سامحك الله يا جارتي، فكم أتعبتنا كلماتك القاسية لشهور، لكن المحنة جعلتنا نشعر بروعة قول النبي ﷺ: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»[1] ورحم الله العقلاء عندما قالوا: كم من كلام منعنا هذا الحديث أن نقوله..

هل أنا ابنك.. أم ابن بوّاب العمارة؟

يقول احد الآباء:

ابني الكبير اكتفى بالدراسة عند مرحلة الثانوية العامة، وبعدها تخصص في تسويق الكتب وبيعها، وانتقل في العمل من شركة إلى أخرى، حتى استقر به

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٣٢٢٠، وصحيح الترمذي ح ر ٢٣١٩.

الحال في إحدى الشركات في إحدى دول الخليج.

أما أخوه الذي يصغره بأعوام فقد أتم دراسته الجامعية، وتم تعيينه معيدًا في إحدى الجامعات المرموقة وذلك في تخصصه النادر جدًا (الفيزياء النووية)، وهو مجتهد جدًّا في دراسته وموفق جدًّا في حياته، ومحبوب جدًّا ممن حوله.

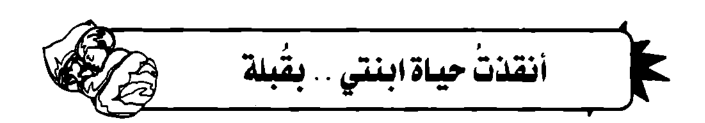
والسؤال الآن: أي الأخوين يغار من أخيه؟ من أتم دراسته ويدرس في تخصص نادر في جامعة مرموقة؟ أم أخوه الذي لم يكمل دراسته الجامعية ويعمل هنا وهناك باحثًا عن موطئ قدم في بحر الحياة؟

الحقيقة أن الناجح دراسيًّا هو من يغار وبشدة من أخيه المتوسط دراسيًّا، والقصة تبدأ منذ عشرين سنة مضت، فذات يوم كنت آخذهما معي لشراء بعض الحاجيات من الشارع، فقابلني أحد الأصدقاء وسلم عليَّ وعلى الصغيرين، ورحب بابني الأكبر وقال: ما شاء الله ابنك الكبير هذا، ورحب به وقبل رأسه، ثم سلم على ابني الثاني بفتور ولا مبالاة وقال: هذا أكيد ابن محمد البواب (لأن ابني هذا قمحي اللون ومحمد البواب من صعيد مصر وقمحي اللون)... وحاولت تصحيح الوضع، وأخبرته أنه ابني الحبيب وأنه يتميز بكذا وكذا، وحاول صديقي تصحيح خطئه لكن الوقت كان قد فات، ومن يومها زُرعت بذور الغيرة بين الأخوين..

ولم تتوقف المأساة عند هذا الحد، فقد ساهمت زوجتي في زرع بذور الغيرة بين الأخوين، فقد كانت تقارن أحدهما بالآخر، فتقول للأصغر صاحب البشرة القمحية: ملابسك دائمًا سيئة، ألوانها غير متناسقة، نوعيتها غير جيدة، انظر إلى ملابس أخيك ما أجملها، إنه مرتب في هندامه أكثر منك.. سنوات طويلة وهي تقارن بينهما في الملبس، وعاونها في ذلك طائفة من الأقارب، ونجحوا في جعل الطفل الأصغر يكره أخاه الأكبر..

واليوم، بعد مرور عشرين سنة، ومحاولتنا لتصويب أخطاء الماضي، لا يزال الجرح ينزف في قلب ابني الأصغر، فهو لا يزال يتذكر ما قاله ذلك الصديق يومًا أنه يشبه بواب (حارس) عمارتنا، وكيف أن أخاه أجمل منه في لون البشرة، وأفضل منه في لبس الثياب، لدرجة أنه عندما يشتري ملابس جديدة وجميلة يلبسها حزينًا ويقول: «أعرف أنني مهما فعلت فلن أكون جميلاً ولا منظمًا مثل أخي».

إن هدف الشيطان هو التفرقة بين الإخوة، انظر ماذا قال سيدنا يوسف لإخوته، ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، وكل أب أو أم يقارنون الإخوة بعضهم ببعض يساعدون الشيطان في مهمته، ويهدمون روح الإخاء والمحبة بين الإخوة الأشقاء.



أنقذتُ حياة ابنتي .. بقُبلة

حكى لي أحد الآباء:

أن لديه ابنة في المرحلة الثانوية وولدًا في الخامسة من عمره، كانا ينامان في حجرة واحدة كل على سرير خاص وهذا لضيق المسكن، وكنت يوميًا أعود من عملي متأخرًا بعدما ينام الأولاد، فكنت أدخل لحجرة الأبناء لأطمئن عليهم بعدما ناموا، فأقوم بتغطية الصغير وأقبله وأنصرف، فعلت هذا كثيرًا، وكنت ألاحظ أن العلاقة بين ابنتي وأخيها سيئة جدًا، فهي تعامله بعصبية ولا تتحمل مرحه معها، وتقابل أفعاله بغضب وصوت مرتفع وربما بكاء ودموع، لم أكن أجد تفسيرًا لما يحدث، وذات يوم عدت من عملي ودخلت حجرة أبنائي لأطمئن عليهم، وغطيت ابني الصغير وقبلته كالعادة، وهممت بالخروج من الحجرة وانتبهت فجأة أن ابنتي قد وقع عنها الغطاء، فتوجهت نحوها وغطيتها وقبلت جبينها، وفجأة حدث ما أفزعني.

لقد قامت ابنتي فجأة وعانقتني وقبلت جبيني وقالت وهي تبكي: لو لم تفعل ذلك لكنت قد حزنت منك كثيرًا، كم تمنيت أن تفعل ذلك معي يا أبي، فأنا يوميًا كنت أراك تفعل ذلك مع أخي وتنساني، لكنك الآن تذكرتني، فأنا اليوم أحبك...

يقول الأب:

حينها تلعثم لساني ونطقت دموعي بما في قلبي، واحتضنت ابنتي وقلت لها: سامحيني، ومن يومها تحسنت علاقتها بأخيها، وبدأت السعادة تعرف طريقها إلى قلب ابنتي..

فائدة:

لقد كان السلف الصالح يستحبون التسوية بين الأبناء حتى في القُبَل[(١)]، فإن قبلت أحد أبنائك فمن حق الآخر أن يأخذ قبلة مثله، وهذا انطلاقًا من قول النبي ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم، حتى في القبل»[(٢)]، ولقد عاتب النبي ﷺ رجلاً أخذ ابنه وقبَّله ووضعه على حجره ولما جاءت بنته أجلسها إلى جانبه ولم يقبلها، روى البزار عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ فَقبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَجَاءَتْهُ بُنَيَّةٌ لَهُ فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا»[(٣)]، وروى البيهقي عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ، فَأَخَذَهُ فَقبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا»[(٤)]

فأخطأ هذا الأب في حق ابنته مرتين؛ الأولى: حينما لم يقبلها مثل أخيها، والثانية: عندما لم يجلسها على رجله مثلما فعل بأخيها.

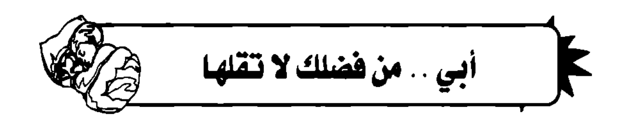
❊ ❊ ❊

(١) المغني، لابن قدامة، ٥/ ٦٦٦.

(٢) ضعيف الجامع للألباني ح ر ١٧١٢

(٣) مسند البزار كاملاً - (٢/ ٢٨١) ح ر (٦٣٦١).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ح ر (٨١٧٧)، و الكامل في الضعفاء ٥/ ٣٩٤ وقال: فيه عبد الله بن معاذ أرجو أنه لا بأس به.



أبي .. من فضلك لا تقلها



تخيل أن ابنك يمرّ ذات يوم بالمواقف التالية..

في الصباح يتأخر قليلاً في النوم، فتوقظه أمه صارخة: «لقد تأخرت على المدرسة، قم يا غبي».

في العاشرة صباحًا يدخل المدرس عليهم الفصل، ويطلب منهم حل مسألة رياضية، فلا ينجح ابنك في حلها بالكفاءة المطلوبة، فيصفه المدرس بأنه غبي.

بعد انتهاء اليوم الدراسي يذهب إلى النادي ليمارس اللعبة الرياضية التي يحبها، وخلال التمرين لا ينجح ابنك في حركة رياضية معينة، فيصفه المدرس بأنه شرحها مرات ومرات وأن ابنك لا يفهم.

يعود ابنك من النادي ليلعب مع زملائه ويشكلون فريقين، وللأسف يُهزم فريق ابنك، فيقول له زملاؤه: أنت السبب في الهزيمة، أنت لا تجيد اللعب، أنت عديم الفائدة، يبدو أنك غبي.

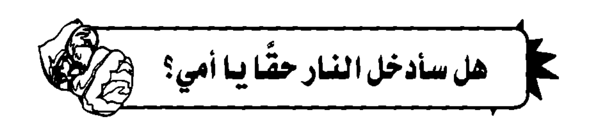
في النهاية يعود ابنك إلى البيت منهكًا، ويتمنى أن يجد من يخفف عنه أثقال يومه، لكنه يجد الكل مشغولاً، فيهرب من واقعه البائس ويحاول أن يستمتع بشيء من مشاهدة التلفاز، وبعد فترة تنتبه أمه لما يفعل، فتسرع نحوه وتعنفه قائلة: مشاهدة التلفزيون ستزيدك غباء، ذاكر شيئًا ينفعك.

يدخل الابن حجرته حزينًا ويجلس مستكينًا، وفجأة ينهض متوجهًا نحو المرآة، وينظر فيها، فيا ترى ماذا سيرى؟ إنه سيشاهد من يصفه الآخرون بالغباء، فيا ترى هل سيصدقهم؟ كيف سيرى نفسه؟

إن أبناءنا يصدقون ما نصفهم به، والشيء نفسه يحدث معنا نحن الكبار، تخيل لو خرجت لعملك يومًا مرتديًا ثوبًا تحبه، وكلما قابلك أحدهم قال: هذا الثوب ليس جميلاً عليك، لونه لا يناسبك، يظهر مساوئ جسمك، أصبح موضة قديمة، لا تبدو فيه وسيمًا... بماذا ستشعر وأنت تنظر في المرآة بعدما تعود لبيتك؟

يقول احد المدرسين:

أنا أدرِّس للمرحلة الابتدائية، وذات عام كان من المقرر أن أدرِّس للصف الثاني الابتدائي، وبدأ العام الدراسي وفي لقائي الأول بهم كان من الطبيعي أن أتعرف بهم وأعرفهم بنفسي، وبالفعل رحبت بهم قائلاً: أهلاً بكم، أنا مدرسكم فلان، وأريد أن أتعرف عليكم... ثم قلت لهم مداعبًا: هيا، ليقف الأغبياء الذين في الفصل، وانتظرت منهم أن يضحكوا، لكنني فوجئت بتسعة أطفال يقفون.. نعم وقف تسعة، فقلت من هول المفاجأة متعجبًا: هؤلاء هم الأغبياء؟ فقال التلاميذ: لا يا أستاذ، ليسوا هؤلاء وفقط، هناك أغبياء لم يقفوا بعد، قم يا فلان وأنت وأنت، وهكذا وقف خمسة أطفال آخرون دون أن يعترضوا، واكتمل عدد أغبياء الفصل أربعة عشر طفلاً.. تخيل ثلث الفصل تقريبًا يصدقون أنهم أغبياء، يا ترى من الذي حطمهم؟ من الذي أقنعهم أنهم أغبياء؟ ما الذي سيقدمونه في حياتهم الدراسية والعملية والاجتماعية بوصفهم أغبياء؟ هل سيشاركون في صناعة نهضة وبناء أمة؟ والسؤال الأهم: كيف أقنعهم أنهم ليسوا بأغبياء وأنهم ناجحون ومتميزون؟



تقول إحدى المعلمات:

ذات يوم كنت متوجهة نحو فصل سنة ثانية ابتدائي، وعلى باب الفصل استوقفني حوار بين اثنين من الأطفال، كانا يتحدثان وهما لا يشعران بوجودي، قال خالد لزميله:

يا أحمد، هل أمك تقول لك: ربنا سيدخلك النار؟

قال أحمد: نعم تفعل، وهل أمك تقول لك ذلك أيضًا؟

قال خالد: نعم، وهل سندخل النار حقًّا؟

فقال أحمد: نعم، فكلهم يقولون ذلك.

هنا قال خالد: إن كنا سندخل النار حقًّا؛ فلماذا نسمع كلامهم إذًا؟



تقول المعلمة: كم تأثرت بتلك الكلمات الحزينة البائسة، وقلت في نفسي: من الذي جعل هؤلاء الأطفال في مثل هذه السن (٨ سنوات) محطمين يائسين عندهم يقين أنهم إلى جهنم ذاهبون؟ ماذا سيفعلون عندما يكبرون؟ ماذا سيفعل شاب يعلم يقينًا أنه ذاهب إلى جهنم؟ هل يكون سعيدًا في حياته؟ هل سيترك غيره يعيش في سعادة؟ هل سيكون بارًا بوالديه؟ هل يكون نافعًا لغيره؟

أيها الأب الكريم، أيتها الأم الحنون ..

هل من الصواب أن تقول لابنك عندما يخطئ: «ربنا سيدخلك النار»؟ هذا للأسف هو حال الكثير من الآباء والأمهات، فإذا كذب الطفل نقول: «ستدخل النار»، وإذا قصّر في صلاته قلنا: «ربنا سيدخلك النار»، وإذا ضرب أخاه قلنا: «أنت لا تحب إخوتك وستدخل النار»، وإذا لم يسمع كلامنا ويطيع أوامرنا قلنا: «ربنا سيدخلك النار لأنك تغضب والديك»، وإذا شتم وتلفظ بلفظ خارج قلنا: «من يفعل ذلك سيدخل النار»، وإن تباطأ في أداء واجباته الدراسية وقصر في مذاكرته قلنا: «لن نسامحك وأمثالك مصيرهم إلى النار»، وإذا أضاع قلمه قلنا: «أنت ولد مهمل وربنا سيدخلك النار».. في النهاية يصدقنا أطفالنا لأننا أحنّ الناس عليهم وأصدق الناس معهم، وهكذا يوقن أطفالنا أنهم ذاهبون إلى جهنم وبئس المصير..

«ربنا سيدخلك النار»، هذه الجملة التي تتكون من ثلاث كلمات عندما تقولها لابنك فإنك ترتكب خمسة أخطاء وتقع في خمسة ذنوب... هي:

الذنب الأول أنت تكذب وتتعدى حدود الأدب

روى ابن حبان في صحيحه عن ضمضم بن جوس اليمامي، قال: دخلت مسجد الرسول ﷺ، فإذا أنا بشيخ مصفر رأسه، براق الثنايا، معه رجل أدعج، جميل الوجه، شاب، فقال الشيخ: يا يمامي تعال، لا تقولن لرجل أبدًا: لا يغفر الله لك، والله لا يدخلك الله الجنة أبدًا، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا أبو هريرة، قلت: إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله أو لخادمه إذا غضب عليها، قال: فلا تقلها، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان من بني

إسرائيل متواخيين[١]، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر مذنب، فأبصر المجتهدُ المذنبَ على ذنب، فقال له: أقصر (يعني توقف عن الذنب)، فقال له (المذنب): خلني وربي، قال: وكان يعيد ذلك عليه (يتكرر من المجتهد النصح للمذنب)، ويقول (المذنب): خلني وربي، حتى وجده (المجتهد) يومًا على ذنب، فاستعظمه، فقال: ويحك أقصر قال: خلني وربي، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال (المجتهد): والله لا يغفر الله لك أبدًا، أو قال: لا يدخلك الله الجنة أبدًا، فبُعِث إليهما ملكٌ فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده جل وعلا، فقال ربنا للمجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أم كنت قادرا على ما في يدي؟ أم تحظر رحمتي على عبدي؟ اذهب إلى الجنة يريد المذنب (وفي رواية: اذهب فادخل الجنة برحمتي)، وقال للآخر (المجتهد في العبادة): اذهبوا به إلى النار»، قال أبو هريرة: فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[٢]

في أول لقاء بين سيدنا أبي هريرة ﷺ و ضمضم بن جوس اليمامي، وفي أول حوار يدور بينهما، وأول وصية قالها أبو هريرة لليمامي قبل أن يعرفه بنفسه: «لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا»، وهذا لاستشعار أبي هريرة خطورة تلك الكلمات على قائلها لأنها توردہ المهالك، و ضررها على سامعها لأنها تصيبه بالشرور النفسية والأخلاقية..

وتأمل قول الله تعالى لمن كان يجتهد في العبادة: «أكنت بي عالمًا؟» ومعناها أنك كاذب وتدعى العلم بالغيب، وقوله تعالى: «أكنت على ما في يدي قادرًا؟» فيه تعنيف وتوبيخ للمجتهد في العبادة الذي تجرأ وقال للمذنب: لن يغفر الله لك،

---

(١) متواخيين أي متقابلين في القصد والسعي ، فهذا كان قاصدًا وساعيًا في الخير، وهذا كان قاصدًا وساعيًا في الشر.

(٢) صحيح ابن حبان – كتاب الحظر والإباحة. باب ما يكره من الكلام وما لا يكره – ذكر وصف هذين الرجلين اللذين قال أحدهما لصاحبه ما قال. حديث : ٥٧١٢. ، ومسند أحمد: ١٦/ ١٢٧ ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ، وصحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٠١.

وكأنه هو من يوزع الرحمات ويمنع من دخول الجنات... ومعنى قول أبي هريرة: لقد قال كلمة أوبقت دنياه وآخرته يعني: أهلكت تلك الكلمة ما سعى في الدنيا من عبادة وحظ الآخرة من الثواب والنعيم[١] فهذه الكلمة لما قالها الرجل أضاعت له عبادة السنين وحرمته من جنات النعيم..

وهنا يقول العلماء: هذا العابد غضب لله لأنه رأى الآخر على معصية استعظمها، ثم تكلم في حال غضبه لله بما لا يجوز، وحكم على الله تعالى بما لا يعلم، فأحبط الله عمله، فكيف بمن تكلم في غضبه - لنفسه وتبعًا لهواه - بما لا يجوز[٢].

أيها الآباء والمربون: إنني أخشى من كثرة ما أغلقنا أبواب الرحمة في وجوه أبنائنا وبناتنا أن تغلق في وجوهنا نحن.. نسأل الله العفو والمعافاة.. ومن اليوم لن نعود لمثلها أبدًا، والله المستعان.

الذنب الثاني أنت تتألى على الله تعالى

روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أن رجلاً قال: «والله! لا يغفر الله لفلان. وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك».

ومعنى يتألى عليّ: يعني يحكم عليّ ويحلف باسمي ويقول نيابة عني: «إني لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان»، رغمًا لأنفك، ثم تأتي الخسارة الكبرى «وأحبطت عملك»[٣].

قال الإمام النووي: «وفي الحديث دلالة لمذهب أهل السنة في غفران

(١) عون المعبود بشرح سنن أبي داود ١٣ / ١٦٦، ١٦٧.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٧٣.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (بتصرف).

الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها»[١]

إنك عندما تقول لابنك أو لابنتك: «لن يغفر الله لك» أو «لن تدخل الجنة» أو «سيدخلك الله النار»؛ فأنت بهذا ترتكب خطيئة كبرى تحبط ما مضى من عملك، وتحتاج إلى توبة وأن تبدأ في عمل الصالحات من جديد، قال رسول الله: قال رجل: لا يغفر الله لفلان (أي العامل بالمعاصي) فأوحى الله إلى نبي من الأنبياء: إنها خطيئة (يعني الكلمة التي قالها) فليستقبل العمل[٢]، ومعنى فليستقبل العمل: أي يستأنف عمله للطاعات فإن ما مضى منها قد أحبطت بتَألِّيه على الله تعالى[٣]

الذنب الثالث أنت تجعل ابنك ييأس من رحمة الله تعالى

الأب العاقل هو من يقاوم اليأس في نقوس أبنائه، ويزرع بدلاً منه الأمل في رحمة الله تعالى، وهذا ما فعله سيدنا يعقوب ﷺ مع أبنائه، ففي أشد لحظات حياته وفي ظلال المحنة الحزينة نتيجة فقده لثلاثة من أبنائه، قال لمن بقي منهم: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].. فهذا الأب الكريم والنبي الحكيم قد ضاع ابنه يوسف وهو صغير، وظل عند العزيز حتى استوى وبلغ أشده ودخل السجن بضع سنين، فابتعد عن أبيه على أقل تقدير ثمانية عشر عامًا[٤]، وبعد هذه المدة الطويلة ذهب أبناؤه لمصر وقد أصبح يوسف على خزائنها، ورجعوا بدون اثنين آخرين من إخوتهم، أحدهما أخذه

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/ ١٧٤.
(٢) صحيح الجامع للألباني ح ر ٤٣٤٧.
(٣) فيض القدير ٤ / ٦٦٠
(٤) «قال محمد بن إسحاق: ذكر أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة سنة، وهناك أقوال أخرى ترى أن المدة أطول من هذا بكثير» تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٢.

يوسف في دين الملك وهم لا يعرفونه، والآخر قال: لن أعود معكم حتى يغفر لي أبي أو يأذن الله لي، عادوا وأخبروا أباهم الخبر فما كان منه إلا أن قال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، وبعدها بكى يعقوب حزنًا على فراق يوسف حتى ضاع بصره، وبث شكواه وحزنه إلى الله تعالى، ثم قال ناصحًا أبناءه والبلوى تحيط به من كل جانب: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

إن الأب الفقيه والمعلم الرحيم هو من يفتح لأبنائه باب الرحمة ويزرع فيهم الأمل، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى. قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، و لم يؤمنهم من مكر الله، و لا يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، و لا علم ليس فيه تفهم، و لا قراءة ليس فيها تدبر[1]

وشر الآباء والمعلمين هو من يغرس بذور اليأس في قلوب الصغار، قال بعض أهل العلم: شرّ النّاس الّذين يقنّطون النّاس من رحمة الله: أي يؤيّسونهم من رحمة الله"[2]

إن من يغرس اليأس والقنوط في قلوب الصغار يرتكب جريمة كبرى، فاليأس والقنوط كبيرة من الكبائر، روى أن رجلا قال يا رسول الله ، ما الكبائر؟ قال ﷺ: «الكبائر: الشرك بالله، و الإياس من روح الله، و القنوط من رحمة الله»[3] والقنوط هو اليأس الشديد، قال ابن الأثير: القنوط هو أشدّ

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢ / ٨١١، و الدارمي ١/ ١٠١.

(٢) لسان العرب ٦/ ٣٧٥٢.

(٣) قال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده حسن ٤ / ٢٢ ، وقال الألباني : إسناده حسن السلسلة الصحيحة ح ر ٢٠٥١.

اليأس من الشّيء. وقيل القنوط: اليأس من الخير، وقيل: أشدّ اليأس من الشّيء[١]، والقنوط: هو استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم وينافيان كمال التّوحيد[٢]، والقنوط هو اليأس من رحمة الله، قال العز بن عبدالسلام: القنوط استصغار لسعة رحمة الله ﷻ ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده تعالى[٣]

الذنب الرابع أنت تجعل ابنك يسئ الظن بالله تعالى

عندما تقول لابنك: «ربنا سيدخلك النار» فأنت تقول له: أسئ الظن بالله فإنه تعالى لن يرحمك، ورحمته لن تشمل ذنبك، ولن يغفر لك ولن يسامحك، وهكذا تجعله يسيء الظن بربه فيضل ويهلك ولا يجد في حياته إلا الشر والخسران... قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله»[٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»[٥]. ولقد قال العلماء: «معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه»[٦]، وقال القاضي عياض: قيل معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو وهو أصح[٧]

قال ابن القيم رحمه الله: «ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٣٢)، الصحاح (٦/ ١١٥٥)، النهاية (٤/ ١١٣).
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص ٣٥٩.
(٣) شجرة المعارف والأحوال- العز بن عبد السلام ، ص١٢٠.
(٤) السلسلة الصحيحة للألباني ٤ / ٢٢٥.
(٥) صحيح مسلم ح ر ٢٨٧٧.
(٦) شرح صحيح مسلم ١٤ / ٢١٠.
(٧) شرح صحيح مسلم ١٤ / ٢.

توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدًا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنًّا بربه أطوعهم له، كما قال الحسن البصري : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل[1]

وتأمل حسن ظن النبي ﷺ بربه عندما قال: «والله لا يلقي حبيبه في النار»[2]، ولقد قال النبي ﷺ ذلك عندما مر بأناس من أصحابه وصبي وسط الطريق، فلما رأت أمه الدواب خشيت على ابنها أن يوطأ فسعت والهة فقالت ابني ابني، فاحتملت ابنها، فقال القوم: يا نبي الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال رسول الله ﷺ: «لا، والله لا يلقي الله حبيبه في النار»...ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله: «مَا أُحِبُّ أَنَّ حِسَابِي جُعِلَ إِلَى وَالِدَيَّ ، رَبِّي خَيْرٌ لِي مِنْ وَالِدَيَّ»[3]

* * *

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٢٦.

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني ٥ / ٥٣١.

(٣) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ح ر ٣٧.





تمرين عملي

ايها الأب الكريم، أيتها الأم الحنون..

اكتب الكلمات (القاتلة) التي تقولها لأحد أبنائك، دون أن تشعر.

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

اسأل أبناءك: ما الكلمات (القاسية) التي يقولها لك والدك أو والدتك وتتمنى أن يتوقفا عنها؟

(١) ....

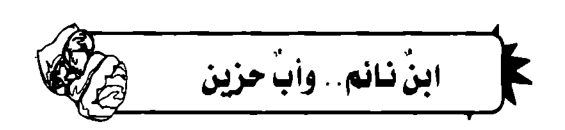
(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

والآن: بعد أن عرفت حجم المصيبة، تب إلى الله تعالى، وعاهده سبحانه أنك ستتوقف عن قول ما يفسد حياة أبنائك، وابدأ من اليوم في إصلاح ما أفسد لسانك...



ابنٌ نائم.. وأبٌ حزين

هذه كلمات كتبها أحد الآباء قبل عام ١٩٣٧م، وهي عبارة عن رسالة كتبها وهو جالس بجوار سرير ابنه النائم، كتب يقول:

اصغ إلي يا بني...

إنني أقول هذا بينما ترقد أنت نائمًا وقد وضعت يدك الصغيرة تحت خدك، وقد التصقت خصلات شعرك الأشقر بجبهتك الرطبة، لقد تسللت إلى حجرتك وحدي، فمنذ دقائق قليلة كنت جالسًا أتصفح أوراقي في المكتبة، وسيطرت عليّ موجة من الندم؛ فجئت إلى جوارك شاعرًا بالذنب..

وإليك يا بني ما كنت أفكر فيه.. لقد كنت حادًّا معك، وعنّفتك عندما كنت تلبس ملابس المدرسة؛ لأنك لم تجفف وجهك بالمنشفة جيدًا، واستأت من عدم تنظيفك للحذاء، وصحت بك غاضبًا حينما ألقيت ببعض الأشياء على الأرض.

وعند الإفطار تصيدت لك الأخطاء أيضًا، فقد أوقعت بعض الأشياء، ولم يعجبك الطعام، ووضعت طبقة سميكة (زائدة) من الجبن على خبزك، وبينما كنت مستغرقًا في لعبك (أثناء الطعام) تحركت أنا لألحق بالقطار، واستدرت أنت إليّ ولوّحت بيدك قائلاً: مع السلامة، فما كان مني إلا أن عبست في وجهك، ورددت قائلاً: اجلس جيدًا.

ثم بدأت الكرة من جديد في أواخر الظهيرة، فعندما ظهرت الطريق أمامي وأنا عائد من العمل، لمحتك تجلس على ركبتيك وأنت تلعب، وكان هناك

ثقوب في جوربك، فأهنتك أمام أصدقائك باقتيادك أمامي إلى المنزل، فقد كانت الجوارب غالية، ولو اشتريتها أنت لكنت أكثر حرصًا عليها، تخيل هذا يا بني من أب.

هل تتذكر – بعد ذلك – في نهاية اليوم عندما كنت جالسًا أقرأ في المكتبة، كيف أنك وقفت عند الباب وفي عينيك نظرة حزينة بعض الشيء، وعندما رفعت رأسي أنظر إليك وأنا أشعر بالضجر من هذه المقاطعة، وجدتك تقف مترددًا، فقلت لك بحدة: ماذا تريد؟ فأجبتني بأنك لا تريد شيئًا، ولكنك جريت نحوي سريعًا، وألقيت ذراعيك نحو عنقي وقبلتني، وأحكمت ذراعيك بمحبة زرعها الله في قلبك، ولم تذبل بسبب إهمالي لك، ثم تركتني وأسرعت نحو حجرتك لتنام.

حسنًا يا بني، لم يمر وقت طويل بعدها إلا ووجدت الورقة قد انزلقت من بين يديّ، وقد سيطر علي شعور رهيب بالخوف، ماذا فعلت بي تلك العادة؟ عادة تصيد الأخطاء والتعنيف، لقد كانت هذه مكافأتي لك لكونك صبيًّا، ولم يكن تصرفي هذا لأنني لم أكن أحبك، وإنما لأنني كنت أنتظر الكثير منك، وكنت أقيمك بمقياس الكبار.

هناك أشياء كثيرة وجميلة في شخصيتك، فقلبك الصغير كالفجر الذي يطل على التلال الواسعة، وقد ظهر هذا واضحًا في اندفاعك التلقائي نحوي وتقبيلك لي قبل النوم، لا شيء آخر يهمني الليلة يا بني، لقد جئت إلى جوارك في الظلام جالسًا على ركبتي وأنا أشعر بالخجل من نفسي، وهذا تكفير بسيط عن أخطائي في حقك، وأنا أعلم أنك لن تفهم هذه الأشياء لو أخبرتك بها وأنت مستيقظ، ولكنني في الغد سأكون أبًا حقيقيًا، وسوف أصادقك، وأعاني عندما تعاني، وأضحك عندما تضحك، وسوف أعض على لساني عندما تلح

عليّ كلمات الضجر من أفعالك الصبيانية، وسأظل أقول لنفسي: «إنه مجرد صبي».

إنني أخشى من أنني كنت أنظر إليك كرجل، ولكنني وأنا أنظر إليك الآن يا بني وأنت ترقد منهكًا على سريرك الصغير أراك ما زلت رضيعًا، والبارحة كنت بين ذراعي أمك ورأسك على كتفها، لقد طلبت منك الكثير.. الكثير[١]

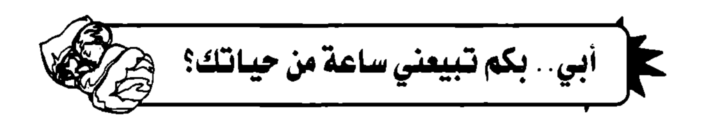
أيها الأب الكريم، أيتها الأم الحنون...



جرب أن تجلس الليلة بجوار ابنك (أو ابنتك) بعدما ينام، وتأمل في حاله واسأل نفسك: ما الذي فعلته من أجل هذا المسكين على مدار الاثنتى عشرة ساعة الماضية، لقد تعرض المسكين خلال يومه لكثير من المواقف والمصاعب والمحن فهل كنت حاضرًا لمواساته؟ لقد نجح وأجاد في كثير من المواقف فهل كنت حاضرًا للاحتفال معه؟ مر بكثير من المشاكل فهل كنت جاهزًا لمشاركته حلها؟ عايش بعض الهموم والغموم فهل كنت حاضرًا ليحكي لي همومه؟... وبعد أن تجيب عن تلك التساؤلات؛ قرر ماذا ستفعل من أجله غدا، كلمه عن حبك له واطلب منه السماح فهذه رسائل ستصل إلى قلبه وعقله، وعاهد نفسك على أشياء عملية تفعلها معه بداية من الغد إن شاء الله تعالى، واطلب من الله تعالى العون والتوفيق..

❊ ❊ ❊

(١) كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصدقاء، ص ١٨ – ٢٠ (بتصرف).



قال ابن أحد التجار يومًا لأبيه: كم تكسب في الساعة؟

فقال الأب مبتسمًا: (كذا)... مبلغًا كبيرًا من المال.

فشكره الولد وانصرف..

وبعد ثلاثة أشهر عاد الولد إلى أبيه وهو يحمل ظرفًا، وقال لأبيه:

خذ يا أبي هذا لك... وناوله الظرف وانصرف...

فتح الأب الظرف؛ فوجد فيه مبلغًا من المال، ووجد معه رسالة تقول: هذا يا أبي هو المبلغ الذي تكسبه في ساعة، فهل يمكنني أن أشتري بهذا المبلغ ساعة من حياتك؟

يقول الأب: كيف وصلت إلى هذه الدرجة من العمى، لقد بعت ابني واشتريت عملي، ولأنه يحبني فقد قضى ثلاثة أشهر ليجمع من مصروفه ومدخراته ما يشتري به ساعة من حياتي، لقد وصلتني الرسالة، وأحسست حينها كم أنا أب محروم، ولذلك قررت أن أتخلى عن بعض أعمالي لأجد وقتًا أعيش فيه مع أسرتي، ومن يومها أصبحت مستمتعًا بكوني أبًا، وبدأت أعطي ابني يوميًّا ساعة على الأقل من وقتي، وأعطيته الفرصة ليضع خطة أسبوعية لكيفية قضاء الساعة اليومية معي..

أبي هل أنا جزء من حياتك؟



بعض الأطباء يقضي حياته كلها في مستشفاه وعيادته، وبعض التجار معظم وقته وجهده في تجارته ومشاريعه، وبعض الآباء يضيع حياته بين أصدقائه - في البر والصحراء وفي الرحلات وعلى المقاهي - يريح أعصابه ويزيل همومه، بل إن بعض الدعاة يخرج في سبيل الله أيامًا وأسابيع داخل بلدته وخارجها، ولا يخرج في سبيل الله ليشتري لبيته شيئًا يحتاج إليه أو ليجلس مع زوجته التي تفتقده، كل هؤلاء باختيارهم يقضون هذه الأوقات ويبذلون هذا الجهد في جانب واحد من جوانب حياتهم، بينما بيوتهم تفتقدهم أبناؤهم وزوجاتهم ويحنون إليهم ويشتكون من غيابهم، والسؤال الآن: هل هم سعداء؟ هل هم حقًّا ناجحون؟ إلى أين سيصلون في النهاية؟ ما رأي أبنائهم وزوجاتهم فيهم؟

ايها الأب الكريم...

تأمل السيارة جيدًا، ستلاحظ أن إطارات السيارة الأربعة لا بد وأن تكون كلها بحجم واحد، والسؤال: إن أصبح أحد إطاراتها أكبر حجمًا من بقية الإطارات، ماذا سيحدث حينها؟ إن السيارة قد تنقلب وقد تتوقف ولا تذهب إلى أي مكان، إن السيارة هي مثال لحياتك، والإطارات الأربعة هي جوانب حياتك الرئيسية، فأحد الإطارات هو عباداتك وطاعاتك الروحية، والإطار الثاني هو حياتك الأسرية مع زوجتك وأولادك وأبيك وأمك،

والإطار الثالث هو حياتك المادية من عمل ومشاريع ومكسب وسعي، والإطار الرابع هو جسمك وصحتك...

فإن أنت اجتهدت في تنمية جانب واحد من جوانب حياتك وقصرت في الباقين، فإن حياتك ستنقلب يومًا إلى غم وهم كما تنقلب السيارة ذات الإطار الأكبر من الثلاثة الباقية، وإن أهملت جانبًا من جوانب حياتك كصحتك مثلاً ولم تعطِ جسمك حقه وشربت سجائر أو غيرها، سيصير حالك كحال السيارة التي بها إطار فارغ من الهواء، فكيف تسير وإلى أين ستصل...

إننا جميعًا معرضون للوقوع في مصيبة تضخيم جانب من جوانب حياتنا أو إضعافه، حتى أكثر الناس قربًا من الله تعالى معرضون لذلك، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – صحابي جليل بدأ يقوم الليل ويصوم النهار وقال: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فتراه بالليل قائمًا وفي الصباح صائمًا، هذه هي الصورة التي يتمناها الكثيرون لأنفسهم، لكنها ليست الصورة التي يرضاها الله ورسوله، لأنها ستكون على حساب حق الزوجة والأولاد وباقي جوانب الحياة المهمة، وهذا ما وقع فيه عبد الله ابن عمرو بن العاص، وكان أول من عرف بأمر تقصيره في حق بيته أبوه، إذ كان قد زوج ابنه بامرأة ذات حسب وكان يتعاهدها ويسألها عن حالها، فسألها يومًا عن حال ابنه معها، فقالت: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشًا، ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه... ماذا يفعل عمرو بن العاص؟ هل يفرح بابنه الصائم القائم؟ لم يفعل ذلك، بل قابله وعاتبه قائلاً: ظلمت زوجتك وفعلت، لكن ابنه لم يلتفت لذلك واستمر في رحلته مع جانب العبادة وفقط، وهنا اشتكاه أبوه إلى النبي ﷺ، ولأن الأمر مهم ولا يحتمل التأجيل فقد أتى النبي ﷺ إلى عمرو في بيته ليعلمه كيف يوازن بين جوانب حياته المختلفة، ودخل

الرسول ﷺ على عبد الله فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ فقال عبد الله: بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير، هنا قال ﷺ: «فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزورك (ضيفك من يزورك) عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا»[1]، وأنه عسى أن يطول بك عمر (فلا تقوى على الاستمرار في فعل ذلك).

لكن عبد الله بن عمرو بن العاص كان محبًّا للصيام، وقد يحب الإنسان جانبًا من جوانب الخير لكن إفراطه فيه يصبغ حياته بصبغة الشر، فأرشده النبي ﷺ إلى طريقة وسطية في صيام التطوع فقال له ﷺ: «حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك الدهر كله»، ولأن عمرو بن العاص كان محبًّا للصوم جدًّا فإنه بدأ يحاور النبي ﷺ راغبًا في المزيد من العبادة، فقال: يا رسول الله إني أطيق (أتحمل) فوق ذلك، فقال ﷺ: «فصم من كل جمعة (أسبوع) ثلاثة أيام»، قال عبد الله: أطيق فوق ذلك، فقال: «فصم صيام نبي الله داود ﷺ ولا تزد عليه»... هنا قال عبد الله: قد قبلت..

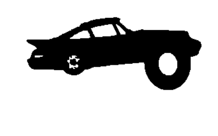
ومن يومها بدأ عبدالله يصوم صيام نبي الله داود، يصوم يومًا ويفطر اليوم التالي، وهكذا مدى الحياة، دون أن يقصر في حق جسده وزوجته وولده وضيفه وصديقه، ودارت الأيام وكبر سن عبدالله وضعف جسمه، وتحقق ما حذره النبي ﷺ منه عندما قال له: «وإنك عسى أن يطول بك عمر»، لقد طال بعبد الله العمر ولم يعد يقوى على ما كان يصومه في شبابه، فشق عليه الصيام لعجزه، وفي الوقت نفسه لم يرد أن يترك ما التزم به أمام رسول الله ﷺ، فكان يقول: (فارقت النبي ﷺ على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره)، ولقد وجد حلاً

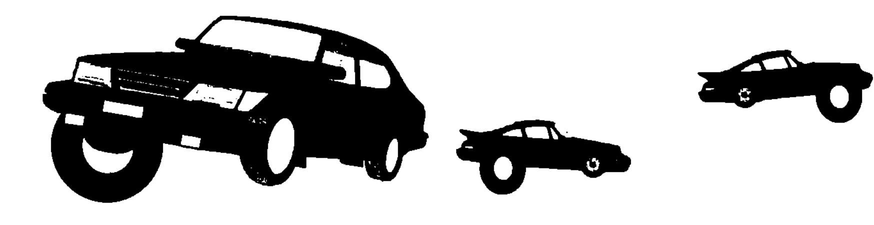
(١) رواه البخاري، وزاد مسلم في روايته: وإن لولدك عليك حقًّا، وزاد النسائي في روايته: «وإن لصديقك عليك حقاً» صحيح النسائي للألباني ح ر ٢٣٩٠.

وسطًا يجمع بين صيام داود وتخفيفه، فبدلاً من صيام يوم وإفطار اليوم التالي، كان عبد الله يجمع عددًا من الأيام يصومها معا متتالية، ويجمع مثلها أيامًا يفطرها معًا متتالية فيقوى بذلك، وفي كبره كان عبد الله يندم على موقفه مع النبي ﷺ ويقول: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ[1]

والآن أيها الأب الكريم...

راجع نفسك وأنقذ ما تبقى من حياتك وحياة زوجتك وأبنائكِ، قبل أن يجري بك الزمن ويمر العمر ويكبر السن، وتنظر خلفك فترى ركنًا من حياتك قد انهدم، ويومها تندم يوم لا ينفع الندم، والآن إن كانت جوانب حياتك مثل واحدة من السيارات التالية، فأسرع بضبط إطاراتها وأصلح ما فسد من جوانب حياتك حتى تصل الجنة بإذن الله سالمًا...





(١) انظر: صحيح البخاري ح ر ١٩٧٥، وصحيح مسلم ح ر ١١٥٩، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٢٥٧ – ٢٥٩.


الحسنات
في إسعاد البنات

الحسنات في إسعاد البنات



في إحدى الندوات تجمعت حوالي ٢٥٠ بنت في المرحلتين الثانوية والجامعية، فوزعت عليهن «استبانة» ليكتبن مشاكلهن في الحياة وما يحتجن إليه في البيوت، وقرأت كل ما كتبه البنات، ولقد توقفت - متأملاً وحائرًا - أمام شكوى اثنتين من الفتيات..

الفتاة الأولى كتبت تقول:

أنا عطشانة حب وحنان.. لا بابا يشبعني.. ولا أمي تعطيني... فماذا أفعل؟

والفتاة الثانية كانت شكواها تقول:

أنا أتمنى أن أعيش أي قصة حب في الحلال، ماذا أفعل؟

أنا من اليوم حبيبك يا ابنتي

حينما كانت ابنتي في الصف الثالث الإعدادي (١٥ سنة)، جاءتني يومًا من المدرسة باكية وقالت: بابا، عندي مشكلة..

قلت لها: كلي آذان مصغية.

قالت: كل زميلاتي في الفصل على علاقة بصبيان، فكل واحدة منهن لها صديق شاب تخاطبه وتقابله وتراسله، وأنا الوحيدة التي لا صديق لها، فماذا

أفعل؟ وبدأت تبكي...

فابتسمت وربَّتُّ على كتفها وقلت: أنا سعيد بمصارحتك يا حبيبتي، ولك عندي صديق وحبيب ممتاز.

لمعت عينا ابنتي وقالت بلهفة: من هو؟ قلت: أنا.

فقالت مستغربة: أنت؟

قلت: نعم، أنا من اليوم حبيبك.



قالت: إنهم ينتظرونهم على باب المدرسة.

قلت: سأنتظرك.

قالت: إنهم يحضرون لهن الورود.

قلت: سأحضر أجمل الورود.

قالت: إنهم يجلسون معًا في النادي.

قلت: إذًا نجلس في النادي.

وبدأت رحلتي الجميلة مع قلب ابنتي، في اليوم التالي ارتديت أجمل ما عندي وتعطرت وكنت أول المنتظرين على باب مدرسة ابنتي، إنني الحبيب المنتظر على شوق، ومن بعدي جاء الشباب الضائع كل ينتظر حبيبته، لكن شتان بين المحب الصادق والمحب الخادع، وحانت لحظة اللقاء، وخرجت الطالبات وبينهن ظهرت محبوبتي، وما إن رأتني حتى أسرعت نحوي، تسبقها ابتسامة جميلة كأنها تقول: لم أكن أتوقع أنك ستأتي... وما إن وصلت ابنتي عندي حتى ناولتها أجمل وردة في حياتي، وانطلقنا نسير معًا نحو البيت ونحن نشبك أيدينا معًا..

تكرر انتظاري لحبيبتي على باب مدرستها، وطبعا زميلاتها لاحظن وجودي الدائم على باب المدرسة ساعة خروجهن، والطريف أنهن كن كلما رأينني يقلن لابنتي: «الجو وصل، حبيبك موجود»، فترد ابنتي عليهن: إنه أبي،

فتقول البنات كلمة خطيرة، يقلن: لو كان آباؤنا قد اهتموا بنا وأشبعونا محبة لما احتجنا لهذه النوعيات من الشباب..

لا أدعي أن هذه المرحلة كانت سهلة، لقد تطلبت الكثير من الجهد والتضحية والصبر، لكن ابنتي تستحق هذا كله وأكثر، حدثت هذه الحكاية منذ حوالي ١٥ سنة، ومن يومها صارت المحبة بيني وبين ابنتي وأخواتها شيء لا يوصف، والآن قد تزوجت ابنتي هذه وأنجبت طفلة جميلة، وهي اليوم تداعب طفلتها ذات العامين قائلة: عندما تكبرين ستجدين حبيبك منتظرًا على باب المدرسة، قد يكون والدك... وقد يكون جدّك..

هكذا عرفت أمك يا ابنتي

في معظم الأحيان عند الخروج مع ابنتي (أولى ثانوي) أضع يدي في يدها، وفي إحدى المرات أثناء سيرنا معًا - على انفراد - حكيت لها كيف تعرفت على أمها أول مرة، وكيف كانت الخطوبة، ومن خلال الحديث تعرضنا للأمور الشرعية في علاقة الشاب بالفتاة، فكانت هذه الرحلة البسيطة بالنسبة إليها لا تنسى، وفتحت بيننا أبواب الحوار والمحبة، ومن يومها بدأت تسألني أسئلة كثيرة وتشاورني في الكثير من أمورها، بل إنها تشتاق لليوم الذي نخرج فيه معًا، ولم لا وأنا أبوها الحبيب...



وردة الحسنات في تربية البنات...

في محاضرة «الحسنات في تربية البنات» كنت أطلب من منظمي الندوة أن يحضروا صندوق ورد بلدي بعدد الآباء الحضور، وفي نهاية الندوة أو الدورة كنت أسلك كل أب «وردة»

لكل بنت من بناته، ثم أقول لهم (كواجب عملي لما تحدثنا عنه): سيأخذ كل واحد منكم «وردة» ويعطيها هدية... لابنته، فكان أحدهم يسأل: ولماذا؟

فقلت له: لأن ابنتي حينما تأخذ «الوردة» من يدي فهل ستقبلها يومًا من زميلها في الجامعة؟ وكنا نطلب الآباء أن يجيبوا عبر الإيميل عن سؤال: كيف استقبلت ابنتك الوردة؟

وكانت إجابات الآباء كالتالي...

هذا ما فعلته ابنتي عندما أعطيتها الوردة:

بالفرح، بالاستغراب، بالسعادة، بالبسمة، بكلمة: أخيرًا، بصمت الرضا، بحضن كبير للوالد، برعاية الوردة والاحتفاظ بها حتى بعد جفاف أوراقها، بقولها: كم كنت أتمنى ذلك اليوم، بصرخة إعجاب وسعادة، بدموع الفرح، بكلمة: لقد تأخرت...

والطريف في تلك التجربة أن كثيرًا من الآباء كتبوا يقولون:

لقد تسببت في مشكلة منزلية، فقد كانت زوجتي تجلس - واضعة يدها على خدها - أثناء إعطائي الوردة لابنتي، كنت أظن أنها ستكون سعيدة جدًّا لما فعلته، لكنني فوجئت بها تقول: أنت قليل الأصل، لقد تزوجتك منذ أكثر من خمسة عشر عامًا ولم تفعل ذلك معي، وهذه البنت تفعل معها ذلك... فقلت في نفسي: غارت أمكم..

ومن بعد تلك الرسائل تعلمت درسًا مهمًا، فكنت بعد ذلك في محاضرة «الحسنات في تربية البنات» أعطي كل أب وردتين..

واحدة يعطيها لابنته (مستهدف الدورة أو الندوة)...

ووردة أخرى يعطيها لزوجته (ذلك الجندي المجهول)...



أمي.. هل أنا قبيحة؟

يقول احد المدرسين:

ذات عام، كنت أعطي درسًا خاصًا لاثنتين من البنات في المرحلة الثانوية، كنت في عمر أبيهما، وكانت العلاقة بيني وبين أسرهن طيبة، وذات يوم جاءت إحداهما تشتكي وتقول:

زميلتي على علاقة بشاب، وأظن أنه سيضحك عليها... وأنا خائفة عليها، وأنت مثل والدنا فأنقذها.

انتظرت حتى حضرت زميلتها، وواجهتها بالخبر...

في البداية أنكرت، ثم ما لبثت أن اعترفت بأنه يحبها وينوي الزواج بها.

فقلت: لم لا يذهب لمقابلة أبيك وخطبتك منه؟

قالت: حضرتك تعرف أبي جيدًا، فما رأيك يا أستاذي أن تقابله أنت؟

ولأنني وجدت أمامي فتاة معرضة للضياع، فقد قررت مقابلته، وحددت لنا الفتاة موعدًا...

وبعد طول انتظار قابلت هذا الذئب الخائن، وجدته رجلاً في الأربعين من عمره، قابلني بابتسامة صفراء، طلبت عنوانه حتى أسأل عنه، فقال: إنه من خارج المدينة وليس له هنا عنوان ثابت، طلبت رقم تلفونه، فأعطاني رقمًا تم إغلاقه تمامًا بعد لقائنا بقليل... إذًا أنت لص.

عدت للفتاة لأخبرها الخبر، لكنها بكت وقالت: هو يحبني، وأنا أصدقه،

إنه يريد الزواج بي... حاولت كثيرًا إقناع الفتاة المخدوعة لكنها لم تقبل كلامي... وفجأة جاءتني فكرة...

طلبت من البنت المخدوعة رقم تلفون الذئب الذي يكلمها منه، ثم أحضرت تلفونين وشغلتها على خط التلفون الأرضي، أعطيت أحدهما للبنت المخدوعة وقلت لها: أمسكي السماعة واسمعي دون أن تنطقي... وأعطيت التلفون الآخر لزميلتها وقلت لها: سنساعد زميلتك، وطلبت منها أن تكلم هذا الذئب قائلة: أنا زميلة فلانة، وهي تقول: إنها تريد الزواج وفقط، أما أنا فكان لي صديق وتركته، فما رأيك أن تكون أنت صديقي؟؟؟

لقد فعلت ذلك متمنيًا أن يقع الذئب في المصيدة... وقد كان... لقد وافق على صحبة الفتاة الجديدة، ورمى الثانية في لحظة... وما إن سمعت صاحبتنا موافقة الذئب، حتى انهارت قائلة:

أمي هي السبب في كل هذا الذي أنا فيه.

فقلت مستغربًا: وكيف ذلك؟

قالت والدموع تنساب على خديها: منذ طفولتي ولسنوات كانت أمي كثيرًا ما تقول لي: لو كنت بيضاء لكنت أفضل، لو كان أنفك صغيرًا لكنت أجمل، لو كنت أطول قليلاً لكنت أحلى، إنك سمينة ولن يعجب بك أحد، لن تتزوجي يومًا... حتى أشعرتني أمي أنني غير مقبولة وأنه لن يعجب بي أحد... وذات يوم خرجت مع قريبة لي لنشتري بعض الأشياء، وفي السوق قابلني هذا الرجل وقال: ما هذا الجمال، ورمى لي برقم هاتفه... إنه أول إنسان يخبرني أنني جميلة ومقبولة، ولذلك فقد عدت إلى البيت مسرعة، حتى أتصل به قبل أن يغير رأيه ويهرب مني...

كلمات الحب لها طعم آخر..

البخل لا يكون بالمال وفقط، فالبخل يكون في المشاعر والعواطف وهو أشد قسوة على نفوس المحبين، فالأب البخيل بماله مشكلة، بينما الأب البخيل بعواطفه مصيبة...

قال القاضي عياض:

إن البخيل بلحظه أو لفظه أو عطفه أو رفقه لبخيل

فهناك أب يبخل على ابنته بكلمة: أحبك.

وهناك أم تبخل على ابنتها بكلمة: أحسنت.

تقول إحدى الأمهات: كنت أجلس يومًا مع ابنتي ذات العشر سنوات، فقلت لها: إنني أحبك.

قالت البنت: هل تحبينني حقًّا؟

فقلت لها: أنا أحبك منذ عشر سنوات، أحبك منذ أن كنت في بطني، ويظهر حبي لك في إطعامك والاهتمام بك والسهر على راحتك...

فقالت البنت: لكن كلام الحب له طعم آخر...

هذا إذًا هو السر الذي يجعل كثيرًا من البنات يقعن في الحب الوهمي عبر الإنترنت وغيره، إنها كلمات الحب التي لها طعم آخر، ومن هنا أعاهد الله تعالى – كأب – أن تسمع مني ابنتي ما لذّ وطاب من كلمات الحب الصادقة، بل إنني سأقول لها أحبك (بكل لغات العالم) كل أسبوع «أحبكِ» بلغة مختلفة، وهذا عملاً بسنة النبي ﷺ؛ فقد روى البيهقي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أحب فلانًا في الله، فقال النبي ﷺ: فأخبرته؟ قال: لا، قال ﷺ: فأخبره، قال: فلقيه

بعد، فقال: والله إني لأحبك في الله، قال: فأحبك الذي له أحببتني»[(١)]

ولن أكتفي بإخبار ابنتي أنني أحبها، بل إنني سأعلن هذه المحبة أمام كل من زارنا وأمام كل قريب لنا، فإعلان المحبة منهج رباني قويم؛ روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».



تمرين

أيها الأب الكريم

اكتب في ورقة الطرق التي تستخدمها لتشعر ابنتك أنك تحبها

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

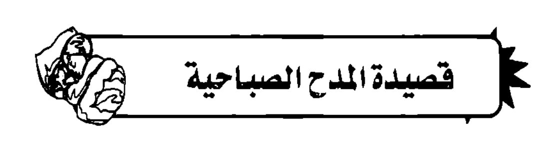
ثم قل لابنتك:

اكتبي الطرق التي تحبين أن أعبر – لك – بها عن حبي ...

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

وانظر للفارق .. وافعل ما تحتاج إليه ابنتك يوميًا وأسبوعيًا وشهريًا وسنويًا..

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٢٩٩٢.

قصيدة المدح الصباحية

يقول أحد الآباء: تعودت مع ابنتي أن أستقبلها كل يوم صباحًا بقصيدة المدح الصباحية، ففي أول لقاء بيننا في الصباح أقول لها: لقد استيقظت اليوم من نومك أجمل من الأمس...

وبعدما ترتدي ملابسها وتستعد للخروج إلى مدرستها أقول لها: هذه الملابس جميلة عليك جدًّا، أنت من تجعلين الملابس أجمل، ثم أستودعها الله تعالى وأقبل رأسها ثم تنصرف...

لقد فعلت ذلك عندما قرأت قصة النبي ﷺ مع صاحبة الخميصة[1]

إنها أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص...

أبوها هو خالد بن سعيد بن العاص كان ثالث أو رابع من دخل الإسلام، ومع تعذيب قريش للمسلمين هاجر أبوها وأمها إلى الحبشة مع جموع المهاجرين، وفي الحبشة ولدت أم خالد، فسماها أبوها أمة (بفتح الهمزة والميم)، وهناك عاشت في جوار النجاشي ملك الحبشة ورأت إكرامه للمسلمين واحتفاءه بهم، وبعد فتح خيبر حانت ساعة الرحيل عن الحبشة، فتجهز المسلمون في سفينتين واستعدوا للرحيل صوب المدينة المنورة، وعلى شاطئ البحر ودعهم النجاشي قائلاً: أقرئوا جميعًا رسول الله ﷺ مني السلام..

بعد رحلة بحرية مليئة بالشوق لرؤية الحبيب محمد ﷺ، حطّ المسلمون رحالهم بالمدينة، وسارعوا نحو رسول الله بشوق وحنين، واستقبلهم الرسول ﷺ بمحبة

---

(١) الخميصة: هي كساء من حرير، أو صوف مخطط، والخميصة هي الثوب الأسود الجميل المنقوش.

ورحمة، وكان هذا اللقاء الأول الذي جمع بين أم خالد (أمة) وحبيبها محمد ﷺ، وفي هذا اللقاء – رغم صغر سنها – أبلغت النبي ﷺ سلام النجاشي ملك الحبشة، وعن هذا تقول: سمعت النجاشي يوم خرجنا يقول لأصحاب السفينتين: أقرئوا جميعًا رسول الله مني السلام، وكنت فيمن أقرئ رسول الله ﷺ من النجاشي السلام[1]

لقد حملت السلام من ملك الحبشة فوعته وحفظته، وبلغته للرسول ﷺ فأدت الأمانة وحازت الشرف، لقد فعلت ذلك لأنها تربت في بيت يحترم شخصية الصغار، وفي مجتمع يعرف للصغير قدره، وفي دينٍ يمزج العطف على الصغير بالرحمة والمودة.

وذات يوم أتي النبي ﷺ هدايا من الثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال ﷺ لأصحابه: من ترون أن نكسو هذه؟ فسكت القوم إجلالاً وهيبة، فقال: ائتوني بأم خالد...

يا الله، لم ينسَ النبي ﷺ أم خالد، بل يعرف ﷺ أن هذه الخميصة ستناسب مقاسها، ولم يرسلها لها بل أحضرها لتتشرف بأخذ الهدية من يديه.. ووصل أبوها الخبر، فحمل ابنته وجاء مسرعًا نحو الحبيب ﷺ وهنا تصف أم

(١) فائدة لطيفة: خرج المسلمون مهاجرون إلى الحبشة في سفينة واحدة، فكيف عادوا في سفينتين؟ لقد جاءت السفينة الثانية من اليمن، حيث خرج أبو موسى الأشعري مع قومه في سفينة متوجهون إلى المدينة، لكن الرياح حملتهم إلى الحبشة فأقاموا هناك وعادوا مع من هاجر من مكة إلى الحبشة، فعادوا في سفينتين، ولقد بشرهم النبي أن لهم بدلًا من الهجرة هجرتان ...

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ (إلى المدينة) ونحن باليمن، فخرجنا إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، في بضع وخمسين رجلًا في قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا (إلى المدينة)، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا، يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس (زوجة سيدنا جعفر بن أبي طالب)، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقانكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار – أو في أرض – البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله ورسوله ﷺ وايم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله ولا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا؟ قال: «فما قلت له»، قالت: قلت له كذا وكذا، قال ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم – أهل السفينة – هجرتان». قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالًا، يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ.

خالد لحظة قدومها على مجلس النبي ﷺ فتقول: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر... فأخذ ﷺ الخميصة بيده فألبسني... ثم قال ﷺ لأم خالد: سنه سنه... وكان في الخميصة علم (خط) أخضر أو أصفر، فقال ﷺ: «يا أم خالد، هذا سناه»[1]

وبعد أن تشرفت أم خالد بتلك الهدية النبوية الكريمة، واستقر بها المقام في مجلس النبي، ذهبت تلعب، أتعلم أين ذهبت تلعب؟ إنها ذهبت لتلعب مع النبي ﷺ، ولم تكتف بذلك بل إنها ذهبت تلعب بخاتم النبوة، وعن هذا الموقف تقول: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي (نهرني أبي)، قال رسول الله ﷺ: «دعها»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي».

وهذا دعاء من النبي ﷺ لأم خالد بطول الحياة حتى يبلى الثوب ويخلق، ثم يبلى غيره ويخلق، ثم يبلى غيره ويخلق..

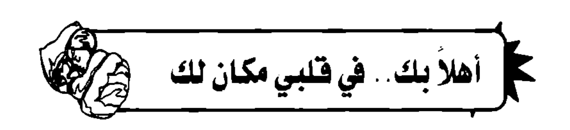
يقول عبدالله بن المبارك: فبقيت أم خالد حتى ذكر من طول بقائها، وقال الذهبي: وأظنها آخر الصحابيات وفاة، بقيت إلى زمن سهل بن سعد... وسهل بن سعد هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان من أبناء المائة، توفي سنة إحدى وتسعين للهجرة وقيل سنة ثمان وثمانين للهجرة...

ورغم طول عمر أم خالد رضي الله عنها، ورغم زواجها بالزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وإنجابها منه خالدًا وعمرًا، ورغم ما مر بها من أحداث، إلا أنها ظلت تحكي ذكراها مع الحبيب ﷺ، ترويها لأبنائها وأحفادها من بعدهم، بل إنها ظلت محتفظة بالخميصة في أفضل مكان في بيتها حتى رآها أبناؤها وأحفادها[2]

---

(١) يقول عبدالله بن المبارك: سنه وسناه: معناها بالحبشية «حسنة»... فالنبي ﷺ كلم أم خالد بلغة الحبشة ذلك البلد الذي ولدت فيه وتعلمت لغته، والنبي ﷺ بعد أن ألبس أم خالد الثوب بيديه مدحا وقال لها: ما أجمل الثوب عليك، ومدح ما فيه من ألوان وخطوط.

(٢) انظر: صحيح البخاري ح ر ٥٩٩٣، ح ر ٥٨٢٣، ح ر ٣٨٧٤، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧١) (٣/ ٤٢٤).



فقد روى أبو داود عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلاً، برسول الله ﷺ، من فاطمة كرم الله وجهها: كانت إذا دخلت عليه ﷺ قام إليها، فأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها»[١]

إنه استقبال الحبيب لحبيبه..

فهذا هو النبي الكريم والأب الحنون ﷺ يستقبل ابنته الحبيبة بأربعة أشياء:

أولها: «قام إليها»: وهذا لإظهار المحبة، يقف ﷺ لابنته أيًا كان ما يفعله ﷺ، وأمام من كان موجودًا في البيت مع النبي ﷺ، يا ترى ما هو إحساس البنت عندما يقف لها أبوها عندما يراها داخلة عليه في مجلسه؟! وما بالكم إن كان أبوها هو رسول الله ﷺ؟!

والثاني: «فأخذ بيدها»: فالنبي ﷺ يمد يده ليسلم على السيدة فاطمة رضي الله عنها، وهذه المصافحة بين الأب وابنته تحمل في طياتها معاني الرضا والقرب.

---

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٥٢١٧ ، وصحيح الترمذي ح ر ٣٨٧٢ ... السَّمْت : حُسْن الهيئة والمَنْظَر في الدين وهيئة أهل الخير، والهدي والسمْت : عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السَّكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة ؛ و الدَّلّ والهَدْيُ : قريبٌ بعضُه من بعض، وهما من السكينة وحُسْن المَنْظَر ، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمَنْظر والشمائل وغيرها، لسان العرب.
وتريد السيدة عائشة أن تقول : ما رأيت أحدًا أشبه برسول الله في قيامه وقعوده وحركته ومشيته وهدوئه وسكونه وحسن منظره وحسن سيرته من ابنته فاطمة ، فكانت أشبه الناس بأبيها ﷺ

والثالث: «وقبلها»: العلماء يقولون قبَّل جبهتها أو رأسها، إنها قبلة الحنان والمودة، وكم من بنت عاشت مع أبيها سنين لم يقبلها ولا مرة واحدة.

والرابع: «وأجلسها في مجلسه»: هنا يا ابنتي، اجلسي بالقرب مني، فكم أنا سعيد لمجيئك، ومشتاق للجلوس بالقرب منك، هذه بعض المعاني التي تصل إلى قلب البنت عندما يجلسها أبوها في مجلسه، فما رأيك بأب يبعد ابنته دومًا عن مكان جلوسه؟

والسؤال الآن:

بأي طريقة تستقبل أبناءك؟ اسأل هذا السؤال لنفسك ولأقاربك من الآباء والأمهات..

بأي طريقة - يا أولاد ويا بنات - يستقبلكم أبوكم (أو أمكم)؟ وبم تشعرون حينها؟ وما الطريقة التي تحبونه أن يستقبلكم بها؟ اسأل هذا السؤال لأبنائك وبناتك وطلابك وطالباتك إن كنت مدرسًا..

تقول إحدى الأمهات:

تعودت أن أحسن استقبال ابنتي (٧ سنوات) وأخيها (٤ سنوات) عند عودتهم من المدرسة والروضة معًا، فعندما ينزلان من حافلة المدرسة يجدونني واقفة أنتظرهم في شرفة المنزل، فيلوحون لي بأيديهم وألوح لهم مبتسمة، فيسرعان بالصعود إلى شقتنا، ليجداني في انتظارهم داخل الشقة بترحاب كبير، ومن سعادتهما بهذه الطريقة في انتظارهما، فإنهما إن جاءا يومًا ونزلا من الحافلة ولم يجداني في الشرفة بانتظارهما، فإنهما يصعدان في حزن ويقولان لي: هذه المرة لا تحسب، لا بد وأن نعود للأسفل ونخرج إلى الشارع، وأنت تنتظرين في الشرفة، ثم نشير لك بأيدينا وتفعلين الأمر نفسه، وبالفعل ينزلان إلى الشارع من جديد لنقوم بمراسم الاستقبال اليومية... قد يقول البعض: إنني أم فارغة

أو عندها وقت، لكنني أقول لكم: إنني أم مشغولة جدًّا، حيث أعمل طبيبة أطفال، لكنني قررت أن يكون أبنائي هم رقم واحد في حياتي...

يقول أحد الآباء:

لي طريقة مميزة أستقبل بها ابني المحب للعب والمرح، فعندما يرن جرس الباب وأعرف أنه بالباب عائدًا من المدرسة، أختبئ منه ويسأل أمه: أين بابا؟ فتقول له: ابحث عنه، فينطلق مسرعًا يبحث عني في أرجاء البيت، وفجأة يجدني أو أجده أنا، فيحتضنني وأحضنه بمحبة وسعادة، إنني أشعر عندما أفعل ذلك معه أن نشاطي يتجدد والدم النقي يجري في عروقي...

طرق الاستقبال الثلاث

هناك ثلاث طرق لاستقبال الأبناء..

١- الاستقبال الجيد.

٢- الاستقبال السيئ.

٣- الاستقبال السلبي.

والاستقبال الجيذ الطيب للأبناء بكلمات مثل: أهلاً بالبطل، وحشتني، البيت بدونك كان مظلمًا، أهلاً بست البنات، أهلاً وبالأحضان... هذا الاستقبال يوصل لهم رسالة تقول: نحن نحبكم، مرحبا بكم في البيت، أنتم مصدر سعادة لنا، نحن مشتاقون لكم، ننتظر عودتكم بفارغ الصبر...

أما الاستقبال السيئ للأبناء بكلمات مثل: هل عدت يا فاشل، أهلاً بالغبي، ليتك لم تعد، مرحبًا بالابن العاق... فهذا يوصل للطفل رسالة تقول: نحن نكرهك، ليتك تخرج ولا تعد، خروجك مريح وعودتك ثقيلة، لست الابن الذي نفضله، ابحث لك عن مكان آخر..

وفي الاستقبال السلبي يعود الولد أو البنت من الخارج بعد غيبة ساعات، ويدخل إلى البيت دون أن يشعر بهم أحد، وقد يلقي السلام فلا ينتبه لهم أحد، فهناك من يشاهد التلفزيون والآخر في مكتبه والأم في المطبخ، ولا أحد لديه وقت ليعطي اهتمامًا لا جيدًا ولا سيئًا، وهؤلاء تصلهم رسالة تقول: وجودكم مثل عدمه، ابحثوا عن أحد غيرنا يهتم بكم، أصدقاؤكم ربما يكونون أحن عليكم منا..

أحسِن استقبال ابنتك.. تحسن استقبالك

هناك قاعدة في التربية اسمها «التبادلية التربوية».

فإن قلت لابنك: «حضرتك».. سيقول لك بدوره: «حضرتك».

وإن طرقت الباب قبل أن تدخل عليه حجرته.. سيطرق الباب قبل أن يدخل حجرتك.

وإن استأذنت منه قبل أن تأخذ قلمه.. سيستأذن بدوره قبل أن يأخذ منك شيئًا..

والدليل القرآني على هذا المبدأ التربوي يأتينا في قصة سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، فخطاب سيدنا إبراهيم لابنه كان بلفظ ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾... فكان رد الابن ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾..

وهذا المبدأ الرائع نراه واقعًا ملموسًا في حياة النبي ﷺ مع ابنته فاطمة رضي الله عنها، فقد كان ﷺ يستقبل ابنته بأشياء أربعة (الوقوف، والمصافحة، والقبلة، والجلوس في المجلس)، والأشياء الأربعة بالضبط كانت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - تفعلها مع أبيها ﷺ عند دخوله عليها، وهذا واضح في قول السيدة عائشة: «وكان ﷺ إذا دخل عليها؛ قامت إليه، فأخذت بيده

فقبلته وأجلسته في مجلسها»..



وهنا يقول أحد الآباء:

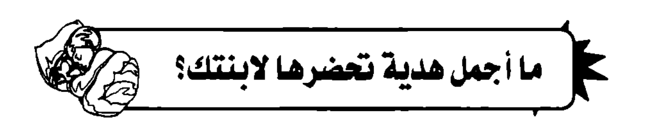
عندما رزقني الله بابني الصغير، وبلغ من العمر ثلاثة أعوام، كنت أسعد كثيرًا بالسير معه في الشارع وأنا ممسك بيده، وكنت لا أكتفي بإمساك يده، بل كنت أمرر إصبع يدي - التي تمسك بيده - برفق على ظهر يده التي أمسك بها، فعلت ذلك معه سنين، وكبر ابني وتزوج ورزقه الله بأبناء وبنات، وتبدلت الأحوال وهو اليوم يمسك بيدي ونحن نسير في الشارع، ولقد فاجأني يومًا بأنه يمرر إصبع يده على على ظهر يدي وهو ممسك بها..

وفي إحدى الدول العربية كان هناك أحد التجار الكبار، ولأنه ميسور الحال فقد بنى لكل واحد من أولاده دورًا كاملاً في عمارته، واختار لنفسه الدور الأول، تزوج الأبناء والبنات وكل واحد منهم في شقته أعلى شقة الوالد، والسؤال: كم مرة يا ترى كان هؤلاء الأبناء يرون والدهم كل يوم؟ سيقول أحدكم: خمس مرات مرة مع كل صلاة، وسيقول آخر: مرتان الأولى في الصباح عند الذهاب إلى العمل والثانية في المساء عند العودة... لكن المفاجأة كانت كالتالي: لقد اختفى الأب عن الأنظار أيامًا، ولم يشعر بتغيبه إلا البواب، فكلم أبناءه بأن والدهم لم يظهر منذ فترة، فبحثوا عن أبيهم واتصلوا به بلا فائدة، فقرروا كسر باب الشقة ليروا ما الخبر، وبالفعل كسروا الباب، ومن هول المفاجأة لم يتحرك أحد منهم من مكانه، لقد وجدوا أباهم ميتًا والفأر قد أكل جزءًا من أذنه بعد موته، ولقد قال الطبيب: إن تاريخ الوفاة قد

حدث منذ سبعة عشر يومًا، كل هذه المدة وأبناؤه لا يشعرون به مع أنهم يمرون عليه صباح مساء... وعندما سأل الناس عن السبب، علموا أنه كان تاجرًا كبيرًا جدًا، وكان مشغولاً جدًّا عن أبنائه، وكان لا يراهم إلا مصادفة، وكبر الأبناء وردوا الجميل لوالدهم، فلم يكونوا يرونه إلا بالمصادفة، وكما تدين تدان...

أبي الحبيب .. أمي الغالية ..

- **حتى أطرق باب غرفتكم، فمن فضلكم اطرقوا باب غرفتي قبل الدخول.**
- **حتى لا أفتش في متعلقاتكم الشخصية؛ فأرجوكم لا تشعروني يومًا أنكم تفتشون في ممتلكاتي، وإن فعلتم فلا تتركوا وراءكم أثرًا يدل على هذا التعدي الخطير على حقوقي (كما أعتقد).**
- **إذا أردتم أن تسمعوا مني كلمات مثل: حضرتك.. لو سمحت.. بعد إذنك، فمن فضلكم قولوها لي أنتم أولاً..**
- **أعطوني من الوقت والاهتمام (المتوازن) ما تحبون أن تجدوه مني عند الكبر والله المستعان..**

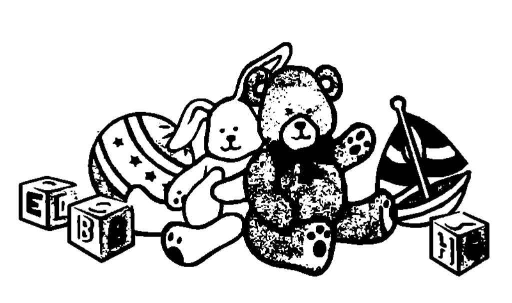


ما أجمل هدية تحضرها لابنتك؟

عندما أسأل هذا السؤال للآباء والأمهات؛ فإنهم يقولون: عروسة، أدوات تجميل، لعبة إلكترونية، كتاب تقرؤه، مفرش جديد لسريرها، فستان جميل... وغيرها.

لكنني أرد عليهم قائلاً: أفضل هدية تقدمونها لأبنائكم هو.. «أنتم»... فساعة واحدة سعيدة قرب أبنائكم تساوى الدنيا وما فيها..

يحكى أن رجلاً ثريًا دخل محلاً للعب الأطفال، وقال للبائع: أريد أغلى لعبة عندكم، فأنا أب مشغول كثير عن ابنتي وأريد أن أهديها في العيد أفضل هدية..



مشى البائع في المحل ذهابًا وإيابًا، وظل يبحث هنا وهناك، وفجأة أمسك بالرجل الثري وقال: ها هي أفضل هدية، فقال الثري: ما هذا؟! هل جننت؟ فقال البائع الحكيم: إن أفضل هدية تقدمها لابنتك هي «أنت»..

وهذا طبعًا لا يمنع بعد أن تعطي ابنتك حقها في الوقت والجهد، أن تشتري لها أجمل الهدايا من لعب وغيرها...



سألت الكثير من الفتيات:

إن تعرضت للمعاكسة في الشارع أو على الإنترنت، أو تعرضت للتحرش في الطريق أو من أحد الأقارب.. فلمن تحكي؟ ولمن تشتكي؟

الغريب أن نسبة عالية منهن قلن: لا نحكي لأحد.. والبعض قلن: أحكي لصديقتي.. وقلة منهن قلن: أحكي لأمي.. ونسبة لا تذكر قلن: أحكي لأبي..

إن كثيرًا من البنات عندما يتعرضن لتحرش في الشارع أو المواصلات، أو تعرضن لمعاكسة، يخفن من الشكوى للأهل، أتعلم لماذا؟

لأن الأب سيصب غضبه عليها، متهمًا لها بسوء الأدب وأنها هي السبب.. وستحول خوفه عليها إلى هجوم عنيف ضدها، مثله مثل رجل رأى ابنه في خطر وهناك سيارة ستصدمه، إنه طبعًا سيسارع لإنقاذ ابنه من أمام السيارة، لكن الغريب أنك تراه لا يحضن ابنه، بل يعنفه قائلاً: انتبه.. وربما يضربه... هكذا يعبر عن حبه لابنه وخوفه عليه بطريقة عكسية ظاهرها الغلظة والقسوة، والرسالة النهائية التي تصل إلى الطفل هو أن أباك يكرهك... هذه الرسالة هي نفسها التي تصل إلى البنت

اسمع الشكاوى الصغيرة من ابنتك (من المدرسة - والصديقة - والأم) باهتمام وحاول مساعدتها؛ حتى تصارحك ابنتك بما تمر به (من المضايقات والمعاكسات والتحرشات)... فتنقذها قبل فوات الأوان.

الشاكية من معاكسة أو غيرها..

ولقد سألني أحد الآباء يومًا: لم لا تشتكي البنت.

لأبيها وتحكي همومها له؟

فقلت: ومن قال إنها لا تفعل؟! لقد حاولت كثيرًا أن تشكو له ما تلاقيه في المدرسة وفي التعامل مع الصديقات وفي النادي وفي حفظ القرآن..

لقد حاولت كثيرًا وكانت النتيجة أنهم اتهموها أحيانًا بأنها ثرثارة.. وأحيانًا أخرى بأنها ضعيفة الشخصية فلا تستطيع حل مشكلاتها وتستشير في كل صغيرة وكبيرة.. وفي بعض المرات قالوا لها: نحن متعبون، لا وقت لدينا، الأمر تافه، الوقت غير مناسب، في وقت آخر (وعادة لا يأتي هذا الوقت)، وربما نكتفي بالصمت وعدم الرد..

إن كثيرًا من الخذلان الذي نراه في حياتنا كآباء وأمهات، كثير منه بسبب خذلاننا لأبنائنا وتخلينا عنهم في مواقف يحتاجون فيها إلينا، قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[١]

إنني أعرف أحد الآباء يعمل بمهنة المحاماة، وهو محامٍ ناجح جدًّا وموفق إلى حد بعيد، وفجأة مرت به محنة عاصفة كادت تعصف بعمله وبمكتب المحاماة الذي يملكه، في شهر واحد خسر خمس قضايا مهمة جدًّا، وكادت سمعته تتحطم... يقول: فجلست يومًا أبحث عن سبب ما أنا فيه، فبدأت

(١) صحيح الجامع للألباني ح ر ٥٦٩٠.

بالعبادات فوجدتني بفضل الله أحاول، وفي أكل الحرام لا أتساهل، ومع أبي وأمي أجتهد في البر... وفجأة عرفت السبب، إنها ابنتي ذات الثلاث عشرة سنة، لقد قصرت في حقها كثيرًا وخذلتها طوال ثلاثة أشهر، لقد جاءتني يومًا باكية وطلبت مني أن أزورها في المدرسة لأرفع ظلمًا قد وقع عليها هناك، وكل يوم كنت أعدها وأخلف وعدي، فعلت ذلك معها على مدار فصل دراسي كامل وهي صابرة محتسبة تذكرني كل يوم، حتى ملت الانتظار وتيقنت أنها ليست على قائمة أولوياتي، وفي الفصل الدراسي الثاني أصيبت بحالة نفسية عصبية حالت دون ذهابها إلى المدرسة، وهي الآن تعالج عند طبيب نفسي... لذلك أسرعت نحو ابنتي لأصحح ما أفسدت، كانت هي أهم شيء الآن في حياتي، لقد خذلتها فخذلني الله تعالى.. وبعد طول صبر واجتهاد رجعت البسمة إلى وجه ابنتي، ورجع التوفيق إلى حياتي..

إن النبي ﷺ قد ضرب لنا أروع الأمثلة في الاستماع لابنته وخوفه عليها وبذل الوقت والجهد في سبيل إسعادها والدفاع عنها... فذات يوم خطب سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ بنت أبي جهل ليتزوجها على السيدة فاطمة رضي الله عنها، فقال له أهلها: لا نزوجك على فاطمة حتى نستأذن، وذهبوا ليستأذنوا النبي ﷺ، وسمعت بذلك السيدة فاطمة ووصلها الخبر، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل..

فماذا فعل النبي ﷺ في هذا الموقف؟

على الفور نادى المنادي في المسلمين: (الصلاة جامعة)، فاجتمعوا في المسجد ليروا ما الأمر الخطير الذي جمعهم النبي ﷺ لأجله، وصعد النبي ﷺ المنبر وقال:

«إن فاطمة بضعة مني (قطعة مني)، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد».

وفي رواية قال ﷺ: «إن بني هشام بن المغيرة (أعمام بنت أبي جهل) استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها»[١]

وفي رواية قال ﷺ: «إن فاطمة بضعة مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها، وإني لست أحرم حلالاً، و لا أحل حرامًا، و لكن و الله لا تجتمع بنت رسول الله و بنت عدو الله تحت رجل واحد أبدا»[٢]

فترك عليّ ﷺ تلك الخِطبة (بكسر الخاء) وقال: «لا آتي شيئًا تكرهه يا رسول الله».

ما أروعك من أب يا رسول الله، كان يمكن أن تخبر عليًّا فيما بينك وبينه، لكنك أردت أن يجتمع الناس لتعلن حبك الشديد لابنتك «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني، ومن آذاها آذاني»، ثم لتخبر عليًّا الخبر على الملأ؛ لأن الأمر قد صار إشاعة بين الملأ، وليتعلم المسلمون كيف أن بنت النبي ﷺ اشتكت له فأجابها وترك كل ما في يده وأسرع لنجدتها وإزالة كربتها.. إنه الحبّ الأبوي الصادق الذي لا يخذل ابنة جاءت تستنجد بأبيها صادقة محقة.. ولذلك فبعد وفاة الأب المحب ﷺ توقفت السيدة فاطمة -ضي الله عنها- عن الضحك، فروي أنها لم تُرَ مبتسمة بعد وفاة أبيها إلا ساعة فارقت الحياة لأنها ذاهبة للقاء الحبيب على شوق، فكانت أول أهله لحاقًا به ﷺ.

---

(١) يريبني: من الريبة وهي الشك والقلق.

(٢) صحيح الجامع للألباني ح ر ٢١١٥.

فائدة:

هذا الحديث رواه البخاري في باب (ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف) أي في دفاع الأب عن ابنته ودفع الغيرة عنها وطلب الإنصاف لها..

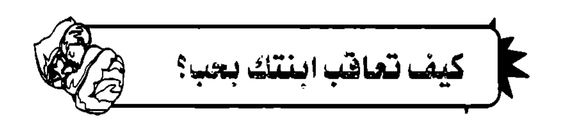
ويقول الحافظ ابن حجر: كانت هذه الحادثة بعد فتح مكة، والسبب في منع النبي ﷺ عليًا من الزواج ببنت أبي جهل على السيدة فاطمة رضي الله عنها، أن السيدة فاطمة كانت أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة (ماتت أمها وماتت كل أخواتها) فلم يبقَ لها من تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تُفضي إليه بسرها إذا حصلت لها الغيرة[١]

لقد خشي النبي ﷺ أن تدفعها الغيرة لفعل ما لا يليق بحالها ومنزلتها، وهي سيدة نساء العالمين، خاصة وأنها فقدت أمها، وجميع أخواتها، ولم يبقَ لها ما تشكو له حالها وتفضي إليه بأسرارها.

قال ابن حبان: «هذا الفعل (خطبة بنت أبي جهل) لو فعله عليّ كان ذلك جائزًا، وإنما كرهه ﷺ تعظيمًا لفاطمة، لا تحريمًا لهذا الفعل»[٢]. قال ابن حجر: وفي الحديث حجة لمن يقول بسد الذريعة لأن تزويج ما زاد على الواحدة حلال للرجال ما لم يجاوز الأربع، ومع ذلك فقد منع من ذلك في الحال لما يترتب عليه من الضرر[٣]

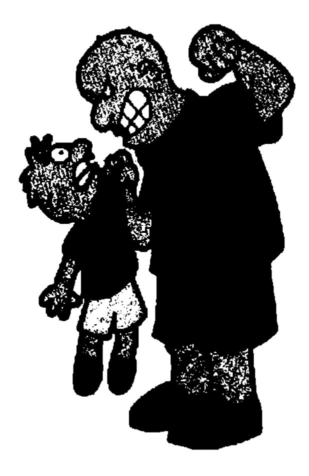
* * *

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٨٦.
(٢) صحيح «ابن حبان» (١٥/ ٤٠٧).
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٨٦.



كيف تعاقب ابنتك بحب؟

يقول أحد الآباء:



أنا محامٍ مجتهد ولي سمعة جيدة، وطبعًا هناك زبائن متعبون ومكالمتهم في التليفون تكون ثقيلة جدًّا على قلبي، وذات يوم كنت في البيت فاتصل أحدهم، وكم كانت مكالمة صعبة وطويلة وثقيلة، وخلال المكالمة جاءت ابنتي ذات التسع سنوات وطلبت مني شيئًا، فأشرت لها بيدي ليس الآن، فألحت في الطلب، فضربتها بقدمي.. وانصرفت باكية..

بعد المكالمة التليفونية المزعجة، شعرت أنني ظلمت ابنتي وأخرجت غضبي من الزبون (الثقيل) فيها وقسوت عليها بلا داعٍ، فذهبت إلى غرفتها وقلت لها: لقد ظلمتك، وأنا آسف...

لقد ردت عليَّ البنت ردًّا صدمني وأشعرني كم أنا صغير، لقد قالت وهي تبكي: لا يا بابا لا تعتذر، اضربني ولا تعتذر فاعتذارك كبير جدًّا عندي، اضربني ولا تتأسف ولا تصغر نفسك أمامي... هكذا قالت ابنتي... ومن لحظتها انتهى عهد الضرب بيننا، من ساعتها لم أضرب أحدًا من بناتي أبدًا..

ولأن هناك أخطاء؛ كان لا بد من وجود عقوبات، وأنا محامٍ وعندي قانون اسمه «قانون العقوبات»، لكن العقوبات في الشريعة الإسلامية قوية وحكيمة

ورحيمة، ومن هنا جعلت في تعاملي مع أخطاء بناتي ثلاث مراحل من العقاب:

النوع الأول: أخطاء يكون عقابها الخصام ،لا أكلم المخطئة وقتًا محددًا بالدقائق، وفي تلك الفترة أحسن التواصل مع بقية أخواتها.

النوع الثاني. أخطاء أشد ويكون عقابها خصامًا وحزنًا، وعندها أخاصم لمدة من الزمن محددة وبسيطة نوعًا ما، لكنني أتعامل مع المخطئة بعدها بحزن فترة بسيطة من الزمن (وقد يكون الحزن مصطنعًا لأن الخطأ طبيعي ووارد).

النوع الثالث: أخطاء أكبر ويكون عقابها خصامًا وحزنًا وحرمانًا من شيء تحبه المخطئة.

وهكذا عندما تخطئ ابنتي أقول لها: هذا الخطأ يستحق... عقابًا هو الخصام... أو عقابًا أكبر خصام وحزن... أو عقابًا كبيرًا خصام وحزن وحرمان... حسب نوع الخطأ ودرجته.

وبعد أن توقفت عن الضرب وبدأت في تطبيق فكرة العقاب بحب (بالخصام والحزن والحرمان بدون ضرب ولا شتم)، حدثت مع بناتي مفاجأة كبرى...

لقد جاءت خالة البنات تزورنا، كنت ساعتها قريبًا من مكان جلوسها مع زوجتى وبناتي، فسمعت خالة البنات تسألهن: هل ماما تضربكم؟ فقالت ابنتي الكبرى: نعم تضربنا، لكن بابا يعاقبنا بعقاب أشد، فقال خالتها بلهفة واستغراب: ما هو هذا العقاب الأشد؟ فقالت ابنتي: يخاصمنا ويحزن منا...

وأثبتت تجربتي أن العقاب بحب.. أشد على الأبناء بكثير من العقاب بكراهية...

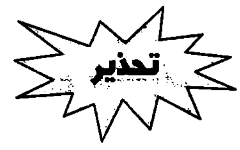
يكمل الرجل حكايته بكل صراحة فيقول:

بعد ذلك جاءت علينا فترة في بيتنا شعرت أن بناتي بدأن يتكبرن على أمهن، فهذه جميلة وهذه متفوقة وهذه متحدثة وأمهم سيدة فاضلة وطيبة تفضل العمل على الكلام، وعندما شعرت أن البنات يعاملن أمهن بسوء أدب... اتفقت معها على خطة.. لقد ألفت قصة مثيرة ودرامية وعشتها مع أمهن كأنها حقيقة واقعة... على الغداء قلت لبناتي: أمكن يبدو أنها فعلت ما عليها وأدت دورها وحان الوقت لكي أتزوج بغيرها... وساد الصمت، وسال الدمع...

في اليوم التالي كانت نظرات بناتي لي حاقدة حزينة، ونظراتهن نحو أمهن رقيقة وحانية، وبدأت أصف لبناتي مواصفات زوجتي الجديدة، وبدأت أذكر لهن محاسنها، فقالت ابنتي الكبرى فجأة: إن اقتربت من هنا سأغتالها...

وبدأت البنات تقف في صف أمهن، وبدأن يفكرن في تطهير البيت من الخلافات، وخلق جو من الحب في البيت، لقد بدأن رحلة إنقاذ أمهن... وكانت البداية على الطعام، فكنا كلما جلسنا على الطعام تقول إحدى البنات: اشكر ماما على الطعام، فأقول: شكرًا.. فتقول: لا، قل لها شكرا يا زوجتي يا حبيبتي، فأفعل مستسلمًا..

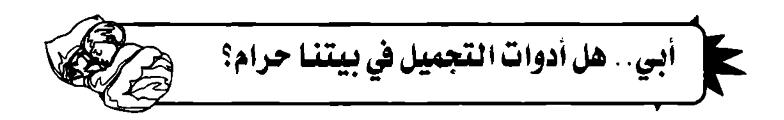
في يوم آخر حكت لي زوجتي أنها دخلت غرفة النوم، فوجدت البنات قد وضعن قميص النوم مع أدوات التجميل على السرير وكأنهن يقلن لأمهن: تزيني لأبي حتى لا تسرقه غيرك... بل إن زوجتي قالت: إن البنات يترقبن حضورك، وقبل حضورك بساعة يقلن لي: بابا على وشك الوصول هيا استعدي له بلبس غير لبس المطبخ...



لقد كانت تجربة مثيرة وخطيرة، لكنها بفضل اللّه مرت بسلام وبدأت البنات يتقربن من أمهن ويعاملنها برحمة ومودة، وبعد تحسن العلاقات أقمت حفلاً أسريًا خاصًا، حضرته زوجتي وبناتي، وقلت لهن: عندي لكن مفاجأة كبيرة، وفي الحفل أخبرتهم الخبر: إنني لن أجد أفضل من أمكم، ولن أتزوج غيرها بإذن اللّه، ثم بدأت أعدد محاسن زوجتي..

لا أنصح أحدًا أن يجرب تلك الفكرة لأنها خطرة ومجنونة، وقد ينقلب السحر على الساحر ويقرر البنات التخلص من أمهن وإحضار أم بديلة تكون أفضل.. ولو حدث ذلك ستحدث كارثة.. نسأل اللّه الستر والعافية..

* * *



أبي.. هل أدوات التجميل في بيتنا حرام؟

في كثير المحاضرات وفي عدد من البلدان كنت أسأل الآباء والأمهات:

متى تحضر لابنتك أدوات التجميل (الماكياج)؟

فكان أغلب الحضور يستغرب كلامي، وبعضهم يعترض إذ كيف يحضر لابنته هذا النوع من الأشياء؟ وآخر يقول: أحضر ذلك لها يوم زفافها... وبعضهم يكتفي بابتسامة تعجبية جميلة..

إن البنت بفطرتها الطيبة تميل إلى التزين والتجمل، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]، والحلية هي كل ما تتزين به المرأة ويزيدها حلاوة، والبنت لا تنشأ منذ طفولتها في الحلية (من تسريح الشعر ونظافة البدن ولبس الحلي البسيطة والاهتمام بالشعر والوجه وغيرها) تفقد كثيرًا من أنوثتها، وعلم النفس يؤكد أن المرأة إذا شعرت بجمالها وأنوثتها كانت نفسيتها هادئة وسعيدة وناجحة... وإذا أردت أن تعرف أهمية التنشئة في الحلية وتأثيرها على سلوكيات المرأة وأخلاقها، قارن بين طفلة نشأت في بيت وحلية وزينة، وطفلة أخرى - في نفس عمرها ومن نفس بلدتها - لكنها تربت في الشارع حيث القسوة والخشونة، ما الفرق بينهما؟

وعندما ترى البنت ذات الفطرة الأنثوية الجميلة أخريات من بني جنسها يضعن أدوات التجميل (الماكياج)، تتمنى من كل قلبها أن تفعل مثلهن لتكون في أجمل صورة، وهنا تخبر الفتاة أمها بهذه الأمنية فتقول لها سرًّا: أريد طلاء للأظافر، أريد أحمر للشفاه... هنا قد تعترض الأم وتنهر ابنتها قائلة: هذا كلام

فارغ، قومي فاغسلي الأطباق، هؤلاء بنات عقولهن فارغة... وقد توافق الأم لكن الأب يعترض بشدة... وإذا حدث المنع من الأب والأم فالبنت أمامها طريقان:

الطريق الأول: أن تستسلم لكلام أمها وأبيها، وتكبت رغباتها، وبمرور الأيام ترث البنت الاعتقاد نفسه بأن الزينة ليست إلا لأصحاب العقول الفارغة... ولقد ذهب شاب يومًا ليتقدم إلى فتاة، وفي يوم زيارة أم الشاب لبيت العروس توقعت أن تراها متزينة وجميلة، فوجدتها لم تلبس ولم تتزين بل جلست أمامها بحجابها، وعندما سألتها الأم: لماذا لم ترتدي فستانًا وتتزيني؟ قالت: أنا لا أحب وضع الماكياج، وعندما أخبرت الأم ابنها بذلك خاف أن تكون بعد الزواج غير مهتمة بزينتها وجمالها، وصلى استخارة واستشار، ولم يتم هذا الزواج...

الطريق الثاني: ترفض البنت وجهة نظر أمها، وتتمرد على محاولات منعها من حقها في التزين والتجمل، وتحاول إشباع رغبتها بطرق متعددة، فتشتري بعض أدوات الزينة من وراء أمها، وتستخدمها في خفية، وإن لم تتمكن من ذلك تنتظر اليوم الذي تخرج فيه إلى الجامعة أو إلى العمل لتفعل هناك ما مُنعت منه بالقوة لسنوات... ولقد رأيت في بعض الجامعات المختلطة بعض الفتيات يحملن في حقائب أيديهن أدوات الماكياج، فتخرج من بيتها بالصورة التي يحبها أبوها، وفي الكلية تبدل حالها على الصورة التي كانت تتمنى فيما مضى أن تفعلها في بيتها، تقضي الفتاة يومها داخل الكلية وبين الذكور بالماكياج، قبل أن تعود لبيتها تزيل ما وضعت وتلبس الوجه الذي يحبه والدها...

لماذا أحضر أدوات الزينة (الماكياج) لابنتي؟

هل تحضر لابنتك أدوات الزينة والتجميل (غير الضارة) في سن ثلاث أو

أربع سنوات وربما قبل ذلك؟

هناك أربعة أسباب تجعلك تفعل ذلك:

١- تزين النساء سنة نبوية كريمة

روى أبو داود النسائي أن امرأة مدت يدها إلى النبي ﷺ بكتاب، فقبض يده فقالت: يا رسول الله مددت يدي إليك بكتاب فلم تأخذه؟ فقال ﷺ: إني لم أدرِ أيد امرأة هي أو رجل، قالت: بل يد امرأة، قال ﷺ: «لو كنت امرأة لغيرت أظفارك بالحناء»(١)

لقد جاءت المرأة بكتاب إلى رسول الله ﷺ، ولكي تعطيه إياه مدت يدها من وراء ستر، فلم يمد النبي ﷺ يده وقبضها لأنه لا يعلم هل هذه يد رجل أم يد امرأة؛ حتى لا يمس ﷺ يد امرأة، وقال لصاحب اليد: ما أدري أيد رجل، أم يد امرأة؟ فقالت: بل يد امرأة، هنا قال ﷺ: لو كنت امرأة لغيرت أظفارك يعني بالحناء..

قال العلماء: وَفِي الْحَدِيث شِدَّة اِسْتِحْبَاب الْخِضَاب بِالْحِنَّاءِ لِلنِّسَاء(٢)

وقال الإمام القرطبي: لا تدع المرأة الخضاب بالحناء فإن النبي ﷺ رأى امرأة لا تخضب فقال: «لا تدع إحداكن يدها كأنها يد رجل. فما زالت تختضب وقد جاوزت التسعين حتى ماتت»(٣)

---

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤١٦٦ ، وصحيح النسائي للألباني ح ر ٥١٠٤.

(٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ١١/ ١٤٩ ... والحناءُ دواء، عن سَلْمَى أُمِّ رَافِعٍ - رضي الله عنها - مَوْلَاةُ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ - قَالَتْ : «كَانَ لَا يُصِيبُ النَّبِيَّ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ - قَرْحَةٌ وَلَا شَوْكَةٌ إِلَّا وَضَعَ عَلَيْهِ الْحِنَّاءَ» السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٢٠٥٩، وفي رواية : كان إذا اشتكى أحد رأسه قال : « اذهب فاحتجم» و إذا اشتكى رجله قال: «اذهب فاخضبها بالحناء». رواه الطبراني في الكبير رقم ٧٥٦ وحسنة الألباني في صحيح الجامع ح ر ٤٦٧١.

(٣) القرطبي في تفسيره ٥/ ٣٩٣. وبالنسبة إلى طلاء الأظافر (المناكير) قال العلماء : إن وضعت المرأة هذا الطلاء - إن لم يكن نوعه مضرًّا - فإنها يجب أن تراعي إزالته عند كل وضوء أو غُسل ليصل الماء إلى بشرتها. أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ، ص ٢٢١.

هذا بالنسبة إلى تزيين المرأة ليديها وأظافرها، أما تجميلها لعينيها فيكون بالكحل وغيره، فقد قال ﷺ: «إِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدُ؛ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ»[(١)]

إذًا هناك أنواع مختلفة للكحل، لكن أفضله هو الإثمد، قال ابن القيم رحمه الله: الإثمد: هو حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصبهان، وهو أفضله ويؤتى به من جهة المغرب أيضًا، وأجوده سريع التفتت الذي لفتاته بصيص، وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ، ومزاجه بارد يابس، ينفع العين ويقويها، ويشد أعصابها ويحفظ صحتها[(٢)]

والاكتحال نوعان:

أحدهما: اكتحالٌ لتقوية البصر، وجلاء الغشاوة من العين، وتنظيفها وتطهيرها بدون أن يكون له جمال، فهذا لا بأس به، بل إنه مما ينبغي فعله؛ لأن النبي ﷺ كان يكتحل في عينيه، ولا سيما إذا كان بالإثمد.

النوع الثاني: ما يقصد به الجمال والزينة، فهذا للنساء مطلوب؛ لأن المرأة مطلوب منها أن تتجمل لزوجها[(٣)]

أما بالنسبة إلى تجميل الفتاة لشعرها، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»[(٤)]

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٧٨) والنسائي (٥١١٣) وابن ماجة (٣٤٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ر ١٢٣٦

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٨٣).

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (١١/ ٧٣).

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني ١/ ٨٩٢، وتخريج مشكاة المصابيح ح ر ٤٤١٢.

هذا حدث مع الرجل، فتجميل الشعر والعناية به في حق المرأة يكون أولى وأجمل..

أما اهتمام الفتاة بوجهها؛ فقد ذهب فقهاء الحنابلة إلى جواز تحمير الوجه بالحناء وغيره من الأصباغ، فقالوا: إن المرأة يجوز لها تحسين وجهها وتحميره من كل ما فيه تزيين له[١]

ومن الفتاوى المعاصرة التي تتعلق بالماكياج فتوى ابن عثيمين التي قال فيها: استعمال أدوات التجميل كتحمير الشفاه لا بأس به، وكذلك تحمير الخدود فلا بأس به لاسيما للمتزوجة[٢]

ابنتي أمام المرآة لا تضيع وقتها .. إنما تطبق توجيهات نبوية

٢- المكياج معه أحكامه الشرعية

إنني عندما أقدم لابنتي ما يناسب سنها من أدوات التجميل (الماكياج) غير الضار، فإنني سأقدم لها معه فقه الفتاة المسلمة، فالعطر - يا ابنتي - لا تخرجي به، وهذا يراه إخوتك، وهذا لا يراه الضيوف من أصدقاء أبيك، هذه حدود لباسك وزينتك أمام إخوتك البالغين... وهكذا أعطي لابنتي فقه الفتاة المسلمة في طفولتها، أعطيها الآداب مع الماكياج فتكون الآداب جميلة، وهنا تعلم ابنتي أن الإسلام والتدين لا يعني كبت الرغبات، وإنما الإسلام دين متعة وجمال مع قواعد وآداب تنظم لنا حياتنا لتكون أطهر وأجمل..

٣- المكياج في الصغر.. نظرة مستقبلية

عندما أسمح لابنتي أن تضع الماكياج (غير الضار) وهي طفلة صغيرة،

(١) الفروع لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح، ط ٤، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م، عالم الكتب بيروت، ١/ ١٣٦، والإنصاف ١/ ١٢٦، وكشاف القناع ١/ ٨٢.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ٢/ ٨٢٨.

فإنها في البداية قد تستخدمه كثيرًا، لكنها رويدًا رويدًا سترى أن الماكياج شيء عادي له وقته ومناسباته، هذا على عكس الفتاة المحرومة الممنوعة من الماكياج في بيتها، فهذه ينطبق عليها قاعدة «الممنوع.. مرغوب».

وأنا أعطي لابنتي المكياج لتستخدمه في البيت بحرية وبقواعده الشرعية، وعيني على المستقبل، فالأيام ستمر وابنتي ستكبر وتلتحق بالمرحلة الثانوية ثم بالجامعة، وهناك ستقول لها إحدى صديقاتها: لماذا يا مريم لا تضعين شيئًا من الماكياج؟ هل أنتم متزمتون؟ عندها ستجيب ابنتي بكل سعادة: إنني أعرف من أدوات التجميل كذا وكذا... وعندي من الماكياج كذا وكذا... وربما عندي أنواع أنت لا تعرفينها، لكنني أستخدمها في بيتي...

أيها المربي الكريم..

عليك أن تسبق غيرك بخطوة، أشبع ابنتك مبكرًا قبل أن تتعرض لفتن، وحقق الوقاية قبل أن تضطر للعلاج..

وعندما تربي ابنتك على التجمل والتزين المتوازن، فإنك تساعدها على الاستقرار في حياتها الزوجية في المستقبل، فتكون لزوجها قرة عين، إن نظر إليها سرته، وإذا تكلم معها أسعدته..

٤- حفل تقديم الفتاة

في إحدى المدن في دولة عربية، عندما تبلغ البنت وتظهر معالم أنوثتها، تقيم الأسرة لها حفلاً يسمى «حفل التقديم»، ويدعى في الحفل كل نساء الأقارب

والجيران، وممنوع أن يدخل الحفل حتى الأطفال، أما ملكة جمال الحفل فإنه البنت التي بلغت ونضجت، يقوم أهلها بتجهيزها كأنها عروس لمدة يوم أو يومين، وتخرج في الحفل في أبهى صورة وأحسن ماكياج، وتقدم الحلوى والمشروبات للنساء، وكأن شعار الحفل: عندنا عروس.. وها هي أمامكن... وهذه الفكرة كانت سببًا في قلة العنوسة بين الفتيات في هذه المدينة...

روى ابن ماجة عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: عثر أسامة (أسامة بن زيد) بعتبة الباب، فشج في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: أميطي عنه الأذى، فتقذرته، فجعل ﷺ يمص عنه الدم ويمجه عن وجهه ثم قال ﷺ: «لو كان أسامة جارية؛ لحليته وكسوته حتى أنفقه»(١)

قال علماء اللغة: أنفق التاجر السلعة، حلاها وملها وروج لها حتى تباع كلها، وهنا يأتي دور المربي الناجح في تزيين ابنته بالأدب الصالح والعلم النافع والزينة الحسنة..

تقول إحدى الأمهات:

لقد عودت ابنتي من صغرها أن نساعد بعضنا في التزين (تسريح الشعر والحناء وغيرها) وأشاركها ما عندي من أدوات الزينة وهي تفعل الأمر نفسه، فعلت هذا معها لسنوات، وذات يوم عندما كانت ابنتي في المرحلة الثانوية، عادت إلى البيت ووقفت أمامي لدقائق تنظر بعينيها، ثم قالت بعتاب رقيق: لم أكن أتخيل أنك تفعلين ذلك؟ فقلت لها: وماذا فعلت؟ قالت: لقد خنت العهد الذي بيننا... أخافتني كلماتها فقلت: أخبريني ماذا فعلت؟ فقالت: لقد وضعت كحلاً في عينيك ولم تنتظريني حتى أضع معك.. لقد خنت صداقتنا..

***

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ١٦٢٠.

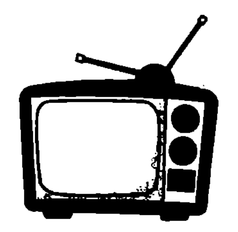

ابني
صاحب الطلبات الكثيرة
متى يكون سعيداً؟

ابني صاحب الطلبات الكثيرة متى يكون سعيدًا؟



من الطبيعي أن تجد في مجتمعاتنا الغني والفقير، والغني هناك من هو أغنى منه، وأبناؤنا موجودون في سلم مادي، هناك من هم أغنى منهم، وفي الوقت نفسه هناك من هم أفقر منهم، وعندما ينظر أبناؤنا فقط لمن هم أغنى منهم، سيجدون في أيديهم نقودًا وأجهزة وأدوات وإمكانات لا يملكها أبناؤنا، وهنا يبدأ التساؤل الحزين: لماذا لا تشتري لي دراجة مثل زميلي؟ لماذا لا أملك موبايل (جوالاً) بنفس الماركة مرتفعة الثمن مثل صديقتي؟ لماذا لا أرتدي أغلى الماركات العالمية مثل زميلي؟ لماذا لا نأكل نوعية الطعام الفاخر مثل جيراننا؟ لماذا ولماذا ولماذا، وفي كل «لماذا» اتهام للأهل بالتقصير والتقتير، ومع كل «لماذا» إحساس بالظلم والقهر والفقر، فماذا نفعل كآباء ومربين تجاه تلك التساؤلات المربكة والتي قد تشعرنا – كآباء وأمهات – بالحزن والقهر والحيرة والألم؟

من إعلانات التلفزيون تبدأ الحكاية



افترض أن ابنك يشاهد برنامجًا أو مسلسلاً تلفزيونيًا محترمًا أو مباراة كرة أو درسًا دينيًا في التلفزيون، هناك طبعًا فواصل إعلانية، وخلال

المشاهدة يتعرض ابنك أو ابنتك إلى خمسة فواصل إعلانية على الأقل، في أولها يشاهد إعلانًا عن مطعمًا فاخرًا للوجبات الجاهزة، وفي الإعلان تأتي الأطعمة بشكل مثير ورائع، هنا يأتي لطفلك إحساس بأنه «جوعان» وفي الوقت نفسه فقير لأنه لم يشاهد ما في الإعلان على أرض الواقع من قبل، وفي الفاصل الإعلاني يشاهد ابنك إعلانًا عن أحدث أنواع السيارات وأفخمها، هنا يشعر أنه فقير لأن أباه لا يملك سيارة أو يملك سيارة متواضعة، في الفاصل الثالث يشاهد ابنك إعلانًا عن المدن الساحلية هنا وهناك، ويتذكر المسكين أنه يحلم برؤية البحر منذ سنين والتمتع مثل هؤلاء المنعمين، هنا يأتيه شعور بأنه شحاذ (شحات متسول)، وفي الفاصل الإعلاني الرابع يشاهد ابنك إعلانًا عن ماركة عالمية من العطور والبرفانات، عندها سيشم رائحة نفسه فيجد ما لا يسرّ، وإن كان يمتلك عطرًا فرخيص الثمن وسريعًا ما يختفي بعدما يضعه، هنا يشعر ابنك أنه غير مرغوب فيه وأنه شحاذ (متسول وشحات)، في الفاصل الخامس يشاهد ابنك إعلانًا عن القرى السكنية الفخمة، ويشاهد في الإعلان طفلاً في مثل سنّه يخرج من بيته الكائن في تلك المدينة ليقفز في حمام السباحة ويخرج ليدخل سوقًا تجارية ضخمة ويمر بحدائق وملاعب واسعة، عند هذا الحد يصل طفلك إلى الدرجة التي يقول فيها لنفسه: تأكد أنك شحاذ (متسول وشحات).

وهنا يكون رد فعل الابن أو البنت كالتالي: قد يشعر بالقهر واليأس ويشعر بالإحباط وييأس ويكتئب شيئًا فشيئًا وينسحب من هذا الواقع الذي يشعر فيه بالقهر، وربما يرفض الابن واقعه وظروفه، ويقرر أن يكون مثل هؤلاء (المتنعمين) بأي طريقة شرعية كانت أو غير شرعية، وقد يشتكي لأب كريم أو أم حنون فيترفق به ويشرح له (نظريًا وعمليًا) واقع الحياة ويساعده

على أن يرى ما هم فيه من نعم ويساعده على الرضا مع الأمل والطموح..

إن تلك الإعلانات وغيرها من مظاهر الحياة المترفة تضعف شعور أبنائنا بالقناعة، ونتيجة لهذا كله نجدهم غير راضين عن طعامنا وشرابنا وملابسنا ومسكننا وحياتنا، هم في هذا ضحايا ومظلومون، وعلاج تلك المشكلة لا يكون بالكلام، فكلمات مثل: اقتنع، احمد ربنا، هناك أناس لا يجدون، هذا ما نستطيع، اشكر الله، كن راضيًا.. لم تعد تشبع جوع أبنائنا، الكلام وحده لا يكفي، إذًا ما الحل؟ كيف أجعل ابني يرضى ويقتنع؟

تعالوا نتأمل المنهج النبوي في التعامل مع القناعة، ونسأل: كيف ربى النبي ﷺ صحابته الكرام على القناعة؟ كيف أشبع قلوبهم وملأها بالرضا؟

* * *



المنهج النبوي في غرس القناعة في النفوس

لقد اعتمد المنهج النبوي على محورين في غرس القناعة في نفوس الكبار والصغار..

المحور الأول: محور نظري إرشادي

وفيه نجد النبي ﷺ يرشدنا إلى أن أغنى الناس هو من رضي بما قسمه الله له؛ روى الترمذي وأحمد أن النبي ﷺ قال موصيًا أبا هريرة رضي الله عنه: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»[1]، ويبين لنا النبي ﷺ أن من أسلم ورزق ما يسد حاجته ويقنعه الله بحاله هو المفلح، روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: « قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»، ولمن أراد الغنى من أبنائنا وبناتنا يرشده النبي ﷺ إلى أن الغنى إحساس وليس امتلاكًا، الغنى شعور قلبي وليس ملكًا يدويًّا، روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»، ثم يجمل لنا النبي وصفة السعادة الدنيوية، ويوضح لنا أن من امتلك الأمان والعافية وقوت اليوم فكأنما ملك الدنيا كلها، روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»[2]

إنها إذًا حزمة من الوصايا النبوية الكريمة، لو استقرت في النفس المسلمة لشعرت بالطمأنينة والرضا والقناعة، لكن هذه الوصايا لا يتذوقها القلب

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ح ر ٢٣٠٥

(٢) صحيح الترمذي للألباني ح ر ٢٣٤٦

المسلم ولا يشعر بحلاوتها بدون الإجراءات العملية في واقع الحياة، وهنا يأتي المحور الثاني (العملي) الذي غرس النبي ﷺ عن طريقه القناعة في نفوس أصحابه.

المحور الثاني: محور عملي واقعي

الكلام والنصح الجميل وحده لا يكفي، ومن هنا يرشدنا النبي ﷺ إلى باقة من الوسائل العملية البسيطة والمؤثرة؛ والتي لا يستغني عنها المسلم ليشعر بالرضا والقناعة والطمأنينة، وكل نصح جميل يلازمه سلوك نبيل، فالنبي ﷺ أخبرنا أن المفلح من قنعه الله بما رزقه، ولذلك كان على المسلم أن يسأل الله تعالى أن يرزقه القناعة، روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم قنعني بما رزقتني»[1]، وكان ابن عباس يقول: احفظوا هذا الحديث، وكان يرفعه إلى النبي ﷺ، وكان يدعو به بين الركنين (في الطواف) رب قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبة لي بخير[2]

ولأن النبي ﷺ قد أخبرنا أنه «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»، ولا يستقر هذا الشعور في النفوس إلا إذا شاهدت غيرها من المرضى والفقراء وفاقدي الأمن، ومن هنا جاءت باقة من الأحاديث النبوية المكرمة التي تحث على زيارة المرضى، روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من عاد مريضًا، لم يزل في خرفة الجنة. قيل: يا رسول الله! وما خرفة الجنة؟ قال: جناها»، وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ: أن طبت وطاب

---

(١) الفتوحات الربانية لابن حجر ٤ / ٣٨٣.

(٢) صحيح ابن خزيمة للألباني ح ر ٢٧٢٨ وقال: إسناده ضعيف.

ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»[(١)]، وهذه جنة الدنيا وهي الرضا عن الله تعالى والرضا بما قسمه، ثم جنة الآخرة برحمة الله وفضله، وروى ابن ماجة عن النبي ﷺ أنه قال: «من عاد مريضًا نادى منادٍ من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا»[(٢)]، وروى البخاري في الأدب المفرد عن النبي ﷺ أنه قال: «من عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس؛ فإذا جلس اغتمس فيها» وفي رواية: «استنقع فيها»[(٣)]، وتروى السيدة عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «خصال ست؛ ما من مسلم يموت في واحدة منهن؛ إلا كانت ضامنًا على الله أن يدخله الجنة: رجل خرج مجاهدًا، فإن مات في وجهه؛ كان ضامنًا على الله. ورجل تبع جنازة،، فإن مات في وجهه؛ كان ضامنًا على الله. ورجل عاد مريضًا، فإن مات في وجهه؛ كان ضامنًا على الله. ورجل توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لصلاته،، فإن مات في وجهه؛ كان ضامنًا على الله. ورجل أتى إمامًا، لا يأتيه إلا ليعزره ويوقره، فإن مات في وجهه ذلك؛ كان ضامنًا على الله. ورجل في بيته؛ لا يغتاب مسلمًا، ولا يجر إليهم سخطًا ولا نقمة، فإن مات؛ كان ضامنًا على الله»[(٤)].. فأي أب وأي أم يحرم ابنه من هذه الرحمات فهو والله أب محروم وابن مظلوم.

ولأن النبي ﷺ قد أخبرنا أن «ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»؛ فإنه ﷺ قد دلنا على طريق الرضا العملي الواقعي، ويكون ذلك بأن تنظر لمن هو أقل منك وتشاركه بعضًا من همومه، وبهذا يلين قلبك ويهدأ طمعك ويتجدد الرضا في قلبك، روى عن النبي ﷺ أنه قال لأبي هريرة: «إن أردت أن

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ح ر ٢٠٠٨.
(٢) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ١١٩٢
(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني ح ر ٤٠٧، وصحيح الترغيب ح ر ٣٤٧٧، وح ر ٣٤٧٩.
(٤) السلسلة الصحيحة ح ر ٣٣٨٤.

يلين قلبك، فأطعم المسكين، و امسح رأس اليتيم»[1]، إنك حينما تطعم الفقير فستكتشف أن هناك من هو أقل منك، وعندما تمسح على رأس يتيم فإنك ستشعر بألم الحرمان، وعندها يطمئن قلبك وترضى عن حالك، والحقيقة أنك إذا نظرت إلى من هو أدنى منك فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك، انظر إلى من هو أدنى منك فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك، وانظر في أمر الدين لمن من هو أعلى منك من أجل أن تسرع إلى الله ﷻ، اجعل لك نظرتين: نظرة في أمر الدنيا لمن هو أدنى منك، ونظرة في أمر الآخرة لمن هو أرقى منك، لكن الناس يفعلون العكس، ينظرون في الدنيا إلى من هم أغنى منهم.

يقول سيدنا عمر عليه رضوان الله: من دخل على الأغنياء ويقصد الأغنياء غير المؤمنين، خرج من عندهم وهو على الله ساخط لا يرى لله عليه أية نعمة، من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط، «يا عائشة إن أردت اللحوق بي، فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستخلفي ثوبًا حتى ترقعيه، وإياك ومجالسة الأغنياء»[2]

إذًا انظر في أمر الدنيا لمن هو أدنى منك، وانظر في أمر الآخرة لمن هو أرقى منك، لا تقس نفسك بالرعاع ولا بالدهماء ولا بالشاردين ولا بالضائعين، ولا بالعصاة، والفاسقين، أنت مكلف لأن تكون في أعلى عليين.

وهنا سيقول بعض الآباء: في عصرنا أصبح الأغنياء هم من يجالسوننا - رغمًا عنا - من خلال إعلاناتهم المفرطة التي تطل علينا على شاشات التلفزيون وتطاردنا حيث انتقلنا، وهذا بدوره يرفع سقف تطلعات أبنائنا، ويجعلهم يشعرون بالحرمان مقارنة بحياة هؤلاء الأغنياء، وهنا يقول لنا أبو حازم وهو

(١) صحيح الجامع ح ر ١٤١٠.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها.

من العارفين بالله: «إنما بيني وبين الملوك يوم واحد، أما أمسي فلا يجدون لذته، وأنا وهم من غدٍ على وجل، وإنما هو اليوم فما عسى أن يكون هذا اليوم»، هذا الرجل الصالح العارف بالله يقول: إن لذائذ الماضي تفنى مع أمس الذاهب، ولا يستطيع أحد إمساكها، وإن الغد في ضمير الغيب يستوي فيه السادة والصعاليك، فلم يبقَ إلا اليوم الذي يعيش فيه العقلاء في حدود ما عرفوا، فبينك وبين الملوك يوم واحد، الماضي مضى والمستقبل لا تملك أنت ولا هم، لكن هذا اليوم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ما قل وأديت شكره خير مما كثر ولم تؤدِّ شكره، ما قل واستخدمته في طاعة الله، خير مما كثر واستخدمته في معصية الله[(١)]

(١) الجانب النفسي في حياة الإنسان ٢ (عش في حدود يومك) لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٥-١١-١٩٩٤.

منهج النبي ﷺ في غرس الرضا في نفوس أصحابه	
محور نظري إرشادي (وصايا تقولها لابنك)	ما يقابله من محور عملي واقعي (وسائل تفعلها مع ابنك)
«قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه».	دعاء.. «اللهم قنعني بما رزقتني».
«وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»... «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».	«إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»... «وإياك ومجالسة الأغنياء».
«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».	«من عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً».



هذه باقة من تجارب الآباء والأمهات، وهي عملية واقعية مبدعة وفاعلة...

(١) رحلة في الشارع تجيب طفلي عن سؤاله

يقول أحد الآباء:

سألني طفلي الصغير يومًا سؤالاً مباغتًا: لماذا لا نملك مكيفًا للهواء مثل صديقي فلان؟ يقول الأب: صدمني سؤال ابني، لكنني تمالكت نفسي واستجمعت فكري وقلت له: نحن في مصر يا بني وفي قريتنا المناخ جميل ولا نحتاج كثيرًا إلى المكيف، مع أن وجوده سيكون جميلاً ورائعًا، ثم ألهمني الله فكرة جميلة فقلت لطفلي: «تعال لنسير معًا في جولة في الشوارع لنرى عدد الناس الذين يملكون مكيفًا للهواء»، وانطلقت معه في الشوارع لمدة ساعة تقريبًا، وقمنا بحصر عدد المكيفات في الشوارع فوجدناهم لا يتعدون العشرة من مجموع المئات من البيوت، وعندها اقتنع طفلي الحبيب، وعاد إلى البيت متعبًا وراح في نوم عميق... (وبالطريقة ذاتها يمكننا معالجة نظرة الطفل لغيره ممن يملكون شيئًا لا يملكه مثل: السيارة، الفيلا، الحديقة بجوار البيت، وغيرها)... يكمل الأب كلامه قائلاً: وبعدما استيقظ طفلي الحبيب، قلت له: تعال لنجلس معًا لنعدد ما يوجد عندنا ولا يوجد عند غيرنا، نحن نعيش في بيت نملكه، وليس عندنا مريض بفضل الله في المستشفى، وليس علينا ديون، وعندك دراجة وكثير من زملائك لا يملكون مثلها... وفي النهاية طلبت من

طفلي الحبيب أن نسجد لله شكرًا على ما نحن فيه من نعم، ولقد شعرت حينها أن طفلي الحبيب قد سجد لله شكرًا بجسده وقلبه وكل جوارحه.

(٢) الميزانية لا تسمح يا أبي

يقول أحد الآباء:

نحن أسرة متوسطة الحال، وهذا ينعكس على نوعية الطعام الذي نتناوله، ولا أذكر أنني اصطحبت أطفالي يومًا إلى تناول الطعام في أحد المطاعم الكبرى، وذات يوم جاءني ابني البالغ من العمر عشر سنين وقال: بابا؛ لماذا لا نذهب لتناول الطعام في المطعم مثل أسرة زميلي فلان؟ ولقد صدمني سؤاله واكتفيت بالابتسام والصمت، ثم قلت له: سأجيبك عن سؤالك ولكن ليس الآن لأنني مشغول، وجلست أفكر كيف أخرج من هذه الورطة؟ كيف أخبره أننا فقراء وأن ظروفنا لا تسمح بذلك؟ هل سأكسر قلبه هكذا أم سأصدمه أم سأجعله يعيش بواقعية؟

وبعد طول تفكير ناديت على ابني وقلت له: سأشرح لك ظروف حياتنا المادية، وحدثته عن راتبي (بصورة تقريبية) ومصروف البيت المخصص للطعام والشراب، وقلت له: لقد كبرت، وأريدك أن تمسك مصروف البيت لمدة أسبوع، وأعطيته مبلغًا من المال وقلت له: المبلغ المتبقى في نهاية الأسبوع سيكون من حقك، وكم كان سعيدًا بهذه الفكرة، ومن اليوم التالي بدأ تنفيذ خطته، وكم خفت أن يبدأ بعزومة في أحد المطاعم لينفق كل ما معه من نقود في وجبة واحدة، لكنه خيب ظني السيئ، وكانت المفاجأة أن أول وجبة غداء تناولناها في ظل وزارته للمالية هي فول، نعم فول وطعمية على الغداء، كل هذا حتى يوفر المال لنفسه في نهاية الأسبوع، وكم اعترض إخوته وطالبوا بأن يمسكوا بالميزانية في أسبوع آخر، ولقد وافقتهم وطلبت من أخيهم (وزير المالية) بأن يجعل الطعام متوازنًا حتى لا يقوم إخوته في الأسبوع القادم بحثنا

على الصيام لأنه فضيلة، ومر الأسبوع سريعًا ومتوازنًا، وكانت أمه مستشارة له فيما يشتريه وما سنأكله، وفي اليوم قبل الأخير قلت لابني الحبيب: ما رأيك أن تجعلنا نتعشى اليوم في أحد المطاعم الفاخرة، فابتسم ابتسامة ماكرة وقال: «الميزانية لا تسمح»، عندها ابتسمت بدوري، لأنني علمت أن إجابتي عن سؤاله قد وصلته.

تقول إحدى الأمهات:

في صغري كانت لي تطلعات شرائية كثيرة، وأحب أن أشتري كل ما أراه في أيدي الآخرين، وكانت حالتنا الاقتصادية ضعيفة، وكانت والدتي سيدة حكيمة هادئة الطبع ميسورة الأخلاق، فكانت تتعامل مع طلباتي بلطف وحزم، فكنت عندما أطلب منها شراء شيء ما تراه زائدًا عن احتياجاتي؛ تقوم وتحضر حقيبتها حيث تحتفظ بالنقود وتعطيها لي قائلة: اشتري ما تريدين لو كانت النقود تكفي، فما عندك من نقود سنفعل به كذا وكذا، وطبعًا كنت أسكت أحيانًا وأضجر أحيانًا أخرى، والظريف أن أمي كانت كلما توفر لديها مبلغ زائد عن الحاجة تناديني وتخبرني الخبر وتستشيرني فيما هو أولوية نستغل فيه هذا المبلغ المالي مهما كان ضئيلاً.. فتحملت أنا المسئولية منذ صغري وتعلمت كيف أضبط رغباتي...

تقول إحدى الأمهات:

كان مصروف البيت لا يكفي أبنائي، كانت مصروفاتهم عالية جدًّا، ودائمًا لا يعجبهم أكل البيت، فكان وقت الطعام في بيتنا عبارة عن مباراة من الغضب والصراخ والحزن والضيق، فقمت بإعطاء أبنائي مصروف البيت لمدة يوم وقلت لهم: أنتم مسئولون عن البيت اليوم وما ستقدمونه لنا من طعام وشراب سنرضى به... وكانت المفاجأة أن أبنائي قد قاموا بإعداد طعام على قدر المصروف اليومي، وكان من الأطعمة التي لا يفضلونها، لكنهم كانوا في قمة السعادة، يبدو أنهم كانوا لا يريدون

أن يملي عليهم أحد رغباتهم، كانوا فقط يريدون أن يكونوا شركاء في صناعة القرار، ومن يومها عرفت السر، وحلت المشكلة..

(٣) ابني ٧ سنين. كيف أحب المساكين؟

منذ سنين كنا في نهاية شهر رمضان، فأخذت نقود الزكاة وهممت بالخروج من البيت لتوزيعها، فقال ابني ذو السبع سنوات: إلى أين يا ماما؟ قلت: لتوزيع نقود الزكاة على الفقراء، هل تريد أن تأتي معي؟ فقال: بشرط أن أحمل النقود معي، فوافقت على ذلك، وجاء معي حاملاً النقود في جيبه اليمين، وقبل أن نصل إلى بيت التي سنعطيها أطلب منه إخراج مبلغ من المال، وهو طوال الرحلة يسمع دعوات جميلة وأمنيات طيبة ويشعر بلمسات الفقراء الحانية، يومها أظنه قد بدأ يشعر بلذة العطاء، وبعدها بأيام بدأت الدراسة، وكنت قد تعودت أن أعطيه مصروفًا وأقسمه نصفين، فلو أعطيته جنيهًا كنت أفكه إلى نصفين (٥٠ قرشًا)، ليضع كل نصف في جيب من جيوب البنطلون، حتى إذا ضاع واحد بقي له الثاني، فأعطيته الجنيه نصفين كعادتي وانتظرت أن ينفذ ما تعودنا عليه، لكنني فوجئت به يضع النقود كلها في جيبه الشمال، وتكرر الأمر يومًا بعد يوم، فسألته: لِمَ لم تعد تقسم النقود كما تعودنا؟ فقال: «خلاص يا ماما، أنا جيبي اليمين لن أضع فيه إلا نقود المساكين، جيبي اليمين من اليوم هو جيب المساكين»، كم فرحت بكلامه وحضنته وشجعته، ومن بعدها أصبحت أعطيه صدقة أسبوعية ليضعها في جيب المساكين، حتى يعطيها لهم، فما أجمل أن يشعر أبناؤنا بلذة العطاء، بدلاً من تربيتهم على لذة الأخذ وفقط، وعندها لن ينظر أحدهم لما في يديّ غيره.

(٤) ضبط التطلعات حتى مع وجود الإمكانات

يقول أحد الآباء: كنت أدخل مع طفلي البالغ من العمر أربع سنوات إلى

السوبر ماركت فيدور فيه ويحمل ما يشاء، كنت أشعر حينها أنني سعيد لأنه يحصل على ما يريد، ومع مرور الأيام بدأت ألاحظ أن مطالبه في ازدياد، وأن حبه للشراء بدأ في التصاعد، وبدأت تطلعاته في التضخم، وهنا قررت أن أعدل من أسلوبي معه، فقلت له: من اليوم ستدخل السوبر ماركت وتطوف فيه كما تحب، لكن لك شيء واحد تشتريه، شيء واحد فقط، وبدأنا في تنفيذ الفكرة، وحاول أكثر من مرة أن يستعطف قلبي لكي يشتري ما يحب، لكنني تماسكت وصبرت على تنفيذ الفكرة، وبمرور الأيام بدأ طفلي الحبيب في تنفيذ فكرة شيء واحد فقط، ومرت السنوات، واقتربت سنّه من الثماني سنوات، وما زالت فكرة شيء واحد فقط هي السارية في بيتنا، ولقد أحضرت له محفظة نقود ليضع فيها أمواله، وبدأ يأخذ من نقوده مبلغًا محددًا ليشتري به وفق قاعدة« شيء واحد فقط»، وذات يوم – منذ كان طفلي صغيرًا – ونحن في السيارة اقترب منا أحد المتسولين طالبًا المال، فسألني طفلي: من هذا؟ فقلت له: هذا متسول (شحات) يريد نقودًا من الناس، وهو يفعل ذلك لأنه أنفق كل نقوده وأصبح محتاجًا، ومن يومها كلما رأى متسولاً قلت له: لأنه أنفق نقوده كلها ولا يعمل ليحصل على النقود، وأنت ولد ممتاز لأنك تعمل في الدراسة والمذاكرة وتحافظ على نقودك، وكلما حاول ابني الحبيب أن ينفق الكثير من ماله (الذي ينفق منه تحت إشرافي أنا وأمه) أذكره ألا يكون مثل المتسولين، وليحذر من إنفاق ماله، وما زلت في محاولة تربيته اقتصاديًّا بصورة أسأل الله تعالى أن يوفقني فيها.

(٥) أبنائي.. وكراسة النعم

تقول إحدى الأمهات: جلست أنا وأولادي يومًا نتذاكر نعم الله علينا، وفكرنا لماذا لا نحضر كراسة نسميها «كراسة النعم»، ونسجل في كل صفحة

نعمة من نعم الله علينا، وماذا نفعل لو كان الله تعالى قد ابتلانا بفقدها، وكيف نساعد من ابتلاه الله بفقدها، وكيف نشكر الله عليها، والله لقد أثمرت تلك الفكرة ثمرات كبيرة منها الرضا والشكر والسعادة، نفذنا تلك الفكرة معًا لمدة ثلاثة أعوام، بعدها كبر الأبناء وانشغلوا هنا وهناك، لكن كل واحد منهم ما زال يحتفظ بكراسته، وربما يضيف إليها، وفي وقت الأزمات والإحباط يفتحها ويقرأ فيها، فتعطيه الأمل والهدوء وربما السعادة.

(٦) ابنتي الصغيرة والمرأة الفقيرة

تقول إحدى الأمهات: كنت يوميًّا أصحب ابنتي الصغيرة من الحضانة بعد نهاية اليوم الدراسي، ونعود معًا إلى البيت، كانت تمسك في يدي بحب ومرح وسعادة، ويوميًّا كنا نمر على امرأة مسكينة، فأعطي لابنتي ٢٥ قرشًا (ربع جنيه) لتعطيه لتلك المرأة الفقيرة، ومرت الأيام وتغيرت الأحوال وحرمتني مواعيد العمل من صحبة ابنتي اليومية، كانت ابنتي الحبية تأخذ مصروفًا قدره يوميًّا نصف جنيه (خمسون قرشًا)، وبعد سؤالها ومتابعتها لكيفية إنفاقه، فوجئت بأنها يوميًّا تنفق نصف ما تأخذه من مصروف، وتحتفظ بالباقي (ربع جنيه) حتى نهاية اليوم الدراسي، وفي طريق عودتها تعطي ما معها من مال للمرأة الفقيرة، لقد بقيت تفعل ما تعودت معي عليه، حفظك الله يا ابنتي، وأطلب منك أن تسامحيني، إذ لم أكن أعرف أن نفسك الطاهرة بها هذا الخير الكثير.

(٧) أبوكم في ضائقة مادية

عندما تمر بالأب أو الأم أزمة مادية، ماذا تفعل؟

إنك عندما تخفى الأمر عن أطفالك فإنك قد تخدعهم وتثقل نفسك بالألم نتيجة مطالبهم التي لا تستطيع تلبيتها، وفي الوقت نفسه إن ضخمت المسألة

فستثقل على أطفالك وتحملهم هومًا لا تناسب أعمارهم، لذلك فالمسألة تحتاج إلى معالجة حكيمة، لا نخفي فيها الأزمة ولا نهون منها ولا نضخمها، ولقد نجح كثير من الآباء في التعامل مع تلك الأزمات الأسرية المالية، وإليك طائفة من تلك التجارب...

تقول إحدى الأمهات:

نحن أصدقاء لأولادنا، وخصوصًا زوجي فهو دائم الحوار معهم، وبفضل الله لا توجد حواجز بيننا، وذات يوم جلس والدهم معهم وأخبرهم أننا نمر بضائقة مالية، وإذا بأولادنا - جميعًا - يجمعون ما في حصالاتهم من نقود (نحن نعلّمهم الادخار)، وقدموا تلك الأموال لوالدهم قائلين: «تفضل يا بابا نقودك».

وتقول أم أخرى:

ذات يوم شعرت ابنتي الكبرى أننا في ضائقة مالية، فبدأت من نفسها بتنفيذ فكرة غريبة، بدأت تخرج للدروس ولا تذهب، تخرج في مواعيد الدروس وتوهمنا أنها ذاهبة للدرس، ولكنها تذهب لتذاكر في المسجد، فعلت ذلك كثيرًا، ويوم أن أعطيناها نقود الدروس لتعطيها للمدرسات، ردتها لنا قائلة: «هذه مساهمة مني في أزمة البيت المالية، وأنا لست بحاجة إلى الدروس فأنا أذاكر جيدًا»، وهذا العام بالذات تفوقت ابنتي في دراستها جدًّا.

ويقول أحد الآباء:

دخل علينا عيد الفطر المبارك، وقبله بأيام لم أكن أملك من المال ما يكفي لشراء ملابس جديدة لأبنائي الخمسة، فقررت أن أعقد لهم اجتماعًا وأحدثهم عن ظروفنا المادية، وبالفعل جمعتهم كلهم، وجلست بينهم قائلاً: لأننا فريق واحد كان لزامًا علي أن أجمعكم لأحدثكم عن ظروف أسرتنا المادية، أنا لا

أملك سوى ٣٥٠ جنيهًا هي الزائدة عن مصروفاتنا، وهي لا تكفي إلا لشراء ملابس العيد لاثنين منكم، فما رأيكم؟ إن أردتم أن أقترض لكم مالاً وأذل نفسي لأحد حتى أشتري ملابس العيد لكم جميعًا، فسأفعل ذلك؟ وإن آثرتم بعضكم واخترتم اثنين منكم فقط لأشتري لهم الملابس هذا العيد، والباقون إن شاء الله يكون دورهم العيد القادم، سأكون شاكرًا لكم، فما رأيكم؟ ساد الصمت بينهم قليلاً، ثم نطقت ابنتي الكبرى قائلة: أنا عندي ملابس قيمة سأحضر بها العيد ولا أريد جديدة، وتبعها باقي الأبناء كلهم لا يريدون ملابس هذا العيد، كلهم يؤثرون إخوتهم ليحموا أبيهم من ذل سؤال الآخرين، وكم دمعت عيني يومها، واحتضنت أبنائي جميعًا وشكرتهم، ويشاء الله تعالى أن يرزقني في اليوم التالي بمبلغ كبير من المال، فبشرتهم بالخبر وقلت لهم: هذا بسبب إيثاركم لبعضكم، وحصل الجميع على ملابس جديدة بما في ذلك أنا وأمهم.

يقول أحد الآباء:

كنت رقيق الحال فقير المال، ورزقني الله تعالى من العيال حظًّا وافرًا، وكانت ابنتي الكبرى محط اهتمامي ومستودع أسراري، كانت تساعدني في ترتيب المعيشة وإنفاق الراتب الشهري، وذات يوم خرجت معها لنشتري لها حذاء، واشتريناه من أحد المحلات وأعجبها بشدة، وبعد أن خرجنا من المحل وقفت قليلًا وقالت: بابا، هذا الحذاء لا يعجبني، فقلت لها: إذًا نرجعه، لكنني لن أعود لصاحب المحل لأرجعه لأنه يعرفني وسأكون محرجًا منه، فاذهبي أنت وأرجعيه لأنك من أوقعتنا في تلك المشكلة، فذهبت ابنتي وأرجعت الحذاء وأحضرت ثمنه، ومشينا، فقلت لها معاتبًا: لم أرجعته وقد أعجبك في البداية؟ فقالت: «ثمنه غالٍ، فأردت أن أرجعه حتى يتبقى معك المال لتشتري

لإخوتي»، هنا صمت لساني، ودمعت عيني، وقلت في نفسي: بارك الله فيكِ يا ابنتي، وجعلك نعم العون لأبيك على صعاب الحياة.

تقول إحدى الأمهات:

يمتلك زوجي ورشة نجارة لتصنيع الأثاث، ومنذ سنين حدث موقف طريف من ابني الحاصل الآن على بكالوريوس تجارة، فعندما كان في المرحلة الابتدائية، كان زوجي يصنع الأثاث في ورشته ثم يعطي ما صنعه لأحد جيراننا التجار؛ ليعرضه في معرضه الذي يقع في نفس الشارع الذي نسكن به، وفي فترة من الزمن تكدس الأثاث في معرض جارنا، فتوقف عن أخذ ما لدى زوجي من منتجات، وبالتالي تراكمت قطع الأثاث في ورشتنا، وبقينا ننتظر الفرج من عند الله تعالى، وأخذ زوجي يمرّ على الكثير من المعارض ليأخذوا منه الأثاث، لكنه لم يُوفق، عشنا حينها أزمة مالية، وكنا نتكلم عنها أمام أطفالنا، كان زوجي يقول لهم: لم يعد معي نقود وكل الفلوس نفدت (خلصت) من فوق الدولاب، فقد كان يحتفظ بالمال في كيس فوق الدولاب، فما كان من ابني (٩ سنوات حينها) إلا أن ذهب إلى جارنا التاجر في نهاية الشارع وقال له: يا عم محمد، لماذا لم تشترِ الأثاث من عند بابا؟ فقال الحاج محمد: لست محتاجًا إليه، فقال له الولد: أرجوك خذها، فبابا لم يعد معه نقود فوق الدولاب، وفي الصباح فوجئنا بالحاج محمد يأتي إلى زوجي في الورشة ويشترى الأثاث كله وهو غير محتاج إليه، وحكى لنا قصته مع ابننا الذي تصرف بفطرته، وما زلنا نضحك على هذا الموقف حتى الآن، مع أنه حدث منذ سنوات كثيرة.

يقول أحد الآباء:

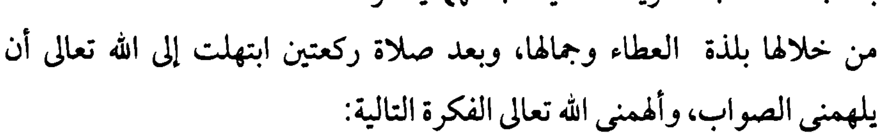
اشتريت قطعة أرض وتبقَّى على مبلغ من بقية ثمنها، ومررت بعد ذلك

بظروف مادية صعبة، وحان وقت سداد المبلغ المتبقي، فجلست مهمومًا حزينًا لا أدري ماذا أفعل لأنني لا أملكه، وبينما أنا في تلك الحالة، فوجئت بأبنائي الأربعة يقولون لي: ما المبلغ المطلوب منك؟ فقلت: أي نقود ستنقذني من الورطة التي أنا بها، وما هي إلا دقائق حتى جاء كل واحد منهم بما معه من مال، ولأول مرة أشعر أنني ربيت رجالاً، وقبلت منهم المال شاكرًا، لقد شاركوا جميعًا في سداد الدين في موقف لن أنساه، لقد كان موقفًا سعيدًا جدًّا بالنسبة إلي، واكتشفت يومها أننا كثيرًا ما نسيء الظن بأبنائنا، ثم تأتي المحن لتثبت أنهم رجال، ونسيء الظن بتربيتنا لهم، فتأتي الشدائد لتثبت أن تربيتنا لن تضيع، إننا كثيرًا ما نستعجل الحصاد قبل أوانه، ونستعجل نضج الثمرة قبل اكتمال نمو العود، ومن يومها تغيرت نظرتي لأولادي وعلمت أن فيهم خيرًا كثيرًا.

(٨) أبنائي ولذة العطاء

تقول إحدى الأمهات:

لدي ابن عمره ست سنوات وبنت عمرها أربع سنوات، والآفة التي لاحظتها فيهما هي الشح والطمع، ولكي أعالج ذلك فيهما كنت بحاجة لأن أجد طريقة عملية أجعلهما يشعران



من خلالها بلذة العطاء وجمالها، وبعد صلاة ركعتين ابتهلت إلى الله تعالى أن يلهمني الصواب، وألهمني الله تعالى الفكرة التالية:

بدأت أقول لهما: من يعطي أخاه من العصير أو الحلوى التي يملكها، سيرسل له الله تعالى شيئًا يفرحه، دون أن ينتظر المقابل من أخيه.. وبدأنا المشوار، ولم يخذلني الله تعالى بكرمه وفضله، ففي كل مرة كان الله تعالى يرسل

لصاحب العطاء شيئًا يفرحه، والنتيجة أنهما يوميًّا يحب أحدهما أن يعطي أخاه حتى ولو لم يطلب منه شيئًا، هذا ليقينهما أن الله تعالى عنده الجزاء، وجربا كثيرًا أن الله تعالى يرسل لمن أعطى أخاه شيئًا يفرحه..

(٩) يوم في الشهر بلا نار

يقول احد الآباء:

نحن - بفضل الله تعالى - أسرة ميسورة الحال، وذات يوم جلست أتأمل حال أبنائي، كل شيء تقريبًا عندهم، حياتهم ميسرة سهلة بها كل الإمكانات، فحمدت الله تعالى على نعمه، لكنني فجأة خفت على أبنائي، لقد خفت عليهم لأنهم مع هذه النعم لا يشعرون بالرضا ويطلبون المزيد، كما خفت عليهم من تقلبات الزمن، ماذا سيحدث لهم إن تربوا على المكيف في كل مكان والسيارة جاهزة في كل وقت وفجأة ضاع كل شيء؟ هل سيصبرون أم سيتحطمون؟

وكان لزامًا عليّ أن أتخذ خطوة، ظللت لفترة محتارًا ماذا أفعل، وفجأة سمعت مقولة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: «اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم»..

فعرفت حينها من أين أبدأ، جمعت أبنائي وقلت لهم: لقد سمعت أن النبي ﷺ كان يمر عليه وعلى أهل بيته شهران بلا نار ولا يأكلون فيهما غير التمر والماء[١]، طعامهم كله ليس ساخنًا وليس فيه خضراوات ولا لحوم مطبوخة، فقط تمر وماء... فما رأيكم أن نجرب في بيتنا يومًا بلا نار، لا نوقد فيه النار إطلاقًا إلا لضيف أو لضرورة، وبعد حوار ونقاش اتفق الجميع، وكم كان يومًا جميلاً فيه مزيج من الصبر والمرح، وجلسنا في نهاية اليوم نستمع لآراء

---

(١) روى البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا.

بعضنا في الفكرة، ومن جمال التعليقات قررنا أن نطبق هذه الفكرة في بيتنا مرة كل شهر...

ولم أكتفِ بتلك الفكرة، بل اتفقت معهم أن نخصص يومًا لنترك فيه السيارة ونتحرك في المواصلات لنجرب ما يعيشه الآخرون، ويوم آخر نطفئ فيه مكيفات البيت لنرى ماذا سيحدث.. ولم أكن أفرض فكرة منها على أبنائي، بل كنت أتفق معهم على أنها مغامرة وأنهم رجال..

كان لتلك الأفكار أثر جميل في حياة أبنائي، فمن كان يرفض طعامًا بدأ يعرف كم هو نعمة، ومن كان يشكو من أن مكيف غرفته ضعيف وصوته عالٍ بدأ يرضى به، ومن كانت تريد تغيير السيارة مثل صديقتها، بدأت تشعر بكرم الله وفضله علينا وأصبحت سعيدة وراضية بسيارتنا، وبدأت أسمع في بيتنا عبارات مثل: كم نحن في نعمة، الحمد لله أن لدينا سيارة فغيرنا يركبون المواصلات، الحمد لله على طعامنا الساخن بأصنافه الجميلة..

وختامًا...

فإن عدم الرضا والنظر لمن هم أغنى والتنافس معهم؛ سبب في هلاك الأمم ودمار المجتمعات، روى ابن خزيمة أن النبي ﷺ خطب خطبة، فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ، أو قال: من الصيغة ما تكلف امرأة الغني[1]، لقد كانت زوجة الفقير غير راضية بحالها وتطلب من زوجها حليًا وذهبًا مثل التي ترتديه زوجات الأغنياء، هذا نتيجة لنظرها المتعلق بزوجات الأغنياء، وتطلعها لما في أيديهن، وتنافسها على الدنيا مع أغنياء قومها..

(١) التوحيد لابن خزيمة ٢ / ٧٥٨، والسلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٥٩١.

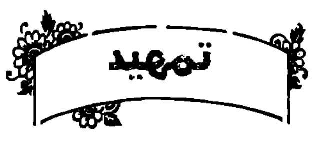
ولن يتذوق أبناؤنا حلاوة الرضا عن طريق فكرة واحدة يطبقونها مرة واحدة، ومن أدمن طرق الباب يوشك أن يفتح له، ولذلك كان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته[1]، وأثبته يعني كرره وجعله ثابتًا في حياته نادرًا ما يتركه، ومن هنا فإن تكرار هذه الأعمال - وليس فعلها مرة واحدة - يورث الرضا والسعادة والطمأنينة في نفوسنا ونفوس أبنائنا وبناتنا..

* * *

(١) رواه مسلم.


يا بُنيّ ..
لا تسمح للكلمات السلبية
أن تغزو حياتك

يا بني لا تسمح للكلمات السلبية أن تغزو قلبك



الكلمة الطيبة صدقة، والكلمات السلبية تحطم أبناءنا دراسيًّا وأخلاقيًّا واجتماعي..

في إحدى التجارب تم تعريض مجموعة من كبار السن لكلمات تتناول الآراء السلبية عن الشيخوخة لمدة عشر دقائق (أمراض الشيخوخة، ضعف الذاكرة، قلة الصبر، وهكذا)، وفي الوقت نفسه تم عرض كلمات إيجابية عن المسنين (حكمتهم – خبرتهم – تفكيرهم الجيد...) لمجموعة أخرى من كبار السن لمدة عشر دقائق، وبعد ذلك تم إعطاء المجموعتين عددًا من المسائل الرياضية – المتشابهة – ليقوموا بحلها.

ولقد لوحظ أن من تعرضوا للكلمات السلبية قد أصيبوا بالضغط العصبي عند تقديم المسائل لهم، فقد زاد معدل نبضات القلب وضغط الدم وحساسية الجلد بصورة ملحوظة عندهم، وقد ظلت تلك الحالة لأكثر من ثلاثين دقيقة.

وعلى النقيض تمامًا فإن المجموعة الثانية التي سمعت كلمات إيجابية قد عبروا عن التحدي دون إبداء أية علامة من علامات الضغط العصبي، وكانوا أكثر هدوءًا وارتياحًا وهم يحلون تلك المسائل الرياضية[١]

(١) قوة الذكاء الاجتماعي، ص ١٢٨، ١٢٩ (بتصرف).

فكرة (١):

جرِّب هذه الفكرة يومًا...

أعطِ طفلك مسائل رياضية تناسب مستواه الدراسي وقل له: هذه مسائل صعبة، ولن تفلح في حلها، فمستواها أعلى من مستواك، وسوف تفشل في حلها، والمزيد من الكلمات السلبية، وتأمل حالته وهو يحلها وانظر نتيجة الحلول ومدى صحتها.

في اليوم التالي: أعطِ نفس الطفل مسائل تناسب مستواه الدراسي ومشابهة لمسائل الأمس وقل له: هذه مسائل سهلة وستحلها بسهولة، فهذه مناسبة لمستواك الدراسي، وأنا على يقين أنك ستحلها جيدًا، والمزيد من الكلمات الإيجابية، ثم تأمل حالته وهو يحلها وانظر نتيجة الحلول ومدى صحتها.

والآن: ماذا حدث؟ وكيف ستتصرف مع طفلك في المستقبل: عند حفظ القرآن، عند المذاكرة، عند مباراة كرة القدم، عند التسوق؟

فكرة (٢):

جرِّب الفكرة السابقة مع المراهقين، اجمع عددًا منهم وقسمهم لمجموعتين:

المجموعة الأولى: كلِّمهم عن سلبيات المراهقة، وما يرتكبه المراهق من حماقات، وكيف يهمل دراسته، ويتعامل بجفاء مع والديه، ويضيع وقته، وكيف أن غرفته مثل مقلب قمامة كبير، وحياته بلا هدف، وغيرها من العبارات السلبية، ثم أعطهم عددًا من المسائل الحسابية السهلة واطلب منهم حلها، وتأمل حالهم وكذلك مدى صحة إجاباتهم.

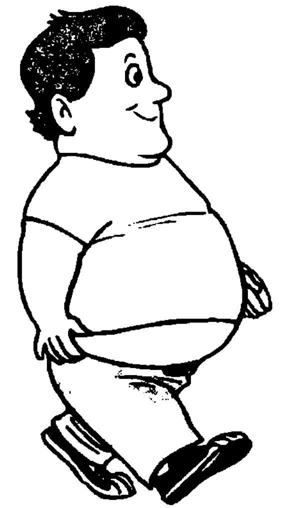
المجموعة الثانية: مساوية للمجموعة الأولى في العدد والعمر وغيرها،

كلِّمهم عن مزايا المراهقة وطاقة الشباب، وكيف صنع الشباب النهضة، وكيف نصروا النبي محمدًا ﷺ، وكيف أن لديهم قوة وحيوية ونشاطًا، بدونهم لا تنهض الأمم ولا تتحقق طموحات، وغيرها من عبارات المدح والتفاؤل، ثم أعطهم عددًا مساويًا من المسائل الحسابية ليحلوها، وتأمل حالتهم النفسية أثناء الحل، وكذلك مدى صحة إجاباتهم.

والآن: قارن بين المجموعتين، ماذا لاحظت؟ وما النتائج التي توصلت إليها؟

ملاحظة: يمكنك أن تنفذ تلك الفكرة في أحد فصول المدرسة وتقسمه إلى نصفين، ثم تخبر الأولاد بالنتيجة، وتعلمهم درسًا مهمًّا وهو: ألا يسمحوا لكلمات الآخرين السلبية أن تغزو قلوبهم وتشتت تفكيرهم.

ابني البدين.. لن ينام حزينًا



أنت بدين، مثل الفيل، تأكل مثل الخرتيت، لا أدري كيف يتحملك السرير عندما تنام عليه، كم أكون محرجًا عندما أسير معك في الشارع، إنني أحب الجلوس في المنزل على الخروج معك، شكلك مقزز ومثير للشفقة، مكانك حديقة الحيوان، كفاك طعامًا ألا تشبع..

تخيل أنك طفل بدين وتسمع هذه الكلمات يوميًّا من أبيك أو من أمك، بماذا ستشعر؟ كيف ستكون حياتك؟ هل تنام سعيدًا؟ ماذا تريد أن تقول لوالديك؟ بأي طريقة تريدهم أن يعاملوك؟ وما هي الكلمات التي تتمنى أن تسمعها منهم؟ لو كتبت رسالة لوالديك ماذا ستقول فيها؟

كيف يتغلب البدين على أحزانه:

كريم طفل بدين معوق في العاشرة من عمره، وكان يعاني الكثير من المشكلات، حيث لم يكن على وفاق مع زوج أمه، وكانت درجاته الدراسية التي حصل عليها متدنية، وكان يكره أخاه الأصغر الذي يتفوق عليه في كل شيء، ولكن أكثر ما كان يزعجه هو مضايقة زملاء فصله له داخل الملعب يوميًا بلا رحمة، فكان يغادر المدرسة يوميًّا تقريبًا والدموع تملأ عينيه، معطيًا بذلك الفرصة لمن كان يضايقه من زملائه فيزداد إزعاجهم له وسخريتهم منه،

والسؤال الآن: هل هذا الطفل ينام سعيدًا؟

لقد شعرت أمه بمعاناته، وكيف أن الهموم قد أثقلت ظهره، والأحزان كيف سكنت قلبه، لذلك سارعت به نحو طبيب نفسي تربوي ثقة...

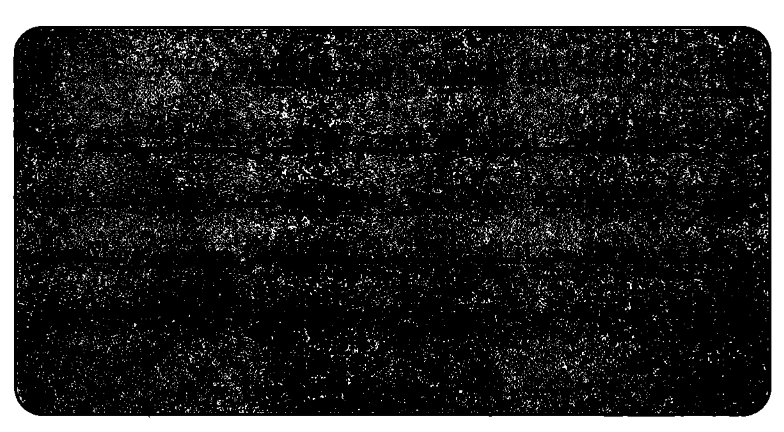
في الجلسة الأولى مع الطبيب، تبين أن كريم رغم تعثره في الكلام كان متميزًا في الرياضيات، وبالرغم من عدم تفوقه في كرة السلة إلا أنه أظهر تفوقًا في السباحة، وهكذا تم إعداد قائمة كتب فيها عشرة أشياء كان كريم متفوقًا فيها، وطلب المعالج من كريم حفظ هذه المميزات العشرة عن ظهر قلب كواجب منزلي حتى يحين اللقاء الثاني.

في الجلسة العلاجية التالية أخبر الطبيب كريم عن سر المميزات العشرة، وأخبره أن عليه أن يفكر في تلك المزايا العشر التي يتمتع بها كلما ضايقه أحد زملائه، وعند سؤال المعالج لكريم عن حفظ المميزات العشرة كانت إجابته هي أن القائمة قد ضاعت، وفاجأه الطبيب وأخرج له نسخة أخرى منها وأعطاه إياها.

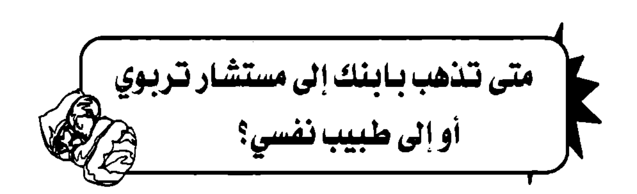
في الجلسة التالية تكرر الموقف نفسه وجاء كريم دون أن يجرب فكرة الطبيب، وكانت الحجة هذه المرة أنه لم يتمكن من حفظ تلك المميزات العشر، لم ييأس الطبيب المعالج وقام بتصوير مئات النسخ، وسلم كريم وأمه أكثر من ٣٠٠ نسخة منها.

وفي الجلسة التالية قالت أم كريم: إنها قامت بتنفيذ وصية الطبيب ولصقت معظم النسخ في كل مكان يخص كريم؛ على جدران غرفته وسقفها وعلى جدران الحمام وعلى المرآة وفي كل مكان، وأخيرًا تمكن كريم من حفظ القائمة المحتوية على عشر صفات إيجابية يتمتع بها.

وبمرور الوقت، والصبر مع بذل الجهد، تغلب كريم على ضغط الأقران، وبدأ حواره مع ذاته داخليًّا يتغير، فبعدما كان يرى نفسه فاشلاً بدينًا، بدأ يشعر أنه فعلاً متميز في عشرة جوانب، وهذا ما جعل السعادة تغزو قلبه من جديد[1]



(١) كيف تنشيء طفلاً يتمتع بذكاء عاطفي، ص ١٦٧، ١٦٨ (بتصرف).



متى تذهب بابنك إلى مستشار تربوي أو إلى طبيب نفسي؟

إنك عندما تعاني من مشكلة ما قد يخاصمك النوم وربما تنام حزينًا، والأمر نفسه يحدث مع أبنائنا وبناتنا، فبعضهم ينامون ليلا ودموعهم على خدودهم ولا أحد منا يشعر بهم، فعلى صدورهم أحزان جاثمة، وفي قلوبهم هموم ساكنة، ومع ما هم فيه من بلاء لا يشعر بهم أحد من آبائهم وأمهاتهم، ولقد قال أحد الأبناء يومًا لأمه: عندما يدخل أبي البيت غضبان يجب علينا جميعًا أن نتحمله؛ هذا لأنه يعاني من مشكلة تسبب له ضغطًا عصبيًّا، وأنا عندما أعود من المدرسة غضبان حزينًا نتيجة لموقف سيئ تعرضت له فلا يتحملني أحد، فهل أنتم الكبار وحدكم من تعانون من مشاكل خارج البيت وداخله؟ من منكم يشعر بما أعانيه ويترفق بحالي؟

وهنا قد يسأل أحد الآباء: إذا كان عند الولد أو البنت مشكلة يعانون منها فلماذا لا يخبرون والدهم أو والدتهم؟ وعندما نتأمل حال أبنائنا وبناتنا نجدهم يخبروننا بمشكلاتهم بطرق متعددة لكننا قد لا نفهم إشاراتهم، فهم قد يخبروننا أنهم يعانون من مشكلة ما بعدة طرق، منها: الكلام، التذمر المستمر، الشكوى المتكررة، النوم الزائد عن الحد، الأرق وقلة النوم، الانفعال المتكرر... وغيرها، وبالطريقة نفسها يشتكي الموظف لمديره في العمل من مشكلة يعاني منها، فهو قد يتكلم أو يتذمر أو يتأخر أو يرفض أداء عمل كان يقوم به وغيرها، وبالطريقة نفسها تعبر الزوجة لزوجها عن مشكلة تعاني منها، فهي قد تخبره صراحة وقد تخبره عن طريق التذمر أو الشكوى من أشياء لا تتعلق

بالمشكلة أو بالتقصير في أداء بعض الأعمال المنزلية وغيرها، وعلى الأب والزوج والمدير الحكيم أن يحسن قراءة الرسالة.

والآن نسأل الآباء والأمهات:

متى تشعر أن ابنك غير طبيعي؟ ويعاني من مشكلة ما؟

متى تشعر أن ابنك يعاني من مشكلة تحتاج إلى تدخل مستشار تربوي أو طبيب نفسي؟

ما هي الأشياء التي لو لاحظتها على طفلك تعرف أنه يعاني من مشكلة ما؟ اكتبها في قائمة.

لقد وضع بعض العلماء قائمة إرشادية بها عدد من الأعراض التي قد تظهر على الأطفال الذين يعانون من مشكلة نفسية أو اجتماعية تحتاج إلى استشارة أحد المتخصصين...

قائمة الأعراض التي تظهر على الطفل الذي يعاني من مشكلة ما

- يعبر الطفل عن خوفه وتوتره فيقول: أنا خائف مثلاً، وتكون أعراض ومشاعر جديدة لم تظهر عليه من قبل.
- ينعزل الطفل عن الآخرين وتظهر عليه علامات عدم الثقة في نفسه.

يظهر الطفل شعوره بالغضب والعدوانية لدرجة لم تكن تحدث من قبل.

- تظهر على الطفل علامات مستمرة للاكتئاب بما فيها الحزن، والبلادة، وسرعة الغضب، والنشاط فوق المعتاد (في بعض الأحيان يكون سلوك الطفل المكتئب معاكسًا تمامًا لما نراه في سلوك الشخص الناضج المكتئب).

- يعبر الطفل عن نفسه بجمل تحمل شعورًا بالذنب ولوم النفس.
- يصاب جسم الطفل بآلام حادة منها: آلام مستمرة ومتكررة بالمعدة والرأس، ويعبر الطفل عن آلام لا يعرف كنهها.
- يصاب الطفل بعدم اكتراث مفاجئ بالمدرسة وبالمهام المدرسية، أو يصاب بالفشل والغباء بعد التفوق والذكاء.
- تظهر على الطفل تغيرات في عادات النوم والأكل الخاصة به، كأن يصاب بالأرق ليلا أو يكثر من النوم، وقد تقل شهيته للطعام وغيرها.
- يتصرف الطفل بصورة طفولية لا تناسب سنه، ويعبر عن رغبته في أن يُعامل معاملة الأطفال الأصغر، ورغبته الدائمة في الوجود بجوار أحد والديه بحجة أنه خائف أو غيره.
- قضم الأظفار ومص الأصابع التي لم تكن قد اختفت ورجع لها ثانية[(١)]

أيها المربي الكريم..

إن لاحظت أحد تلك الأعراض – أو غيرها – على طفلك، فاعلم أنه يعاني من مشكلة ما تؤرقه وتسبب له الألم النفسي، فحاول أن تتحاور معه وتلاحظه لتعرف سبب المشكلة، واعمل على مواساته وطمأنته وعلاج مشكلته برفق ومحبة وحكمة...

ولو لاحظت أن أحد تلك الأعراض استمر لأكثر من شهر فيجب عليك استشارة أحد المتخصصين.

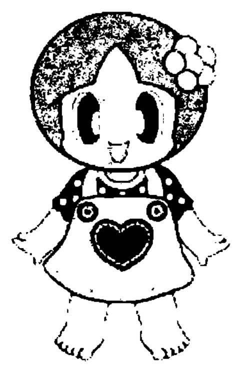
---

(١) كيف تنشئ طفلاً يتمتع بذكاء عاطفي، ص ٤١٠، ٤١١ (بتصرف).



لينة.. وأسبوع المشاغبة

ذات يوم اتصل بي أحد الآباء قائلاً:



ابنتي لينة في الصف الرابع الابتدائي، هي الثانية في ترتيب بناتي من حيث الميلاد، متفوقة، لماحة، متحدثة، تخطف الأضواء بذكائها ولباقتها، نحن الآن قد بقي على الاختبارات ثلاثة أيام، ومنذ أسبوع بدأت لينة في تصرف غريب، لقد بدأت مع أمها سلسلة من المشاغبات شبه المتعمدة، والغريب أنها قد بدأت في حالة من الإهمال والاستهتار الدراسي، فما تعطيها أمها مسألة حسابية حتى تخطئ فيها مهما كانت تافهة وبسيطة، وعندما تعنفها أمها ترد البنت قائلة: عادي، مش مهم، أنت لا تعرفين كيف تشرحين لي، بابا سيشرحها لي أفضل منك، ومن كثرة خوفنا على مستواها الدراسي من الهبوط سألنا مدرساتها في المدرسة والدروس الخصوصية، فأجاب الجميع أنها متفوقة وذكية وليست مهملةً بل مجتهدة جدًّا وتركيزها عالٍ جدًّا، يقول هذا الأب الكريم: لقد أغاظت البنت أمها على مدار أسبوع كامل، الأجواء بينهما مشتعلة، ولقد توعدتها أمها بأنني سأضربها لتفيق من سكرتها، قال الأب الكريم: والليلة موعدي مع ابنتي فماذا أصنع؟ لقد نويت أن أعطيها بعض المسائل الحسابية وأنتهز أي فرصة لأضربها وأشد عليها، لكن الله هداني أن أتصل بك قبل موعدي معها، فماذا أصنع؟

في البداية: شكرت الأب الكريم على اتصاله، فكم من واثق بنا ونحن أقل مما يتخيل بكثير، لكنها حاجات الناس يجريها الله تعالى على ألسنتنا، فلله الحمد

كله وإليه الملجأ وهو المستعان، ثم قلت للأب الكريم: هذه البنت - حفظها الله - تلعب بأمها جيدًا، فهي تثير أمها بحكمة وتغضبها ببراعة، وبما أننا قد تأكدنا من خلال مدرساتها أن مستواها الدراسي جيد وتركيزها ممتاز، فمعنى ذلك أنه من الخطأ أن نركز اهتمامنا على تحسين التركيز الدراسي، فهذا عرض لمرض آخر، وهنا يجب أن نسأل أنفسنا: لماذا تفعل البنت ذلك؟

- هل هي مضطربة بسبب قرب الاختبارات وتفرج عن نفسها بتلك الطريقة؟

- هل هي بحاجة إلى مزيد من الاهتمام الذي تحصل عليه بتلك الطريقة؟

- هل علاقتها بأمها على غير ما يرام وأمها تتحداها دومًا وتتوعدها باستمرار مما جعل البنت تعلن (الحرب اللطيفة) على أمها؟

هذه كلها احتمالات، والحل لن يكون بالضرب أبدًا، فالعصا هي سلاح العاجزين، ولذلك يقول المثل: «خوّف أبناءك بعصا العز ولا تضربهم بها»، لأنك إن ضربت بها انتهى الخوف منها، وعلقة تفوت ولا أحد يموت، لكن ما رأيك في أن تعود إلى البيت اليوم وتجلس مع ابنتك في الموعد المعلوم، وتأمرها بأن تحضر كراسة وقلمًا، وتعطيها مسألة حسابية لتحلها، وتوقع أنها لن تحلها جيدًا وستتغابى لتنظر ما الذي ستفعل، هنا عليك أن تتحلى بالصبر وتلعب أنت بها بدلاً من أن تلعب هي بك، إذا حلت المسألة خطأ رغم بساطتها، قل لها: هذا الحل خطأ، ارجعي فحليها ثانية، وكرر الأمر معها مرات ومرات، كلما أخطأت في الإجابة اطلب منها أن ترجع لتحل المسألة ثانية، كرر ذلك معها عشرين أو ثلاثين وربما أربعين مرة، أثبت لها أنك أشد صبرًا منها، ولا تمد يدك ولا ترفع صوتك مهما حدث، وفي النهاية أتوقع أن تحل المسألة جيدًا، وهنا قل: أخيراااااا، واطلب منها أن تمسك بالكراسة مفتوحة على صفحة

تلك المسألة، وقم بتصويرها بكاميرا الموبايل أو بغيرها، وقل لها: هذه صورة لك مع المسألة التي حاولت حلّها عشرين أو ثلاثين مرة حسبما تفعل البنت، وبعدها اجلس معها جلسة أبوية حانية، واسألها عن سبب عنادها ولماذا تدّعي الغباء، والفرج من الله تعالى قريب.

نفذ الأب مستعينًا بالله خطوات العلاج المقترحة حسبما رآه مناسبًا، ولقد أعطى ابنته (لينة) مسألة حسابية لتحلها، وبالطبع عادت بإجابات خاطئة، فقال لها أبوها: أجيبي عنها مرة ثاينة، ومع تكرار الحل الخطأ قالت لينة: لن أستطيع حلها ومن الأفضل أن تشرحها لي، فقال أبوها: لو شرحتها لك سأضربك، فقالت: إذًا سأحلها، بعد ذلك تكررت إجاباتها الخاطئة مرات ومرات، وفي نهاية المطاف جاءت لينة بالإجابة الصحيحة..

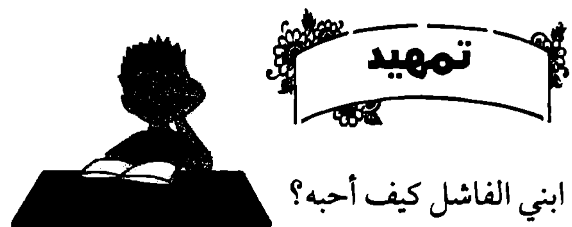
هنا تدخلت الأم قائلة: لماذا تخطئين تلك الأخطاء البسيطة؟ فقالت البنت بكل براءة وصدق: لأنك لا تهتمين بي جيدًا يا ماما، فأنا ابنتك الوسطى، فلا أنا الكبيرة التي أخذت حقها وتفتخرين بها، ولا أنا الصغيرة التي تأخذ حقها في المرح والاهتمام واللعب...

وكم كان كلام (لينة) واقعيًّا رغم أن أمها كانت تهتم بها مثل باقي أخواتها، إن (لينة) كانت كالمريض الذي يحتاج إلى اهتمام خاص في فترة تعبه، وهذا هو حال أبنائنا عندما يمرون بفترات ضعف نفسي أو فتور دراسي أو غضب بلا سبب؛ يكون هذا كله مؤشرًا على أنهم يحتاجون إلى جرعة زائدة من اهتمام الوالدين..

أكثر وقت يحتاج فيه ابنك إلى اهتمامك ودعائك.. هو عندما تظن أنه لا يستحقه


ابني الفاشل
كيف أحبّه ؟

ابني الفاشل كيف أحبـــه؟



سألني أحد الآباء يومًا: ابني الفاشل كيف أحبه؟

فقلت له: في أي شيء تراه فاشلاً؟ قال: في كل شيء..

فقلت له: أنت تظلمه.. وأعطيته ورقة وقلمًا وقلت له: اكتب الجوانب التي ترى فيها ابنك فاشلاً.. وانتظرت قليلاً..

كتب الرجل: ابني خمس عشرة سنة، لا يحب المذاكرة، درجاته ضعيفة، يتصارع مع إخوته، لا يسمع الكلام، يجلس كثيرًا أمام الإنترنت، أصحابه لا يعجبونني...

فسألت الرجل: أنت في مثل سنه كيف كان حالك؟

صمت الأب قليلاً ثم قال: لم أكن بهذا السوء..

فقلت: خذ ورقة أخرى واكتب إيجابيات ابنك، أو مناطق القوة التي تراها في شخصيته وتصرفاته وعلاقاته وعباداته ومعاملاته..

بدأ الرجل يكتب، في البداية لم يجد شيئًا يكتبه واعترف قائلاً: لم أفكر يومًا في إيجابياته، بل إنني اعتقدت أنه لا يملك أية إيجابية..

ورويدًا رويدًا بعد نقاش وحوار بيني وبينه كتب عن ابنه يقول:

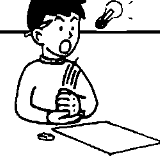
هو يصلي بنسبة جيدة، لا يسرق، يكره الكذب، علاقته بجده وجدته متميزة وبار بهما، الكثيرون خارج البيت يحبونه، إن أرسلته لشراء شيء ينجز المهمة كأحسن ما

يكون، متحدث جيد، يحترمني، ما في يده يعطيه لغيره فهو كريم..

هنا قلت لهذا الأب: الآن ضع الورقتين بجوار بعضهما، وورقة سلبيات ابنك بجوار ورقة إيجابياته، كيف تراه الآن؟

قال الأب: هذه أول مرة أرى الصورة كاملة، كم ظلمتك يا بني..

وهنا قلت له: من اليوم ركزٍّ على ما هو إيجابي في شخصية ابنك، اذكره له وامدحه به، فالسلوك الجيد الذي لدى ابنك إن لم تمدحه وتعززه يخبو ويموت، وكذلك فإن السلوك الذي ستركز عليه في شخصية طفلك وتسلط عليه الضوء كثيرًا بالمدح أو بالذم، سترى منه أكثر وستجد أن ابنك يفعله أكثر، وعندما يخطئ ابنك في شيء قاومه بشيء جيد يفعله، كيف ذلك؟



تمرين

أحضر ورقتين وقلمًا، واجلس مع شريك حياتك ، وتحدثا معًا عن أكثر أبنائكم فشلاً، ثم اكتبا في الورقة الأولى إيجابياته ومناطق التميز في شخصيته ، وفي الورقة الثانية اكتبوا سلبياته ، اجتهدوا في كتابة الإيجابيات والبحث عنها كما تجتهدون في معرفة السلبيات.. ثم لمدة شهر ابدءوا في مدح هذا الابن بما فيه من إيجابيات قد وجدتموها ، وسترون أنه يتحسن ويريكم المزيد من مميزاته..

ومن الممكن أن تقدموا إليه الورقتين في حالة واحدة وهي إن وجدتم إيجابياته أعلى من سلبياته (وهذا سهل جدًّا ومؤكد ففي أبنائنا خير كثير بإذن الله)..

ولتعديل نظرة الابن لنفسه التي طالما قلنا له بأنه فاشل ولن يفلح ؛ نعطيه ورقتين وقلمًا، وليفعل ما فعلناه ويكتب عن نفسه إيجابياته في ورقة وسلبياته في الأخرى، ونساعده على أن يرى ما فيه من إيجابيات ونثبت له بمشيئة الله أنها أكثر من سلبياته؛ حتى يستعيد ثقته بنفسه، وينمي ما لديه من خير..

لا تتوقف كثيرا أمام جوانب الفشل

إن تتبع الجانب السلبي في الأبناء والبنات والتركيز عليه وتذكيرهم الدائم به بحجة التربية خطأ تربوي كبير، فالتركيز على ما في أبنائنا من أخطاء (وكلنا ذوو خطأ) يجعلهم ييأسون من إصلاح نفوسهم ويكرهون من حولهم، وهذا ما يؤكده قول النبي ﷺ حين وصى معاوية بن أبي سفيان ﷺ قائلاً: «إنك إن اتبعت عورات الناس؛ أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم»[1]

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلانًا يصلي بالليل (وفي رواية: يصلي الليل كله)، فإذا أصبح سرق.. قال ﷺ: سينهاه ما تقول - أو قال - ستمنعه صلاته[2]

لم يتوقف النبي ﷺ كثيرًا أمام ما يرتكبه الرجل من خطأ وسرقة، بل ركز ﷺ على ما يفعله من خير وقيام لليل، وهذه قاعدة تربوية مهمة، إنها قاعدة مقاومة الشر بدعم ما في النفس من الخير، فإذا زاد فعل الإنسان للخير ضعف الشر تلقائيًا..

ابنك الضعيف دراسيا بماذا تصفه؟

سألت عددًا من الآباء والأمهات: بماذا تصف ابنك (أو ابنتك) عندما يحصل على درجات دراسية متدنية؟ أو عندما يرسبون؟ أو عندما تغضب منه؟

فقالوا: نوبخه ونقول له مرات ومرات عبر أيام وساعات: يا فاشل.. يا غبي.. يا بغل أنت وظيفتك الأكل وفقط.. أنت جاموسة لا تفهم.. آخرك عامل أو فراش لا قيمة لك..

---

(١) سنن أبي داود ح ر ٤٨٨٨، وصحيح الموارد للألباني ح ر ١٢٤٩

(٢) رواه أحمد والبزار وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح ر ١١٩٣.

وهنا يحكي أحد الشباب قصته مع والده فيقول:

كان والدي حريصًا جدًّا على أن أكون من المتفوقين دراسيًّا، وبدلاً من تشجيعي على ذلك كان يخيفني ويحطمني دون أن يشعر.. فذات يوم كان يشرب كوبًا من الشاي، وبعد أن شربه بالهناء والشفاء تبقى في آخر الكوب بعض التفل (بقايا الشاي)، فقال لي: أنت مثل هذا التفل بقايا الشاي، لا قيمة لك، نحن نغسل الكوب ونرمي هذا التفل في البلاعة مع المخلفات.. كم أتعبني هذا المثال جدًّا، وكلما أمسكت بكوب الشاي تذكرت أنه لا قيمة لي في الحياة..

لم يكتفِ أبي بذلك، فحتى يشجعني على التفوق قال لي يومًا: زميلك فلان سيدخل كلية الطب، ويفتح عيادة فخمة، ويكون مشهورًا، بينما تكون أنت فراشًا، وتذهب إلى عيادته فإنه سيطردك... ظن أبي أنه بهذا الكلام سيجعلني أتنافس مع صديقي العزيز وأتفوق، وما حدث هو أنه جعلني أكره صديقي (الذي سيطردني من عيادته) وخفت من الفشل... أنا الآن أخاف أن أفرح، لي ثلاثة أسابيع لا أستطيع أن أفرح، مع أنني كنت قبل ذلك من أكثر الناس إقبالاً على الحياة وكنت أكثرهم ابتسامًا ومرحًا... سامحك الله يا أبي..



إن تعيير الأبناء بما فيهم من مساوئ وأخطاء ليس من عمل المؤمنين، فمن دخل الإيمان قلبه ترفق بالناس وعلم أن في الجميع ضعفًا ونقصانًا، من أجل ذلك صعد النبي ﷺ المنبر يومًا وقال: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل

الإيمان قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عثراتهم؛ فإنه من يطلب عورة المسلم؛ يطلب الله عورته، ومن يطلب الله عورته؛ يفضحه ولو في جوف بيته»(١)

وعن خطورة وصف الابن المتعثر دراسيًا بأنه «فاشل» تقول إحدى الأمهات:

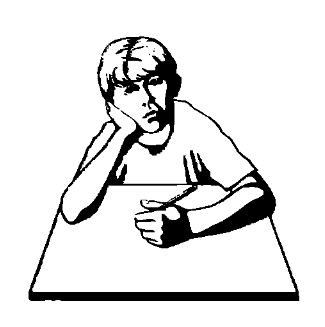
عندما كان ابني في بداية التحاقه بالروضة في سن أربع سنوات، كان يرفض الذهاب ويتهرب من فعل واجبات الروضة (الحضانة) البسيطة، فعل ذلك في مستوى (K G 1)، فقلت له حينها بغضب: «إنك لن تكون متفوقًا وستكون فاشلاً»، وبعد مرور عامين دخل ابني الصف الأول الابتدائي، وذات يوم كنت أذاكر معه فشجعته قائلة: «أنت ستكون متفوقًا وممتازًا»، فقال لي: «ولكنك قلت لي يومًا غير ذلك»، وذكّرني بما قلته له منذ عامين وهو في الروضة (الحضانة)، فقلت له: مؤكد أنا كنت غضبانة وقتها لكنك اليوم تحسنت، ثم رجعت إلى نفسي وحزنت جدًّا على ما قلته له يومًا ولم ألقَ له بالاً، ومن يومها أحاسب جدًّا في كلماتي معه، لقد عرفت من تلك التجربة قيمة قوله ﷺ فيما رواه البخاري: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»، وفي رواية الترمذي التي صححها الألباني: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»، فقد يقول الأب أو الأم كلمة تحطم طفلها وتدمره مدى الحياة، مثل كلمات: غبي فاشل، وتخيل حجم المصيبة التي تحل بابنك لو صدق كلامك وأيقن أنه غبي أو فاشل.

---

(١) سنن الترمذي ح ر ٢٠٣٢، وصحيح الموارد للألباني ح ر ١٢٤٨



أبناؤنا المتعثرون دراسيا
من الذم الى الدعم



يسأل أحدهم: عندما يفشل ابني دراسيًّا كيف أعاقبه؟ هل أحرمه من المصروف؟ أم أمنعه من اللعب؟ أم أصرخ في وجهه وأمنعه من الكمبيوتر والتلفزيون؟ هل أضربه؟ أم أذله وأعايره بقولي يا فاشل كثيرًا حتى يشعر بمرارة ما فعل؟.. أنا حيران، ماذا أفعل؟

ولهذا الأب الحيران نقول:

الفشل وحده يكفي عقابًا، فالابن الذي لم ينجح في مادة دراسية يكون حزينًا بائسًا، الجميع حوله سعداء بالنجاح وهو حزين بسبب ما حل به، غيره يحصلون على الهدايا والمكافآت وهو قد حصل على الفشل، غيره يضحك وهو يبكي.. ألا يكفي هذا عقابًا له؟

أبي .. أمي ..

عندما أفشل في شيء ما (نتيجة دراسية أو غيرها)؛ فنتيجة الفشل وحدها تكفيني كعقاب، وكم أحتاج ساعتها إلى عونكم وتسامحكم وصبركم، فلا تكونوا عونًا للشيطان عليّ..

ابنكم الفاشل المسكين

أيها الأب الكريم.. أيتها الأم الحنون..

عندما يرسب الواحد منا يكون حزينًا، لكن حزنه يكون أشد عندما يكون الراسب ابنه أو ابنته، والحزن والهم والغم من مكفرات الذنوب، روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا

هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»[1]

ومن آداب المصائب التي يجب أن نعلمها لأبنائنا ونكون قدوة لهم في العمل بها؛ دعاء المصيبة، روى الإمام مسلم عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول. إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها»[2]، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ.

روى الإمام أحمد عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت: أتاني أبو سلمة يومًا من عند رسول الله ﷺ، فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به، قال ﷺ: «لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته. ثم يقول. اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا فعل ذلك به»، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منه، ثم رجعت إلى نفسي. فقلت: من أين لي خيرًا من أبي سلمة؟ فلما نقضت عدتي استأذن علي رسول الله - وأنا أدبغ إهابًا لي - فغسلت يدي من القرظ، وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم

---

(١) النصب هو التعب الناتج عن مرض وغيره، أما الوصب فهو التعب الملازم للإنسان لا يفارقه من مرض وغيره، قال تعالى: ﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي ملازم لهم، الهم والغم والحزن: الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده. قال ابن حجر: الأذى كل ما لا يلائم النفس، فهو أعم من الكل، والظاهر أنه مختص بما يتأذى الإنسان من غيره كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ ومنه الحديث: «تؤذي جيرانها بلسانها»

(٢) معنى أجرني في مصيبتي: اجعلها سببا في عطاء الأجر والثواب لي، ومعنى أجره الله أعطاه أجره، وجزاء صبره وهمه في مصيبته.

حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، ما بي ألا يكون بك الرغبة، ولكني امرأة فيّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئًا يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال ﷺ: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله ﷻ عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، قالت:

فقد سلمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت أم سلمة بعد: أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه، رسول الله[(١)]

يتضح جليًّا من رواية الإمام أحمد أن من علم الدعاء لأم سلمة هو زوجها أبو سلمة ﷺ، فقد سمعه من النبي ﷺ وأحس أن من واجبه كزوج أن يعلم هذا الدعاء الجميل لزوجته وأهله، وكان من ثمرات هذا الدعاء على زوجته وأبنائه الخير الكثير، فزوجته – أم سلمة - بعد وفاته بدلاً من أن تتزوج أي رجل تزوجت بالنبي ﷺ، ليس هذا فحسب بل إن النبي ﷺ تكفل بأبنائه وقال لأم سلمة: أبناؤك أبنائي، فتربى أبناء أبي سلمة الأربعة (عمر، وسلمة، وزينب، ودرة) في بيت النبي ﷺ، وأكبرهم كان عمر بن أبي سلمة صاحب الحديث المشهور[(٢)]

إن أفضل وسيلة للتعامل مع فشل الأبناء هو الانتقال من التوبيخ إلى التقبل، ومن التيئيس إلى إعطاء الأمل، إنها فرصة لنعلم ذلك الفاشل كيف يرضى بما حدث ويبحث عن أسبابه ويسعى لتعويض ما فات، فالحياة ليست كلها مكاسب، وللفشل

(١) الحديث صححه العلامة أحمد شاكر في عمدة التفاسير ١ / ٢٠٠.

(٢) روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة – رضي الله عنهما- قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام إذا أكلت فقل: بسم الله. وكل بيمينك وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد.

أحيانًا فوائد كثيرة، فمن تغلب على الفشل زادت صلابته النفسية وزادت قوته على التحمل، وأصبح مستعدًا للنجاح والحفاظ عليه أكثر من غيره، فلا يعرف الطعم الحقيقي للنجاح إلا من ذاق طعم الفشل... وإذا كنت أبًا لطفل ضعيف دراسيًّا فأنت بحاجة ماسة لتقرأ التجارب الواقعية التالية..

(١) طفلي المسكين.. وكلمات المدرسين

تقول إحدى الأمهات:

ذات يوم قرأت في كراسة ابني كلمات كتبها له المدرس بخط عريض، لقد كتب له «أرجو الاهتمام يا مهمل»، فقلت لطفلي: لِمَ كتب لك المدرس هذا الكلام؟ فسكت خوفًا مني، لقد توقع حينها أن أضربه أو أشتمه، فقلت له: «ابني ليس مهملاً، سأتصل بالمدرس وأقول له إن ابني ليس مهملاً، وسيثبت لك أنه عكس ما تقول»، ومرت أيام وظن ابني أنني سأنساه ولن أتصل بمدرسه، لكنني فاجأته يومًا بأن اتصلت بالمدرس أمامه وقلت له: «لِمَ هذا الكلام الذي كتبته لابني؟ إنه سيثبت لك العكس إن شاء الله»، ولقد سعد ابني كثيرًا بهذا الموقف البسيط، ونتيجة لذلك بدأ خطه يتحسن وأصبح أكثر نظامًا، كل هذا بفضل الله الذي أكرمني بحسن التعامل في هذا الموقف، ولا أدري ماذا كان سيحدث لو ضربت طفلي المسكين عندما قرأت كلمات المدرس القاسية؟

(٢) سأحبك يا بني كما أنت

ابني خالد منذ نعومة أظفاره ومستواه الدراسي بين الستين والسبعين بالمائة، وفي الصف الرابع الابتدائي كنت أضغط عليه جدًّا ليتفوق، وفي كثير من الأوقات كانت أمه تقارنه بزملائه وإخوته وأقاربه، لدرجة أنه تأزم نفسيًا وبدأ يكلم نفسه كثيرًا ويبكي وهو نائم، ومر المسكين بحالة اكتئاب شديدة، وذهبنا لأكبر طبيب نفسي، ووجهت أمه الطبيب نحو ما يشغله وهو قلة حفظ

خالد، فأعطانا الطبيب دواء لتقوية الذاكرة؛ تسبب لاحقًا في تكوين ماء على المخ، وذات يوم أحسست أننا نقود خالد نحو الجنون، نريد أن نحقق فيه حلم التفوق الدراسي وفقط، كأننا نطلب من حصان أن يمشي بسرعة القطار، أحسست أن ابني يضيع مني؛ فقررت تغيير طريقتي القاتلة معه وفعلت التالي: ذهبت لزيارته بالمدرسة، واستأذنت من مدرس فصل خالد في أنني أريد أن أقول كلمة لابني أمام زملائه، ووقفت أمام كل التلاميذ، وناديت على خالد ليقف بجواري، وأحطته بذراعي وقلت لزملائه: اسمعوا يا شباب، خالد هذا ابني، وأنا أحبه كثيرًا، هو يجتهد كثيرًا ويذاكر، ومهما كانت درجاته قليلة، فحبه في قلبي كبير، مهما فعل فهو ابني وحبيبي، من اليوم سأطبق معه القاعدة التي تقول: «على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح»، ومن اليوم إن ذاكر وكان الأول فهو ابني وحبيبي، وإن ذاكر ورسب فهو ابني وحبيبي، أريد أمامكم أن أتأسف لخالد عما فعلته معه فيما مضى، وقبلت رأس خالد أمامهم، وانهمرت الدموع من عيني ومن عيني خالد، وأخذته في حضني وصفق جميع تلامذة الفصل، وعدت يومها للبيت مرتاحًا، وعاد خالد بعدي من المدرسة سعيدًا وقال لي: لقد رفعت رأسي اليوم يا أبي، لقد قال لي زميلي الأول على الفصل «ليت لي أبًا مثل أبيك»، ومرت الأيام وأنا أطبق قاعدة: «على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح»، وجاءت اختبارات الشهر لتثبت لخالد أنني ملتزم بتلك القاعدة، وبمرور الوقت بدأ خالد يطمئن في نومه وتوقف عن كلامه لنفسه واختفى التبول اللاإرادي، لقد تحسن حال خالد وهدأت نفوسنا من حوله، لكن مستواه الدراسي لم يتحسن ونحن نقبله كما هو لأن هذه هي قدراته، ونصيحتي لكل أب بعد تلك التجربة: لا تضغط على ابنك كثيرًا، فربما يتعب نفسيًا، فتنفق في علاجه كل ما تملك ليعود طبيعيًا كما كان ولا تستطيع، فاستمتع بابنك كما هو.

٣ : كيف نقيس نجاح ابنك؟



بعض الآباء يقيس نجاح ابنه بداية من الصفر.. فكل درجة يحصل عليها طفله – فوق الصفر - هي نتيجة اجتهاد وتحتاج إلى الثناء، فإن البعض الآخر يقيس نجاح ابنه بداية من المائة... فكل درجة تنقص من مجموع ابنه – أقل من المائة – يحسبها خسارة، فإن حصل الولد على مجموع ٩٩ من مائة، فهو مقصر لأنه نقص درجة..

فمن أي الصنفين أنت؟

من الآن قس نجاح ابنك وابنتك بداية من الصفر، وانظر لما حققه من نتائج وامدحه فيها، وشجعه على الزيادة والتحسن...

وهناك زاوية أخرى يرى الآباء من خلالها نتائج أبنائهم الدراسية..

فبعض الآباء ينظرون نظرة أحادية محدودة، فالدراسة هي كل شيء، ومن فشل دراسيًا ضاع اجتماعيًا وهبط ماليًا وأصبح مستقبله مظلمًا..

والبعض الآخر ينظر لنجاح الطفل في الدراسة نظرة شمولية، فالدراسة جانب من جوانب الحياة، إن لم يوفق فيها الولد أو البنت مع بذل الجهد، فعنده مجالات أخرى يمكن أن يبدع فيها ويتفوق..

روي أن هارون الرشيد قال لابنه المعتصم يومًا: ما فعل وصيفك (خادمك) فلان؟ قال المعتصم: مات فاستراح من الكتاب. قال الرشيد: وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ (من الكراهية)، والله لا حضرته أبدًا، ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة[١]

(١) العقد الفريد ٢ / ٢٤٤ ، و تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩ ، وربيع الأبرار ٣ / ١٩٩

أبناؤنا وفنّ التعامل مع الفشل



عندما يفشل ابني في شيء ما، فإنه يحتاج إلى الدعم لا إلى الذم، فإن قابل الآباء فشله بتوبيخ وسب فإنهم يزيدونه همًّا على هم، أما إن شجعوه وأعطوه أملاً في الحياة، فعندها يؤدون دورهم كآباء محبين، وإليكم نماذج تعاملت مع فشل الأبناء بنجاح وتوفيق...

(١) ابني من الحربية.. إلى انتظار النعم الربانية

تقدم ابني للالتحاق بالكلية الحربية، وكم كان يحلم بأن يكون جنديًّا ناصرًا لدينه مدافعًا عن بلده، ولقد مر بنجاح في بعض الاختبارات، وفجأة وفي أحد الاختبارات تعامل معه القائمون على الكلية الحربية بكبر وتهكم، لا أدري هل هذا لفقره أم لشكله أم لأنه لا يملك واسطة...، المهم رسب ابني في الاختبارات وتم رفض طلبه ولم يُقبل، وكم أحس ابني ساعتها بالمرارة تجري في حلقه، ولقد انتقلت تلك المرارة منه إلى نفوسنا جميعًا، وفجأة قرأت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠]، فأسرعت بها نحو ابني قائلاً:

يا بني، هذه رسالة من الله تعالى إليك، يقول لك جل شأنه: ﴿إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾.. لقد نزلت هذه الآية في سيدنا

العباس بن عبد المطلب ﷺ، وكان المسلمون قد أسروه يوم بدر، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام الكفار في بدر، وكان يوم وقعة بدر نوبته في شراء الطعام، وكان خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها المشركين، فأراد أن يطعمهم ذلك اليوم لكن الحرب قامت واقتتلوا فبقيت العشرون أوقية معه، ولما أسره المسلمون أخذوا منه الذهب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى النبي ﷺ وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك»، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم»، يعني بنيه، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال ﷺ: أخبرني به ربي ﷻ، قال العباس: أشهد أنك صادق، وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله ﷻ، فذلك قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى «الذين أخذت منهم الفداء» إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا) أي إيمانا (يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم) من الفداء) ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)..

قال العباس ﷺ: فأبدلني الله عنها عشرين عبدًا كلهم تاجر يضرب بمال كثير، وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر

يا بني الحبيب..
لا تسمح لأحد أن يقول لك: إنك لا تقدر على فعل شيء ما.. ولا حتى أنا.. لا تصدق أبدًا أنك فاشل.. فقد خلقك الله تعالى خليفة في الأرض.. فابحث عن مجال خلافتك، فكل ميسر لما خلق له..

المغفرة من ربي ﷻ(١)

وكم فرح ابني وفرحت معه بهذه الآية الكريمة، وطلبت منه أن نرددها معًا كثيرًا حتى يذهب الله تعالى ما بنا من حزن، وقد فعل جل شأنه بفضله وكرمه، واجتهد ابني في دخول كلية جديدة منتظرًا توفيق ربه وإبداله خيرًا مما أخذ منه، ويطمع في مغفرة الله تعالى له..

(٢) أخي الراسب كيف أصبح أستاذًا في الجامعة؟

كان أخي مراهقًا متعبًا جدًّا، يهمل دراسته ويضيع حياته، وكان والدي يقابل طيش أخي بالحكمة والرفق والموعظة الحسنة، وفجأة ظهرت نتيجة الصف الثالث الإعدادي ورسب أخي وتقرر أن يعيد السنة الدراسية مرة أخرى، وتوقع الجميع من أبي أن يسبه أو يضربه أو يطرده أو يحرمه، لكن والدي لم يفعل شيئًا من ذلك كله، بل على العكس تمامًا فوجئنا به يشترك لأخي في رحلة إلى مدينة ساحلية.

وقال له: يا بني، أنا أعلم أنك حزين، وأنا حزين أكثر منك، ولكي تعلم أنني شريكك في الحزن فقد اشتركت لك في رحلة تفرج فيها عن نفسك وتراجع أمور حياتك، وأنا على يقين أنك ستسعدني العام القادم.. وطلب منا ألا نعيّره أبدًا برسوبه...

ومرّت الأيام، وظهرت نتيجة الصف الثالث الإعدادي في العالم التالي، وكانت المفاجأة هي أن الطالب الأول على المدرسة هو أخي، نعم أخي الذي رسب العام الماضي هو أول هذا العام، ومرت الأيام تباعًا، وأخي هذا اليوم أستاذ بكلية الهندسة في إحدى الجامعات المرموقة.

---

(١) تفسير البغوي ٣ / ٣٧٩.

(٣) ومن يومها لم أرسب في امتحان

كان والدي - رحمه الله - رجلاً أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وكنت أشعر أنه شديد جدًا في تعامله معي، لكن لا أنسى ذلك اليوم الذي رسبت فيه في مادة من المواد، وكان قبلها يتوعدني إن رسبت بالعقاب الشديد، ووعدني إن نجحت بهدية جميلة، لقد عدت يومها من المدرسة خائفة حزينة وخاصة أنني أحمل في يدي شهادة الدرجات شاهدة على استحقاقي للعقاب، لقد كنت أقدم رجلًا وأؤخر أخرى، وطوال الطريق أفكر في غضب أبي، هل سيشتمني؟ هل سيضربني؟ هل سيحرمني من الخروج؟ ولم أفق من أفكاري هذه إلا وأنا على باب البيت، فدخلت وفوجئت بأبي يجلس ينتظرني، ولما رآني تفاجأت به أسرع نحوي، وفجأة أخذني في حضنه وناولني شيئًا كان في يده وقال لي: هذه هديتك، لأنني أعرف أنك مجتهدة وفعلت ما عليك، فعلى الإنسان أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، فهممت أن أقول له: لقد رسبت في مادة، لكنه قاطعني وقال: لقد عرفت النتيجة من مدرستك، ولا يهمك فأنا أحبك أكثر من حبي لدرجاتك، وأنا على يقين أنك ستعوضين حزني بنجاح كبير يسعدني، ومن يومها لم أرسب أبدًا في امتحان، ومن يومها أصبحت أنا وأبي أصدقاء، وزادت صداقتنا بعد زواجي وإنجابي للأولاد، اللهم اجعله من أهل الجنة هو وأمي.. آمين.

(٤) للراسب ضعف مكافأة الناجح

كان أبي فلاحًا بسيطًا وكان له سبعة من الأولاد أنا واحد منهم، وقد اعتاد مكافأتنا جميعًا نهاية كل عام دراسي، فعند ظهور النتيجة كان يعطي كل واحد منا مبلغًا من المال، وذات عام رسبت في الامتحانات ونجح إخوتي، فمنح أبي إخوتي الستة المكافأة المالية المعتادة، وما كان منهم إلا أن سخروا مني وأصابوني بالحزن

واليأس، وكم كنت أخشى من مواجهة أبي وأهرب من الجلوس معه، وفجأة وجدتني أنا وأبي وجهًا لوجه، وتوقعت منه الضرب والمهانة، لكنني فوجئت به يعطيني ضعف المكافأة التي أعطاها لكل واحد من إخوتي الناجحين، وقال لي: أعلم أنك حزين وأنا مثلك تمامًا فقلبك جزء من قلبي، وأنا على يقين أنك سترفع رأسي في العام القادم، كم كانت كلمات أبي رقيقة لكنها كانت في الوقت نفسه قاسية، كم كانت المكافأة كبيرة لكنها جعلتني أبدو صغيرًا، لقد احتفظت بالنقود أيامًا كثيرة وكنت أنظر إليها وأقسم ألا أجعل أبي يحزن بعد اليوم، لقد كانت تلك المكافأة وهذه الكلمات نورًا هداني الله به السبيل، ودافعًا للسير على طريق الناجحين والمتفوقين، وفي العام التالي قررت أن أفرح قلب أبي كما أحزنته، وبفضل الله نجحت وبتفوق، وتوالى النجاح عامًا تلو الآخر حتى حصلت على درجة الدكتوراه، واليوم أنا عضو هيئة تدريس بإحدى الجامعات المرموقة في بلادي، والفضل كله لله وحده ثم لمكافأة أبي الحكيمة وكلماته الطيبة.

(٥) ابنة راسبة.. وأب حنون



عندما كنت في الثانوية العامة اجتهدت قدر استطاعتي، وبعد الامتحانات ظهرت النتيجة، وذهبت لأعرف مجموع درجاتي، ففوجئت بأنني راسبة، عدت يومها للبيت حزينة وقدماي لا تستطيعان حملي، دخلت البيت صامتة وتوجهت نحو غرفتي وأغلقت على نفسي الباب، وجلست أفكر في أبي، فقد كان رجلاً متوسط الحال، وعندما سيعرف الخبر من الطبيعي أن يحزن ويشتم وربما يضرب، هكذا يفعل أمثاله، وقطع علي تفكيري صوت طرقات على باب غرفتي، واستأذن أبي ودخل عليَّ، وتوجه نحوي وأخذني بين أحضانه وقال لي:

«لا تحزني، إن شاء الله تعوضينها العام القادم بإذن الله، هكذا الحياة يا ابنتي، ونحن نتعلم من الفشل أكثر مما نتعلم من النجاح»، وربَّت على كتفي وتركني وانصرف، كم كانت كلماته حانية وصادقة ومطمئنة، بسببها استطعت النوم تلك الليلة وتفوقت العام التالي، وتعلمت من الفشل أن رسوب عام ليس نهاية الحياة، حدث هذا منذ سنين طويلة، لكنه موقف لا يمكن أن أنساه لك يا أبي.

(٦) رسب في الإنجليزية.. فتركته يلعب بحرية

كان ابني في الصف السادس الابتدائي، وكان متفوقًا، وبعد اختبارات نصف العام ذهبت لإحضار نتيجته دون أن يعرف، فوجدته قد حصل على درجات مرتفعة في كل المواد ما عدا اللغة الإنجليزية؛ حصل فيها على أقل من النصف، وهذا معناه أنه راسب فيها، وكانت صدمة كبيرة لي، ولأنه ذاكر واجتهد فلم أخبره بتلك النتيجة، وقررت أن أتركه يستمتع حتى تمضي إجازة نصف العام بسلام، وبعد انتهاء الإجازة واستمتاعه بها، أخبرته بخبر اللغة الإنجليزية وكيف أنني لم أفسد عليه إجازته، وأخذت بيده وطمأنته وشجعته، وكانت نتيجة ما فعلته معه مزيدًا من الاجتهاد، وقبلة على خدي، وحضنًا كبيرًا لن أنساه يومًا، ومرت الأيام واجتهد الغلام ونجح وأصبح كل شيء تمامًا.

(٧) اسجدي ولا ترفعي رأسك حتى تشعري بالرضا

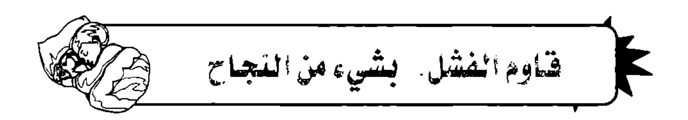
كنت فتاة مجتهدة محبة للدراسة، وفي الثانوية العامة اجتهدت كثيرًا وتوقع لي الجميع الخير، وظهرت النتيجة فذهبت لإحضارها، وهناك فوجئت أن مجموعي ضعيف جدًّا وغير متوقع، فعدت للبيت حزينة منكسرة، فما كان من أبي إلا أن احتضنني هو وأمي وقال لي: أنا فرحان جدًّا بما رزقك الله به من مجموع، فقدر الله تعالى كله خير وفي مجموعك الخير، وخاصة أنك اجتهدت وعملت ما عليك، وعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وأعطاني

أبي ٥٠٠ جنيه مكافأة على مجهودي لا مجموعي، وطلب مني أن أصلي ركعتين شكرًا لله تعالى، وألا أرفع رأسي من السجود الأخير إلا في حالة إحساسي بالرضا التام والحمد والشكر الجميل، فدخلت في الصلاة حزينة، لكن مع ابتسامة أبي وحضن أمي، ومن قبلهما عطف ربي، فقد خرجت من الصلاة راضية وسعيدة، لم أرفع رأسي من السجود الأخير حتى رزقني الله تعالى الرضا التام، وشعرت بسعادة عجيبة، والله من يومها أشعر بالرضا في كل شئون حياتي.

وخذنا ما

كانت إحدى الأمهات العاقلات تقول لأبنائها:
لن أكون مثل عموم الناس وأدعو لكم بالنجاح وفقط، فلن تستقبلكم الملائكة في القبر قائلين: «تفضل يا دكتور أو تفضل يا مهندس».. لكنني سأدعو لكم أن ربنا يهديكم.. يقول أبناؤها: والنتيجة أننا - بفضل الله - قد نجحنا في الحياة إلى حد لا يحلم به الكثيرون، ونحسب أننا في طريق الهداية نسير..





قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الضحى: ٧ - ١٠].

لقد خلق الله تعالى الإنسان وجعل في نفسه فجورها وتقواها، ففي كل إنسان استعداد قوي للتقوى وفي الوقت نفسه قدرة على الفجور، والمفلح من زكى الخير الموجود في نفسه ونمّاه بطاعة الله تعالى وعمل على تطهيرها من الشرور والآثام، والخاسر من ترك نفسه للضلال ودسها في زمرة المفسدين..

إذًا فتزكية النفس تشمل ركنين

الركن الأول: تطهيرها من الأفعال السيئة (فالتزكية معناها في اللغة: التطهير، يقال زكيت الثوب: طهرته) ويطلق عليها بعض العلماء: التخلية من الشرور.

الركن الثاني: تنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة (فالتزكية لغويًا معناها: الزيادة والنمو، فزكى المال يزكو إذا نمى، ومنه الزكاة لأنها تزكية للمال وزيادة له)، ويطلق عليها بعض العلماء: التحلية بالخيرات.

قاوم ما في ابنك من شرّ بتنمية ما فيه من خير.. امدحه، شجعه، كافئه.. واشغله بالخير حتى لا تشغله نفسه بالباطل..

وليكن هدفك أن يكون خيره أكثر من شره..

والأب (والأم) مسئول عن تزكية نفوس أبنائه، ولكي ينجح في تلك المهمة عليه ألا يركز وفقط على ما

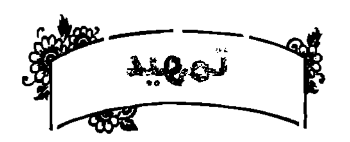
نفوسهم من شر ويظل يقاومه طوال حياته، حينها لن يصل إلى شيء، إذ لا بد وأن يهتم أكثر بزيادة ما في نفوسهم من خير ويعمل على تنميته وزيادة، فالتطهير (التخلية) والتنمية (التحلية) جناحا التزكية التي لا يصلح حال أبنائنا إلا بهما.. فلا بد أن ترى ما في ابنك من خير لتنميه، وترى ما فيه من شر لتقاومه..



إن نفس الطفل مثل قطعة الأرض تمامًا، فالمربي يريد أن يزرع فيها الخير وينزع ما فيها من شر، والفلاح يريد أن يزرع الأشجار وينزع الحشائش، فالزرع والنزع يكملان عملية التربية والزراعة، ومن اكتفى بنزع الشر فقط فشل، ولك أن تتخيل معي حال فلاح يملك قطعة من الأرض، كلّ ما يهمه هو أن ينزع ما فيها من حشائش ويقاوم ما فيها من حشرات، يقضي حياته لا يرى ما في الأرض من خير فقط همه أن ينزع ما فيها من شر، فعلى ماذا سيحصل؟ كلما نزع شرًّا جاء مكانه شر آخر، وقضى حياته مقاومًا للحشائش والحشرات، في حين أنه لو كان فلاحًا ماهرًا لرأيته لا يتوقف كثيرًا أمام الحشائش، ويهتم أولاً بزراعة الخير (البذور والأشجار) ويرعاها ويقاوم ما حولها من حشائش وحشرات، هنا ينجح وتحتل الزروع مكان الحشائش، وبالرعاية تنمو الأشجار وتضمحل الحشائش، وهكذا تهزم النباتات الحشائش، وهنا ينجح الفلاح ويجد ثمرة لمجهوده في نهاية الموسم.. وهكذا الآباء والأمهات، من ركز منهم على الشر الموجود في أبنائه فقط وعمل على مقاومته، فإنه لن ينجح في تزكية نفوس أبنائه، لا بد أولاً أن يرى ما في أبنائه من خير، وينشغل بتنميته ورعايته، مع نزع ما حوله من سلبيات وأخلاق ضارة..


من اليوم
لن تكره المدرسة يا بُنيّ

من اليوم لن تكره المدرسة يا بني



تأمل معي سلسلة المشاهد التالية

طفل متعلق بيد أمه وهو يبكي يرجوها ألا تتركه وحيدًا في المدرسة.

الطلاب يحتفلون يوم نهاية الامتحانات بتقطيع الكتب أو حرقها أو إلقائها في البحر أو النهر.

طفل تدخل عليه أمه حجرته ليلاً فتجده يرفع يديه إلى السماء يدعو ويقول: يا رب، أغلق المدارس إلى الأبد.

طفل تسأله أمه عن أمنيته في الحياة فيقول: أن تقع المدرسة على من فيها ويموتوا جميعًا، بشرط أن أكون هذا اليوم غائبًا من المدرسة..

طفلة في الصباح تتظاهر بأنها مريضة حتى لا تذهب إلى المدرسة..

طفل يأتي من المدرسة وآثار الضرب ظاهرة على يده ويقسم لأمه أنه لن يذهب إلى المدرسة ثانية.

طفل بالصف الثاني الإعدادي هرب من مدرسته وذهب ليستحم في البحر فغرق، فبدلا من أن تستقبله أمه عائدًا من المدرسة، ودعته راحلاً إلى الآخرة..

مدرس يعتدي على طالب ويكسر يده..

طفل يتعلق بقدم أبيه محاولاً تقبيلها وهو يقول: ارحمني يا أبي ولا تجعلني أذهب إلى المدرسة ثانية، سأعمل أي شيء - ليل نهار - لكن ارحمني من المدرسة..

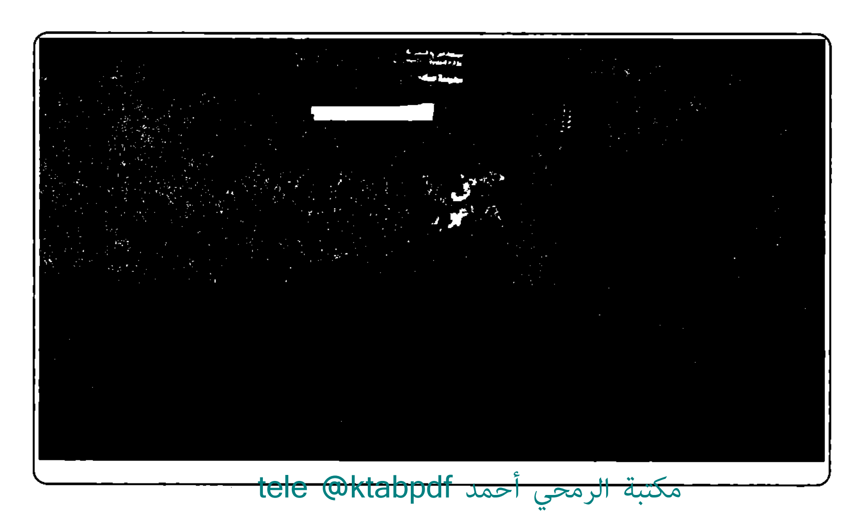
طفل يذهب يوميًّا إلى المدرسة باكيًا ويعود شاكيًا..

يوم الإجازة من المدرسة عند أبنائنا أجمل عيد..

بنت تكتب على صفحتها في الفيس بوك قبيل المدرسة:قريبًا.. فيلم الرعب العودة إلى المدارس.. بطولة طالبة معذبة..

أم تقول لابنها: ستكبر وتكون رجلاً وتدخل المدرسة، فيفرح الطفل كثيرًا لأنه سيكون مثل أخيه الأكبر، وبعد أن يلتحق الطفل بالروضة في عمر الثلاث سنوات يعود إلى أمه باكيًا ويتبول على نفسه ويقول: لا أريد أن أكون رجلًا أحب أن أظل طفلاً..

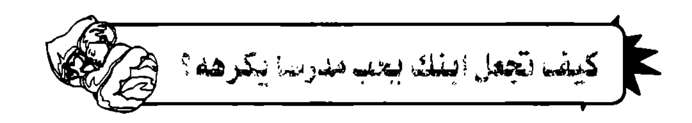
طفل يكره المدرسة جدًّا فكتب علي جدار المدرسة بخط كبير: عرض خاص، المدرسة للبيع مع المدير مجانًا للاستفسار الرجاء الاتصال بمكتب..



وجوه الأطفال مليئة بالكآبة صباحًا وهم ذاهبون إلى المدرسة، بينما يصرخون سعادة عندما يدق جرس المدرسة معلنا نهاية اليوم الدراسي..

إن هذه المشاهد تحكي واقعا أليمًا يعيشه أبناؤنا في المدارس، وهي من الأسباب التي تجعل الطفل ينام حزينًا ويستيقظ بائسًا، وفيما يلي سنقدم بعض الأفكار العملية الواقعية والتي تقلل من الحزن التي تسببه مدارسنا لأبنائنا، إنها محاولة جادة لجعل البسمة تعود إلى وجوه أطفالنا كل صباح وهم ذاهبون إلى المدرسة..





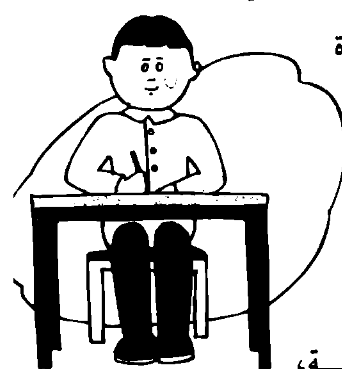
يقول أحد الآباء:

عندما كنت طالبًا في الصف الأول الابتدائي، كان مدرس الفصل رجلاً حكيمًا جدًّا، كنا نحبه كثيرًا ونخشى غضبه في الوقت نفسه، كان يخلط بين الحب والحزم بمعايير عالية الجودة، ولقد كان هو السبب في حبي للغة العربية، ولكي أكون أكثر تحديدًا كانت الحلوى التي يحتفظ بها في مكتبه ويكافئنا بها في مادة الإملاء هي السبب، فقد كان يعطي من كتب على السبورة الكلمات الصعبة – بطريقة صحيحة – حبة من الحلوى الجميلة، ودارت الأيام وفي الثانوية العامة كنت صاحب أعلى مجموع في اللغة العربية على مستوى المحافظة، ودخلت كلية التربية واخترت قسم اللغة العربية، وعملت مدرسًا لها خلفًا لأستاذي الذي قد رحل عن الدنيا بعدما عملت أنا بالتدريس بأيام معدودة، وكأنه سلمني راية التدريس ورحل، كم تذكرته بالدعوات..

ودارت الأيام، والتحق ابني بالمدرسة، وهو في الصف الثاني الابتدائي، رزقه الله بمدرسة لغة إنجليزية مجتهدة جدًا، في أول حصة جاءني ابني قائلاً: «أنا أحب اللغة الإنجليزية جدًّا»، ففرحت بذلك كثيرًا وقررت أن أذهب إلى المدرسة لأشكرها على انطباعها الأول الجميل في نفس ابني، لكنني انشغلت قليلاً، وبعد أيام جاء ابني حزينًا وأخبرني أن مدرسة اللغة الإنجليزية قد ضربته بالعصا بشدة على كلتا يديه؛ وهذا لأنه لم يفلح في كتابة كلمة Fan (مروحة) على السبورة، وأن المدرسة (الظالمة من وجهة نظره) تضرب البنات عصا واحدة عندما يخطئون بينما تضرب الذكور أمثاله مرتين، وأخبرني بأن

زميله الذي يجلس بجواره قد كتب الكلمة بمهارة أما هو فلا... كم أحزنني كلام طفلي الحبيب، لكنني قررت أن أشجعه على التحدي وأن يتقن كتابة الكلمات مع أن الأمر ليس سهلاً، لكنني فرغت جزءًا من وقتي لمساعدته..

وحانت ساعة الصفر ورن الجرس لتدخل عليهم مدرسة اللغة الإنجليزية، وبدأت في إخراج الأطفال ليكتبوا الكلمات على السبورة بالترتيب، الجميع يكتبون فإما ناجٍ وإما هالك مضروب، وجاء نصيب ابني في أن يكتب كلمة (House - منزل)، لكنه كتبها (hos) وأخطأ هو وزميله الذي يجلس بجواره في كتابتها، وكان الضرب هذه المرة من نصيب الجميع...وهنا شعرت أنه على وشك أن يكره اللغة الإنجليزية، وكان لا بد من تصرف حازم وجاد وسريع ومؤثر، فماذا يا ترى سأفعل؟ هل أذهب إلى المدرسة فأوصيها على ابني أن تترفق به؟ أم أشكوها إلى مدير المدرسة؟ أم أتواصل مع بقية أولياء الأمور ونطلب نقلها من فصل ابني؟ ما الحل؟



تشاورت مع زوجتي فيما سنفعل، وفجأة تذكرت مدرسي الذي جعلني أحب اللغة العربية وفكرته الرائعة مع الحلوى، فقررت على الفور أن أذهب إلى المدرسة وقد ألهمني الله تعالى بفكرة جميلة..

ذهبت وقابلت مدرسة اللغة الإنجليزية، وشكرتها على اجتهادها مع أطفالنا وحرصها على تحسين مستواهم اللغوي، وهذا واقع لا مجاملة فيه، فهي مجتهدة لكنها تفسد من حيث تريد الإصلاح، المهم قلت لها: هناك طريقتان للتعلم، طريقة العقاب وهي التي يستخدمها معظمنا في مدارسنا، وبسببها قد يكره أبناؤنا المدرسة ولا يحققون ما نريد،

لكننا ننسى كمدرسين أن هناك طريقة أخرى للتعلم وهي الثواب، وحكيت لها قصتي مع كيس الحلوى الخاص بمدرس اللغة العربية رحمه الله، ثم أخرجت من حقيبتي كيسًا كبيرًا من الحلوى وقلت لها: ما رأيك أن نجرب مع الأطفال فكرة الثواب لمدة شهر واحد، فقط شهر واحد بلا عصا، العقاب فقط يكون على من قصر في كتابة الواجبات المنزلية، لكننا لن نعاقب على مستوى الأداء والجودة في حفظ الكلمات، فقط سنكافئ من يحسن الإجابة، والمسيء يكون عقابه الإهمال مع الحرمان من الحلوى، ونرى النتيجة معًا، والهدف من هذا كله:

١- أن يحبك التلاميذ أكثر ويتذكرون تلك الفكرة بعد طول عمر وحسن عمل فيدعون الله تعالى لك.

٢- يحبون اللغة الإنجليزية ويجتهدون في حفظ الكلمات ويتنافسون على الحلوى لا خوفًا من العصا.

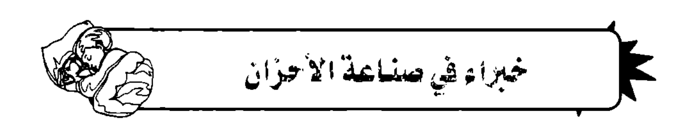
٣- ترتاحين من عناء الضرب ومن مشاكله، ولا تكونين سببًا في كراهية أحد الأطفال للغة الإنجليزية، فارحمي نفسك من سؤال الله تعالى لك: لماذا كنت سببًا في كراهية هذا الطفل أو ذلك لتلك المادة الدراسية؟ لماذا كنت سببًا في توقفه عن التعلم؟

وأخبرت المدرسة أن ابني لن يعرف مطلقًا مصدر الحلوى، وأن عليها فقط عندما تنتهي الحلوى أن ترسل مع ابني ورقة صغيرة في خطاب مغلق، وتخبرني أن الحلوى اقتربت من أن تنفد، وفي اليوم التالي سيكون عندها كيس الحلوى الجديد..

ولقد تلقت المعلمة كلامي بقبول حسن، وأظهرت حزنها على ما كان منها، ووعدتني أن تجرب فكرة الحلوى مع التلاميذ، كما اتفقت معها أن تجعل

الحصة التالية حصة «إعادة الثقة» في نفس ابني، وذلك بأن تطلب منه أن يكتب كلمة يحفظها جيدًا على السبورة وتعطيه الحلوى كمكافأة وتجعل التلاميذ يصفقون له، وبعد أيام جاء ابني من المدرسة فرحًا مسرورًا، لقد فعلت المعلمة – جزاها الله خيرًا – ما وعدت به، وعادت الثقة إلى نفس ابني، وعادت البسمة إلى وجهه، وهمس في أذني قائلًا: أنا أحب اللغة الإنجليزية جدًا..

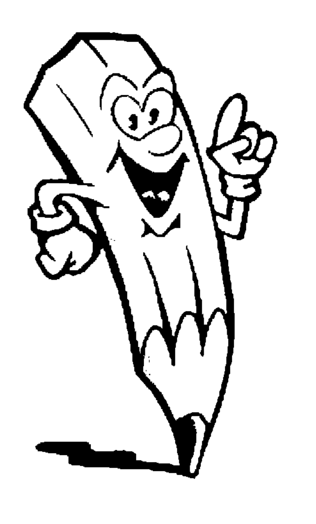
* * *



هل الأب الفاشل يمكن أن يكون معلما ناجحا؟

إليكم نماذج مما يفعله المدرسون في حياة الصغار..

(١) **قلم قصير وأب فقير**



أستاذتي في المرحلة الابتدائية كلما ذكرتها أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقد كان لدي قلم رصاص قصير أكتب به، فلما رأت قلمي القصير أهانتني أمام زملائي وأمسكت بالقلم قائلة: انظروا لهذا الطالب الفاشل، إنه لا يحضر أدواته، هل يبخل عليك أبوك بثمن قلم رصاص؟... كم كانت كلماتها أقوى من الرصاص، كم شعرت حينها برغبة قوية في الرحيل من المدرسة وربما الرحيل من الحياة، مزيج من الخجل والقهر مع الحزن والألم لن يشعر بها أحد إلا من تعرض لمثل هذا الموقف، ومن يومها كنت أكسر أقلامي وأدواتي الدراسية وخاصة في حصص هذه المدرسة، لا أدري هل كنت أكسر أقلامي حزنًا أم ألمًا أم تحديًا لا أدرى، المهم أنني إلى اليوم كلما أمسكت بالقلم تذكرت هذه المعلمة وقلت: حسبي الله ونعم الوكيل..

(٢) **انفارنات تحطم الطاقات**

عندما كنت في المرحلة الابتدائية كنت معروفًا بحسن الصوت في تلاوة

القرآن الكريم، كنت أقرأ في الإذاعة المدرسية والحفلات الموسمية، وحان موعد حفل عيد الأم، وتأهبت لتلاوة القرآن بالحفل، لكن المدرس المشرف على الحفل اعترض طريقي قائلاً: انتظر أنت، لا تقرأ، فزميلك محمد صوته أجمل منك وسيقرأ هو أفضل، حدث هذا منذ أكثر من عشرين عامًا، ومن يومها وأنا فاقد الأهلية والثقة في صوتي وقراءتي، فسامحك الله يا أستاذي، فقد كان يمكنك أن تجعل زميلي يقرأ دون أن تجرح مشاعري، لقد كانت كلماتك قاسية ومفاجأتي بها كانت أشد قسوة...

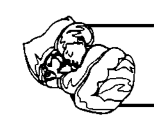
(٣) الانطباع الأول عن المدرسة يدوم

في المرحلة الابتدائية اضطررت أن أنتقل من معهد أزهري إلى آخر، في المعهد الأول كنت معروفًا بالتفوق وحسن الخلق، وفي أول يوم لي في المعهد الجديد حدث ما لم أكن أتوقعه، دخل مدرس الرياضيات الفصل وسألني عن كيفية حل مسألة ما، ولقد كنت أعرف الإجابة لأنها سهلة جدًّا، ولكن من رهبة الموقف - فالمعهد والطلاب والمدرس لم أتعرف عليهم بعد - لم أستطع الإجابة، هنا سخر مني المدرس وقال: هل أنت منهم (يعني من الفاشلين)؛ ومن هنا كرهت مادة الرياضيات مع أنني كنت الأول فيها على المعهد الذي حولت منه، وإلى يومنا هذا وأنا أكره مادة الرياضيات بسبب هذا الموقف القاسي معي كطالب جديد وغريب، إن الانطباع الأول يدوم، هذه هي القاعدة التي تعلمتها، وأنا اليوم أعمل معلمًا وأحاول جاهدًا أن يكون الانطباع الأول مع كل طلابي جيدًا، في يوم الدراسة الأول، وعند أول خطأ يقعون فيه، وعند أول درس أدرسه لهم، وفي أول رحلة نخرجها معًا، إن العام الدراسي الأول هو البوابة التي يدخل منها أبناؤنا إلى العلم والتعلم، فإما أن يدخلوه بحب أو يخرجوا منه بكراهية.

(٤) لقب المدرس القاتل

هناك ألقاب يطلقها بعض المعلمين على تلامذتهم، والألقاب الإيجابية تكون محفزة ومشجعة، كأن يطلق المدرس على أفضل طالب يحل المسائل الحسابية «المايسترو»، ويطلق على من يحل المعضلات الكيمائية «الخبير».. أما الألقاب السلبية فإنها تحطم ولا تعلم، وكان من نصيبي أحد هذه الألقاب؛ إذ كان مدرس الرياضيات يقول لي دومًا: أنت أبو الهول، لا ينطق أبدًّا... وهذا لأنني كنت أصمت عندما يطلب مني إجابة سؤال أو حل مسألة، كان هذا اللقب يؤذيني جدًّا، وكان زملائي يغيظونني به، حدث هذا في المرحلة الإعدادية، وإلى يومنا هذا – بعد عشرين سنة – يحزنني هذا اللقب وأشعر أنه يدمر حياتي، فأحيانًا أتكلم بغير علم لأثبت أنني لست «أبو الهول» فأقع في المشاكل، وأحيانًا أصدق أنني أبو الهول فأصمت كثيرًا ويفوتني الكثير من الخيرات..

* * *



المعلمون كيف يصنعون الأفراح؟



هناك فارق كبير بين المدرس والمربي، فالمربي يتعامل مع القلوب قبل أن يتعامل مع العقول، لذلك فهو صاحب لمسة حانية في حياة الصغار.. وفيما يلي بعض تجارب المعلمين المبدعة والواقعية..

(١) كيف تعيد الثقة لتلميذ حزين؟

كنت في الصف الأول الابتدائي أجد صعوبة في إجراء العمليات الحسابية، وبدأت ثقتي بنفسي تهتز وبدأت أكره حصة الرياضيات، ولما علم أبي بالأمر اتفق مع معلمي أن يجعلني أقوم بحل مسألة حسابية بسيطة ويصفق التلاميذ لي، هذا دون أن أعرف، وبالفعل حللت المسألة وصفق لي التلاميذ، وكم فرحت ساعتها وشعرت أن كرامتي قد رجعت إليَّ، إذ كنت أتألم كثيرًا لكثرة إحراج نفس المدرس لي أمام زملائي عندما أفشل في حل مسألة حسابية، ومن ساعتها أحببت المسائل الحسابية وبدأت أجتهد في مادة الرياضيات حتى أصبحت من الفائقين فيها، بفضل الله تعالى، وأنا اليوم أعمل معلمًا، رحمك الله يا أبي، وغفر الله لك يا أستاذي..

(٢) أنت راسب وستشارك في مسابقة أوائل الطلبة

ذات عام وفي اختبار الشهر رسبت في مادة الدراسات الاجتماعية، وفوجئت بالمدرسة تستدعيني لتخبرني بأنه تم اختياري للمشاركة في مسابقة

أوائل الطلبة بالمدرسة في مادة الدراسات الاجتماعية، فقلت لها: لقد رسبت في امتحان هذا الشهر، فقالت لي بثقة وعزيمة: أعلم ذلك، كما أعلم أنك تقدر على أن تتفوق في هذه المادة، وسيكون لك دور فعال في المسابقة... لقد وصلت كلمات معلمتي إلى أعماق قلبي، إلى مكان لم تصل إليه كلمات أحد من قبل، وحركت كلمات معلمتي طاقات كانت كامنة بداخلي، وبالفعل اجتهدت وشاركت بفاعلية في المسابقة، لدرجة أنني لم أصدق أن هذا المستوى الرائع هو مستواي في مادة الدراسات التي رسبت فيها، لكن الرسوب بفضل الله تعالى أصبح من الماضي، وبعد أن كنت ممن يكرهون مادة الدراسات أصبحت من محبيها..

ودارت الأيام وأصبحت معلمًا، وذات يوم كتب لي أحد تلامذتي رسالة يخبرني فيها أنه يشعر بأنه لن يحصل على الدرجة النهائية أبدًا في مادة الرياضيات التي أدرسها له، وهو بالفعل لم يحصل يومًا على الدرجة النهائية في تلك المادة طوال سنواته الدراسية، فقابلت هذا الطالب، وطلبت منه أن يطيعني فيما سأقوله له وينفذ معي برنامج «حب المادة أولاً» قبل أن يتفوق فيها، فقد كنت أرى أن هذا الطالب متميز دراسيًّا ومشكلته نفسية وفقط.

وبالفعل نفذنا البرنامج معًا، كان البرنامج عبارة عن مزيج من الحب والصداقة والتشجيع وتحقيق نجاحات صغيرة في المادة الدراسية والتدرج وزرع الثقة بالنفس، وبعد أن تحسنت حالته النفسية وعادت له ثقته بنفسه أخبرني بأن الحصول على الدرجة النهائية لم يعد مشكلة، بل إنه أصبح أمرًا في منتهى السهولة، وقال: لقد أصبحت الدرجة النهائية لعبتي...

(٣) الإذاعة المدرسية كيف تصنع المبدعين؟

عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي، كنت أشارك في الإذاعة المدرسية

كل صباح، وذات يوم ألقيت قصيدة من الشعر، وبعد أن أنهيتها جاء مدير المدرسة نحوي مسرعًا وقال: أعد هذه القصيدة الرائعة مرة أخرى وأسمعها لزملائك الأكبر منك سنًّا في الخامس والسادس الابتدائي، ومنحنى مكافأة كبرى مقدارها خمسة عشر قرشًّا مصريًّا (١٥ قرشًا)، حدث هذا منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ولم أنسها له رحمه الله، ومن يومها وأنا من محبي الشعر العاشقين للأدب المتفوقين في الخطابة والإلقاء..

(٤) حكايتي مع مدرس الموسيقى

كنت أحب مادة التربية الموسيقية، وكم تمنيت أن أتدرب على إحدى الآلات الموسيقية وأعزف عليها في الطابور، وبدأ معلم الموسيقى يشجعني، لكن وقت المدرسة لم يكن يسمح لي بالتدريب على آلة «الإكسليفون» التي أحبها، ولما شعر المعلم بذلك قال لي يومًا: سأعطيك هذه الآلة حتى تتدرب عليها في المنزل على مسئوليتي الخاصة، فالآلة ملك للمدرسة وهي عهدتي وأنا المسئول عنها، ومن ساعتها أصبحت أفضل طالب يعزف على هذه الآلة حتى المرحلة الإعدادية، ودخلت مسابقات موسيقية كثيرة وكنت دائما الأول...

(٥) أستاذ الجامعة لا أنساك أبدا

كان عندنا في كلية التربية أستاذ أصول تربية أحترمه جدًّا، وظلت العلاقة بيننا حتى بعدما تخرجت من الكلية، وحان موعد التحاقي بالجيش لتأدية الخدمة العسكرية، ولما علم أستاذي بذلك قابلني قبيل سفري وأعطاني مبلغًا قدره (خمسون جنيهًا) حتى تكون معي في سفري، فاعتذرت إليه قائلًا: أشكرك فلست بحاجة إليها، فألح عليَّ أن آخذها، فأوضحت له أنني أملك

سيارة وعندي منزل عالي المستوى ولا أحتاج لهذا المبلغ، وهنا قال لي: هذا ما فعلته مع ابني عند دخوله للجيش، فقد أعطيته خمسين جنيهًا، وها أنا ذا أعطيك مثله تمامًا، فأنت عندي في معزته... هذا الموقف لا يمكن أن أنساه أبدًا، رحمه الله رحمة واسعة..

كان أبو حنيفة يصبر على من يعلمه، وإن كان فقيرًا أغناه، وأجزل عليه وعلى عياله حتى يتعلم، فإذا تعلّم قال له: قد وصلت إلى الغنى الأكبر بمعرفة الحلال والحرام[1]..

كان أبو حنيفة قد فرّغ تلامذته للعلم دون سواه، ومنعهم من أن يمارسوا أعمالاً أخرى في الصناعات والحرف، فأعطاهم رواتب شهرية ثابتة، وفي مقدمتهم تلميذه أبو يوسف الذي نشأ في بيت فقير، وأراد أبواه أن يصرفاه عما هو فيه من طلب العلم، فقام أبو حنيفة بسد حاجته وحاجة أبويه من المال، إن أبا يوسف يسجل ذلك بقوله: كان يعولني وعيالي عشرين سنة، وإذا قلت له: ما رأيت أجود منك! يقول: كيف لو رأيت حمادًا؟ يعني أستاذه حماد بن أبي سليمان، ومن هنا يتبين أن جود أبي حنيفة يصدر عن سجية وليس افتعالاً، وطبع وليس تطبعًا، وعفو الخاطر وليس تصنعًا[2]..

ولقد ذكر الإمام الخطيب البغدادي في كتابه العظيم «تاريخ بغداد» في ترجمة القاضي أبي يوسف (يعقوب بن إبراهيم ـ المتوفى سنة ١٨٢) تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمهم الله أجمعين، عن أبي يوسف وهو يحكي عن نشأته قال: «كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال، فجاء أبي يومًا وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه فقال: يا بني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص٤٨.

(٢) الأئمة الأربعة للشكعة، ص/ ١٠٤

مشوي (يعني في سعة وغنى) وأنت تحتاج إلى المعاش.. فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه.. فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست، فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال: استمتع بهذه. فنظرت فإذا فيها مائة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إليَّ مائة أخرى ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلّة قط ولا أخبرته بنفاد شيء، وكان كأنه يُخبَرَ بنفادها حتى استغنيت وتمولت».

وفي كتاب «مناقب أبي حنيفة» للموفق الخوارزمي زيادة، قال أبو يوسف: «فلزمت مجلسه ٢٩ سنة حتى بلغت حاجتي، وفتح الله لي ببركته وحسن نيته ما فتح من العلم والمال، فأحسن الله عني مكافأته وغفر له».

(٦) حكايتي من الإهمال إلى الإحسان

عندما كنت في الصف الثالث الإعدادي كنت مهملاً جدًّا، كنت دومًا أرمي الأوراق على الأرض في فناء المدرسة، وذات يوم قبيل طابور الصباح تناولت بعض الحلوى ورميت أوراقها على الأرض، وفجأة رأيت مدير المدرسة أمامي وجهًا لوجه، لقد كان المدير ذا شخصية قوية جدًّا والجميع يهابه حتى المدرسون يعملون له ألف حساب، وكان المدير محبًّا للنظافة حريصًا على تعليم طلابه كيف يحافظون على مدرستهم، فلما رأى ما فعلت قال لي: ما اسمك؟ وما هو فصلك؟ فأخبرته... فتركني وانصرف... وبينما نحن في الحصة الأولى ظهر المدير فجأة عند باب فصلنا، فقلت: آه، الآن سأموت من الضرب... ونادى المدير على اسمي، فلم يكن أمامي إلا أن أقف منتظرًا أليم العقاب، لكنني فوجئت بالمدير يقول لمعلم الفصل: هذا الطالب مؤدب جدًّا

ومتميز ولو سمحت يعين مسئولاً عن معسكرات النظافة والخدمة العامة في المدرسة، وقد كان... والله لقد دهنت المدرسة بالكامل وصنعت مع زملائي صناديق قمامة على حسابنا ومن أموالنا الخاصة، فعلت ذلك بحب وسعادة، لقد كانت كلمات المدير الإيجابية سببًا في تنفيذ ما طلبه بإتقان ومحبة، مع العلم أنني كنت على أتم استعداد للتمرد على جميع من في المدرسة بمن فيهم المدير... فمن يستطيع أن يقف في وجه طالب مراهق غاضب ومصمم على العصيان، فخير من الصدام التعامل برفق وإحسان.

(٧) ليس الفقر بالمال.. إنما الفقر بالإهمال

هذه كانت الكلمات الغالية التي حفظتها من أستاذي في المرحلة الابتدائية رحمه الله، فقد ذهبت يومًا إلى المدرسة بقميص قديم فيه خياطة مفكوكة وحالتي يرثى لها، ولمح المدرس في عيني انكسارًا، فجاء نحوي وربت على كتفي وقال: الفقر ليس في المال، إنما الفقر يكون بالإهمال، فعلى سبيل المثال لا تلبس القميص مقطوعًا ولا متسخًا، ولكن البسه مخيطًا نظيفًا ومكويًّا، عندها تكون غنيًّا وحسن المظهر، فالرزق من الله، والإهمال من الناس... هذا يا بني ما أفعله أنا في حياتي، وأنا بفضل الله راضٍ وسعيد... وما أسرع أن دخلت كلمات أستاذي إلى قلبي، وامتلأت نفسي رضا وسعادة، وبدأت أهتم بملابسي وهندامي، راضيًا بما أملك، محاولاً أن أجعله أجمل ما يكون..

أيها المعلم الكريم .. لتكن عندك قصة تحكيها دومًا لتلامذتك؛ تلخص من خلالها مبدأ مهمًّا ينفعهم في الحياة.

(٨) هل عندك قصة تحكيها دائما لتلاميذك؟

كانت هناك قصة يحكيها لنا أستاذنا في المدرسة، سمعتها منه كثيرًا، حتى أصبحت من مبادئ حياتي ومن أسباب سعادتي، تقول القصة:

كان هناك صديقان يمشيان في الصحراء، وفي أثناء سيرهما اختصما، فصفع أحدهما الآخر على وجهه، فتألم الصديق لصفعة صديقه ولكنه لم يتكلم، بل كتب على الرمل: «اليوم أعز أصدقائي صفعني على وجهي» وواصلا المسير، فوجدا واحة فقررا أن يستحما في الماء، وفجأة بدأ صاحب الخد المضروب يغرق، فرآه صديقه الذي صفعه وسارع بإنقاذه، فلما أفاق من الغرق نحت على الحجر: «اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي»، فسأله صديقه:عندما صفعتك كتبت على الرمل..!!! لكن عندما أنقذت حياتك من الغرق كتبت على الحجر، فلماذا؟؟؟

فابتسم وأجابه: عندما يجرحنا الأصدقاء علينا أن نكتب ما حدث على الرمل؛ لتمسحها رياح التسامح والغفران، ولكن عندما يعمل الصديق شيئًا رائعًا علينا أن ننحت ما فعله من جميل على الصخر حتى يبقى في ذاكرة القلب حيث لا رياح تمحوه.

(٩) ٢٥ قرشا غيرت حياتي

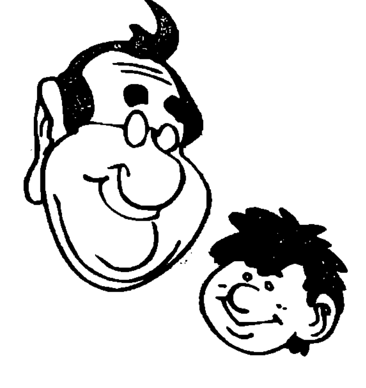
في بداية المرحلة الابتدائية كنت طالبًا منطويًا جدًّا، قليلاً ما أتكلم ونادرًا ما أشارك، وذات يوم عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي سألني المعلم سؤالاً بسيطًا، فأجبته بطريقة صحيحة، فما كان من المعلم إلا أن أعطاني يومها (٢٥ قرشًا – ربع جنيه) مكافأة لي على اجتهادي، ولقد رجعت يومها إلى البيت سعيدًا جدًّا، ومن ساعتها انطلقت الطاقة الاجتماعية الكامنة في نفسي، لقد منحتني تلك الجائزة الثقة في نفسي، ومرت السنوات، وأنا اليوم أعمل مدرسًا، وهذه قمة الاجتماعية من وجهة نظري، وأنا بفضل الله من أقدر المدرسين على دمج الطلاب الصامتين والمنطوين في العملية التعليمية، وأعرف جيدًا كيف أجعلهم يشاركون المدرس بفاعلية ونشاط، إنها المكافآت الصغيرة

والتشجيع الصادق التي يصنع المستحيل...

(١٠) واحتفظت بالكراسة لسنوات

في المرحلة الثانوية، طلب مدرس اللغة العربية أن نكتب حول موضوع معين أعطانا عنوانه، كان ذلك في حصة التعبير، وكنت موفقا بفضل الله في كتابة الموضوع، فقرأ المعلم ما كتبت، وأثنى عليه كثيرًا، وجعلني أقرؤه أمام زملائي، وكتب تعليقًا جميلاً في نهاية الموضوع، والله لقد احتفظت بهذه الكراسة سنوات وسنوات، كنت كلما أصابني الحزن فتحت الكراسة لأرى كيف كنت جيدًا، وكيف أنني أستطيع فعل المزيد، وكنت كلما فتحت الكراسة دعوت لمعلمي الذي لم يبخل علي يومها بالمدح الرقيق الذي يحرم منه اليوم الكثير من أبنائنا وتلامذتنا المحسنين..

(١١) فن التعامل مع المجتهدين



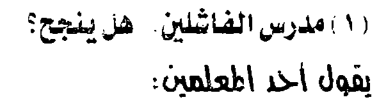
الموقف الذي لا أنساه أبدًا ما حييت؛ هو أنني في الصف الثاني الإعدادي كنت الأول على المدرسة في مادة الدراسات الاجتماعية، وكنت أخوض امتحانات الشهور بتفوق، لكن في أحد الشهور انشغلت بمذاكرة مادة العلوم ولم أذاكر الدراسات، وفي الامتحان حصلت على مجموع قليل في الدراسات لأول مرة، كل هذا وأنا لا أعلم ولا أحد يعلم بالدرجات غير معلمة الدراسات، فقامت المعلمة بوضعي في قائمة الأوائل وأعطتني هدية، ثم قابلتني على انفراد وأعطتني ورقة الامتحان وبها الدرجة التي حصلت عليها، كدت أبكي ساعتها من تعاملها الراقي معي وحفاظها على مشاعري أمام زملائي،

والعجيب أنها لم تظلم أحدًا ممن يستحقون الهدايا والجوائز ممن حصلوا على الدرجات العالية من زملائي، وكان ثمن هديتي من مالها الخاص، حدث هذا منذ أكثر من عشرين عامًا، ومن ساعتها أدعو لها بكل خير...

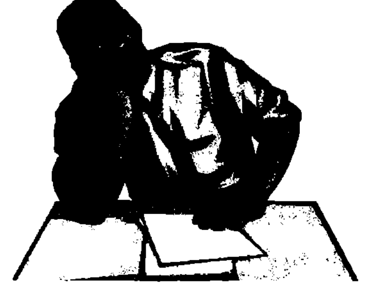
(١٢) فتح عقلي وأسر قلبي.. بجنيه واحد



كنت في الصف الرابع الابتدائي وذلك في أوائل السبعينيات، وكنت مواظبًا على شراء الصحف لمتابعة مباريات الكرة لأنه لم يكن لدينا تلفزيون، وذات يوم رآني مدرس الفصل أحمل الصحيفة وأسير خارج المدرسة، فظن أن أحد المدرسين قد أرسلني لشراء الصحيفة، فغضب من ذلك وسألني عمن جعلني أترك المدرسة لأشتري له الصحيفة، فأخبرته أن الصحيفة لي أنا، فقال مختبرًا: إذًا اقرأ لي ما تريده منها، فقرأت دون خطأ واحد، فتعجب رغم معرفته بأنني الأول على الفصل، وأخذ المدرس بيدي وعاد بي إلى المدرسة وجمع المدرسين والمدير والناظر، وقال لي: اقرأ، فقرأت، وتعجب الحاضرون فقد قرأت بجودة وإتقان، وتوجه المدير نحوي مبتسمًا وقبل رأسي، وأعطاني جنيهًا، وما أدراك ما الجنيه في ذلك الوقت.. ومن يومها أحببت القراءة جدًّا، وكنت الصديق الأوحد للمكتبات المدرسية طوال رحلتي التعليمية، والفضل كله لله تعالى فيما لدي من ثقافة وعلم ثم لهذا المدير الذي صنع مني محبًّا للقراءة عاشقًا للكتاب..



(١) مدرس الفاشلين.. هل ينجح؟



يقول أحد المعلمين:

تأملت حال المدرسين من حولي، فوجدت معظمهم لا يقبل في درسه الخصوصي طالبًا ضعيفًا دراسيًا، فالكل يفضل إن يذهب إليه الطالب المتفوق أو الجيد وفقط، وذلك حرصًا على سمعته ورفعة لاسمه، وحتى لا يقول الناس: إن هذا الطالب الفاشل دراسيًا يأخذ درسًا عنده، فينتقص ذلك من قدره ويقلل من أسهمه، وهذا يزيد الطلاب الضعاف دراسيًا همًّا على هم، فيشعرون أنهم منبوذون كأنهم حشرات ضارة، ولذلك قررت – كمعلم – أن أصنع شيئًا مختلفًا..

لقد قررت أن أكون وفقط مدرسًا للفاشلين، وبدأت أبحث عنهم في كل مكان وأهتم بهم وأعطيهم دروسًا تعليمية خاصة، بل إنني فتحت لهم مركزًا دراسيًّا أسميته «مركز الفاشلين»، وجعلت شعار المركز «فاشل اليوم.. مبدع الغد»، وبدأت أبحث عن الضعاف دراسيًّا وأقابل أولياء أمورهم وأطلب منهم أن يسلموني أبناءهم الفاشلين دراسيًّا وألا يستعجلوا النتائج، ووجدت أغلب هؤلاء الطلاب يفتقدون إلى الثقة في النفس ولا يحبون التعلم وليس لديهم دافع للتعلم ومصابين باليأس ويتألمون كل يوم، ويظهر ذلك عليهم في هيئة عدوان أو انطواء أو صمت أو تنمر أو سرقة وغيرها، ولذلك وضعت

برنامجًا من خطوتين؛ الأولى: تعديل نظرة هؤلاء الطلاب نحو أنفسهم وجعلهم يرون ما فيهم من مناطق تميز وبث روح الأمل فيهم وغرس روح التحدي في نفوسهم، والخطوة الثانية: تدريس المواد الدراسية بشيء من التبسيط والإبداع..

لقد بدأت هذه الفكرة منذ سنوات، وكان التحدي صعبًا جدًّا، لكنني كنت دومًا على يقين من النجاح بإذن الله تعالى، كنت دائمًا أعتقد أن الطالب الفاشل دراسيًّا فيه قدرات لم يكتشفها أحد، وعنده طاقات لم يحركها أحد، وجميع من حوله من آباء ومعلمين يشعرونه بأنه لا قيمة في الحياة، لقد كان «مركز الفاشلين» هو نقطة الضوء في حياة هؤلاء المظلومين، ولقد رأيت منهم عجبًا، لقد وجدت فيهم طاقات هائلة، وعزيمة قوية، ورجولة وشجاعة، وصبرًا وتحديًا.. هذا فقط عندما تثق فيهم وتهزم ما بداخلهم من يأس، ولقد تحول كثير منهم من الفشل إلى النجاح والتفوق، بينما بقيت فئة قليلة لم تحرز تقدمًا كبيرًا على المستوى الدراسي، لكنهم حققوا نجاحًا على المستوى النفسي والأخلاقي، ولم لا وقد وجدوا من يثق فيهم ويعطيهم الأمل ويصحح نظرتهم إلى الحياة.

كيف تصنع من التلميذ الفاشل مبدعًا؟

حين وقفت المعلمة أمام الصف الخامس في أول يوم تستأنف فيه الدراسة، وألقت على مسامع التلاميذ جملة لطيفة تجاملهم بها، نظرت لتلاميذها وقالت لهم: إنني أحبكم جميعًا، هكذا كما يفعل جميع المعلمين والمعلمات، ولكنها كانت تستثني في نفسها تلميذًا يجلس في الصف الأمامي، يدعى «تيدي ستودارد»، لقد راقبت المعلمة تومسون الطفل تيدي خلال العام السابق، ولاحظت أنه لا يلعب مع بقية الأطفال، وأن ملابسه دائمًا متسخة، وأنه دائمًا يحتاج إلى حمام،

بالإضافة إلى أنه يبدو شخصًا غير مبهج، وقد بلغ الأمر أن السيدة تومسون كانت تجد متعة في تصحيح أوراقه بقلم أحمر عريض الخط، وتضع عليها علامات(X) بخط عريض، وبعد ذلك تكتب عبارة«راسب» في أعلى تلك الأوراق.

وفي المدرسة التي كانت تعمل فيها السيدة تومسون، كان يطلب منها مراجعة السجلات الدراسية السابقة لكل تلميذ (ففي مدارسهم كانوا يضعون في ملف كل تلميذ تقريرًا سنويًا شاملاً يحتوي على درجاته في المواد الدراسية وحالته النفسية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها)، وبينما كانت تراجع ملفه فوجئت بشيء ما، لقد كتب معلم تيدي في الصف الأول الابتدائي ما يلي: «تيدي طفل ذكي ويتمتع بروح مرحة، إنه يؤدي عمله بعناية واهتمام، وبطريقة منظمة، كما أنه يتمتع بدماثة الأخلاق».

وكتب عنه معلمه في الصف الثاني: «تيدي تلميذ نجيب، ومحبوب لدى زملائه في الصف، ولكنه منزعج وقلق بسبب إصابة والدته بمرض عضال، مما جعل الحياة في المنزل تسودها المعاناة والمشقة والتعب».

أما معلمه في الصف الثالث فقد كتب عنه: «لقد كان لوفاة أمه وقع صعب عليه.. لقد حاول الاجتهاد، وبذل أقصى ما يملك من جهود، ولكن والده لم يكن مهتمًا، وإن الحياة في منزله سرعان ما ستؤثر عليه إن لم تتخذ بعض الإجراءات».

بينما كتب عنه معلمه في الصف الرابع: «تيدي تلميذ منطو على نفسه، ولا يبدي الكثير من الرغبة في الدراسة، وليس لديه الكثير من الأصدقاء، وفي بعض الأحيان ينام أثناء الدرس».

وهنا أدركت السيدة تومسون المشكلة، فشعرت بالخجل والاستحياء من

نفسها على ما بدر منها، وقد تأزم موقفها إلى الأسوأ عندما أحضر لها تلاميذها هدايا عيد الميلاد ملفوفة في أشرطة جميلة وورق براق، ما عدا تيدي، فقد كانت الهدية التي تقدم بها لها في ذلك اليوم ملفوفة بسماجة وعدم انتظام، في ورق داكن اللون، مأخوذ من كيس من الأكياس التي توضع فيها الأغراض من بقاله، وقد تألمت السيدة تومسون وهي تفتح هدية تيدي، وانفجر بعض التلاميذ بالضحك عندما وجدت فيها عقدًا مؤلفًا من ماسات مزيفة ناقصة الأحجار، وقارورة عطر ليس فيها إلا الربع فقط... ولكن سرعان ما كف أولئك التلاميذ عن الضحك عندما عبَّرت السيدة تومسون عن إعجابها الشديد بجمال ذلك العقد ثم لبسته على عنقها ووضعت قطرات من العطر على معصمها، ولم يذهب تيدي بعد الدراسة إلى منزله في ذلك اليوم، بل انتظر قليلاً من الوقت ليقابل السيدة تومسون ويقول لها: إن رائحتك اليوم مثل رائحة والدتي... وعندما غادر التلاميذ المدرسة، انفجرت السيدة تومسون في البكاء لمدة ساعة على الأقل، لأن تيدي أحضر لها زجاجة العطر التي كانت والدته تستعملها، ووجد في معلمته رائحة أمه الراحلة.

ومنذ ذلك اليوم أولت السيدة تومسون اهتمامًا خاصًا لتيدي، وحينما بدأت التركيز عليه بدأ عقله يستعيد نشاطه، وكلما شجعته كانت استجابته أسرع، وبنهاية السنة الدراسية، أصبح تيدي من أكثر التلاميذ تميزًا في الفصل، وأبرزهم ذكاء، وأصبح أحد التلاميذ المدللين عندها، وبعد مضي عام وجدت السيدة تومسون رسالة عند بابها من التلميذ تيدي، يقول لها فيها: إنها أفضل معلمة قابلها في حياته.

مضت ست سنوات دون أن تتلقى أي رسالة أخرى منه، ثم بعد ذلك كتب لها أنه أكمل المرحلة الثانوية، وأحرز المرتبة الثالثة في فصله، وأنها حتى

الآن ما زالت تحتل مكانة أفضل معلمة قابلها طيلة حياته... وبعد انقضاء أربع سنوات على ذلك، تلقت خطابًا آخر منه يقول لها فيه:«إن الأشياء أصبحت صعبة، وإنه مقيم في الكلية لا يبرحها، وإنه سوف يتخرج قريبًا من الجامعة بدرجة الشرف الأولى، وأكد لها كذلك في هذه الرسالة أنها أفضل وأحب معلمة عنده حتى الآن... وبعد أربع سنوات أخرى، تلقت خطابًا آخر منه، وفي هذه المرة أوضح لها أنه بعد أن حصل على درجة البكالوريوس، قرر أن يتقدم قليلاً في الدراسة، وأكد لها مرة أخرى أنها أفضل وأحب معلمة قابلته طوال حياته، ولكن هذه المرة كان اسمه طويلاً بعض الشيء، دكتور ثيودور إف. ستودارد.

لم تتوقف القصة عند هذا الحد، لقد جاءها خطاب آخر منه في ذلك الربيع، يقول فيه: إنه قابل فتاة، وأنه سوف يتزوجها، وكما سبق أن أخبرها بأن والده قد توفي قبل عامين، وطلب منها أن تأتي لتجلس مكان والدته في حفل زواجه، وقد وافقت السيدة تومسون على ذلك، والعجيب في الأمر أنها كانت ترتدي العقد نفسه الذي أهداه لها في عيد الميلاد منذ سنوات طويلة مضت، والذي كانت إحدى أحجاره ناقصة، والأكثر من ذلك أنه تأكد من تعطّرها بالعطر نفسه الذي ذَكّرهُ بأمه في آخر عيد ميلاد، وهمس «دكتور ستودارد» في أذن السيدة تومسون قائلاً لها: أشكرك على ثقتك فيّ، وأشكرك أجزل الشكر على أن جعلتني أشعر بأنني مهم، وأنني يمكن أن أكون مشهورًا ومتميزًا، فردت عليه السيدة تومسون والدموع تملأ عينيها: أنت مخطئ، لقد كنت أنت من علمني كيف أكون معلمة متميزة، لم أكن أعرف كيف أعلِّم، حتى قابلتك.

تيدي ستودارد الآن هو الطبيب الشهير الذي لديه جناح باسم مركز «ستودارد» لعلاج السرطان في مستشفى ميثوددست في ديس مونتيس ولاية

أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من أفضل مراكز العلاج ليس في الولاية نفسها وإنما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن هنا فالرسالة واضحة لكل أب ومعلم، يجب ألا تتسرع في إصدار الأحكام، خاصة إذا كان الذي أمامك نفسًا إنسانية بعيدة الأغوار، مليئة بالعواطف والمشاعر والأحاسيس والأفكار...

(٢) مشروع رسائل الشكر

كثير من أولياء أمور الطلاب لا يذهب إلى مدرسة ابنه أو ابنته إلا بسبب مشكلة أو ليشكو مدرسًا، ونادرًا ما يذهب أحدهم ليشكر مدرسًا أو يحيى معلمًا على خير فعله، ومن هنا يصاب المعلمون بالإحباط ويشعرون بالملل من الطلاب وآبائهم، فالمعلمون دائمًا في مرمى النار إن أخطئوا - رغما عنهم - لم تغفر ذلتهم وإن أحسنوا لم يشكرهم أحد... ولقد حاولت أن أفعل العكس مع معلمي أبنائي، فمن أخطأ في حقهم من المعلمين أقابله شاكرًا على مجهوده ملتمسًا له عذرًا لافتًا انتباهه إلى الخطأ برفق مستمعًا لوجهة نظره، أما المحسنون منهم فكنت أغمرهم بالشكر وأدعو لهم بالتوفيق، وذلك يكون وجهًا لوجه وأمام طلابهم ومديري المدرسة وزملائهم.

وهنا يقول احد المعلمين:

لقد لاحظت أن الطالب الذي يصنع خيرًا في المدرسة لا يشكره أحد، فقط نستدعي ولي أمر الطالب عندما يفعل ابنه خطأ أو يتسبب في مشكلة، لكننا لا نستدعيه لنشكره على خير فعله ابنه، لذلك قررت أن أبدأ في إعداد باقة من رسائل الشكر تصل إلى بيوت طلابي، فهذا يشكر لتفوقه، وهذا مشكور لحسن سلوكه، وهذا عنده رجولة، والآخر لديه رفق ومحبة لزملائه... وبعد ثلاثة أشهر من تكرار تلك الرسائل، وجدت الخير في طلابي يزيد وحبهم لي يكبر

يومًا بعد يوم، بل إن الطالب المشاكس عندما شكرت ما فيه من خير قلّ غضبه وتوقف عنفه وتحول إلى إنسان جديد.. وتخيل لو أن الرسالة التالية جاءتك من مدرسة ابنك... كيف سيكون شعورك، وماذا ستفعل مع ابنك ومع معلمه ومدير مدرسته؟

عزيزي ولي امر الطالب...

لقد وجد ابنك اليوم في المدرسة مبلغًا من المال، وكان من السهل أن يأخذه لنفسه، لكنه كان أمينًا وأتى به إلينا، وهذا دليل على أنك قد ربيته جيدًا على الأمانة والصدق، فنشكر لكم جهدكم وحسن تربيتكم، وبارك الله لكم في أبنائكم...

مدير المدرسة – مدرس الفصل – الأخصائي الاجتماعي

وهنا يحكي احد الآباء تجربته فيقول:

رجع ابني يومًا من المدرسة وهو يحمل في يده خطابًا ناوله لي قائلا: هذا الخطاب لك من المدرسة يا أبي، فأخذت منه الخطاب قائلًا: يا ترى أي مصيبة قد فعلت هذه المرة؟ وفتحت الخطاب فإذا مكتوب فيه:

ولي أمر الطالب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد فعل ابنك اليوم شيئًا نفتخر به جميعًا، لقد ضاع منه ربع جنيه في فناء المدرسة، وبينما هو يبحث عنه وجد جنيهًا كاملاً، فجاء به إلى غرفة المدير وأعطاه له، ولما علم المدير بالخبر قال لطفلكم: خذ الجنيه لك، فرفض قائلاً: ما ضاع مني هو ربع جنيه فقط، فقال المدير مختبرًا: خذ ما ضاع منك إذًا من هذا الجنيه، فرفض ابنك قائلاً: لن آخذه من مال غيري، سأبحث عن نقودي وسأجدها إن شاء الله، وذهب ابنك ووجد ما ضاع منه (ربع الجنيه)، وعاد إلى المدير فأخبره الخبر،

ولقد كرمه مدير المدرسة أمام زملائه على أمانته، ونحن بدورنا نشكركم على حسن تربيتكم لابنكم الكريم، وحق لكم أن تفخروا بها فعله ابنكم الأمين..

إدارة المدرسة

يقول الأب:

لقد كان هذا الخطاب هو مفتاح التحول في علاقتي بيني وبين ابني، فما إن قرأت الخطاب حتى حضنته وقبلته، وصنعت له حفلاً جزاء لأمانته، وبدأت من يومها أرى ما فيه من خير وأشجعه، وشعرت كم كنت ظالمًا له لأنني لم أكن أركز إلا على ما فيه من شر، أما إدارة المدرسة فقد ذهبت إليهم شاكرًا، ولن أنسى رسالتهم الجميلة يومًا ما..

علّم ابنك كيف يشكر:



روى أحمد وأبو داود والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[1]

قيل: إن معنى الحديث: أن الله تعالى لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه؛ إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس.

وقيل معناه: إن من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم، كان من عادته كفر نعمة الله ﷻ وترك الشكر له سبحانه، وقيل معناه: إن من لم يشكر الناس؛ كان كمن لم يشكر الله ﷻ[2]

---

(١) قال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح مسند أحمد ١٥ / ٨٣ ، وصحح الألباني في صحيح الأدب المفرد ح ر: ١٦٠

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ص ٣١٣.

وشكر من صنع إلينا معروفا يكون بعدة طرق.

١ - مكافأة مادية نعطيها لمن أحسن إلينا.

٢- ذكر ما فعله المحسن من خير أمام الناس وشكره عليه.

روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «من أتي إليه معروف فليكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره، فإن من ذكره فقد شكره»[1]

٣- الدعاء لفاعل الخير نوع من الشكر.

قال ﷺ: «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[2].. وهنا تقول إحدى الأمهات: عندما كنت صغيرة، كانت أمي رحمها الله كلما كلفتني بعمل وقمت بتنفيذه؛ ظلت تدعو لي كثيرًا مع أن ما فعلته من أجلها ربما يكون بسيطًا جدًّا، وهذا ما جعلني أنا وإخوتي نتسابق في أداء الأعمال التي تحتاجها أمي، رغبة في دعائها الجميل وبسبب تقديرها لما نصنعه مهما كان صغيرًا، إنها كانت تشعرنا أننا ناجحون ومطيعون وهذا كان يسعدنا كثيرًا، حتى من كان يشاغب ويماطل مع أمي تغير سلوكه برفق أمي وشكرها لنا.

٤ - قول «جزاك الله خيرا» نوع من الشكر.

قال ﷺ: «من صنع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء»[3]

٥- الثناء والمدح نوع من الشكر.

قال ﷺ: «من صنع إليه معروف فليجزه، فإن لم يجد ما يجزه فليثن عليه؛

(١) صحيح الترغيب للألباني ح ر ٩٧٢.
(٢) صحيح الترغيب للألباني ح ر ٨٥٢.
(٣) صحيح الجامع للألباني ح ر ٦٣٦٨

فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره»[١]

كيف يكون الشكر أقوى؟

قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، و من لم يشكر الناس لم يشكر الله، و التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر و الجماعة رحمة، و الفرقة عذاب»[٢]

يجب أن نعلم أبناءنا أن يشكروا على القليل قبل الكثير، فنعلم الطفل كيف يشكر أمه على الطعام، ويشكر البائع على مناولته الأشياء، ويشكر العامل في محطة البنزين عند وضع الوقود، ويشكر زميله عندما يعيره قلمًا، ويشكر مدرسه عندما يفهمه شيئًا صعبًا، ولا بد وأن أكون قدوة لأبنائي في الشكر، فأشكر زوجتي على طعامها وأحدث أبنائي عن تعبها من أجلنا، وأعد لها حفلاً وهدية – مع أبنائي – ونفاجئها لأنها تضحي كثيرًا، وكذلك أفعل مع زوجي وأجعل الأبناء يقبلون يده اعترافًا بفضله وتقديرًا لتعبه، وأرفع يدي مع أبنائي لندعو لأبيهم وهو غائب أن يوفقه الله تعالى ويتقبل منه، ونعد له رسالة شكر منا جميعًا على ما يفعله من أجلنا.

عندما يفعل أحد المدرسين خيرًا مع أحد أبنائك، فلا تكتفِ بشكره، بل اشكر المدير بخطاب رسمي ومكالمة تليفونية مفرحة وزيارة للمدرسة، ولا تنسَ أن تشجع ابنك على شكر معلمه فاعل الخير..

وهناك أفكار تجعل الشكر أقوى وأجمل منها:

---

(١) صحيح الأدب المفرد ح ر ١٥٧

(٢) صحيح الترغيب للألباني ح ر ٩٧٦

*** الشكر ساعتها، وفي اليوم التالي برسالة:**

لتقوية أثر «شكرك»؛ بعد أن تشكر أحدهم، أرسل خطاب شكر أو رسالة موبايل أو إيميل أو بعض الكلمات البسيطة في اليوم التالي، فعلى سبيل المثال: لا تكتفِ بتقديم امتنانك بعد انتهاء أية مناسبة اجتماعية في بيت أحدهم، فرسالة بسيطة منك مكتوب فيها (شكرًا على لقائك أمس، لقد سعدت بحفلكم الكريم...)، أو (شكرًا على استضافتنا في بيتكم، فقد أسعدتم قلوبنا...)، هذا سيضمن لك أن تبقى ذكراك في ساكنة في القلوب بعد المناسبة، وسيمنحك سمعة طيبة بأنك تراعي مشاعر الآخرين وتقدرهم.

*** شكر من لا يتوقع الشكر مع ذكر السبب:**

هناك طريقة أخرى تضمن أن يكون «لشكرك» أكثر من معنى عند الشخص الذي تعبر عن امتنانك له؛ وهي ذكر سبب الامتنان، كأن تقول لبائع المتجر الذي ساعدك في اختيار الحذاء الذي اشتريته: (شكرًا لك على صبرك ونصيحتك)، أو تقول للكهربائي الذي يقوم بإصلاح الأدوات الكهربائية، أو المهندس الذي يعمل صيانة للأجهزة الإلكترونية (شكرًا لك على مهارتك)، أو تقول لسائق سيارة الأجرة (شكرًا لك على ذوقك أو مهارتك في القيادة)... وهكذا.

فإذا شرحت سبب تعبيرك عن الشكر لأي شخص؛ فتأكد من أنك ستحظى بابتسامة عريضة كمكافأة لك، وسيرحب بك هذا الشخص دائمًا ويخدمك ويساعدك وهو فرحان.

*** اشكر الشخص.. ثم اشكر رئيسه أو والده:**

ويمكنك زيادة «شكرك» إلى مرحلة أكبر بأن تشكر رئيس أو والد ووالدة صانع المعروف، فإذا تلقيت خدمة جليلة من أي شخص فلا تكتف بالتعبير عن شكرك له،

بل عبِّر عن شكرك لرئيسه في العمل أو لأحد والديه، ويمكنك أن تكتب رسالة شكر إلى المؤسسة التي يمثلها، تخبرهم فيها أنك قد أُعجبت بكفاءة هذا الشخص ومهارته في العمل، وهذا سيكون له أثر رائع وسيتم تقدير هذا التصرف النبيل من جانبك، لأن المؤسسة معتادة على تلقي الشكاوى وليس الإطراء[١]

(٣) أين المدرس الذي يدعو له ابني كل يوم؟

يقول أحد المعلمين:

كنت أدرس مادة القرآن الكريم للصف الأول الابتدائي، وكنت أعوِّد تلاميذي أن نقول أذكار الصباح وبعدها يدعو أحد التلاميذ بدعاء بسيط: اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين، اللهم اغفر للأستاذ محمد (أنا معلمهم)، اللهم حفظنا القرآن الكريم وارزقنا فهمه والعمل به.. وذات يوم جاء أحد أولياء أمور التلاميذ إلى المدرسة، سائلاً: أين هذا الأستاذ محمد؟ أين هذا المدرس الذي أسمع ابني يدعو له كل يوم؟ وما إن رآني حتى شكرني على ما علمت ابنه من دعاء، ثم سألني: من أين جاءتك تلك الفكرة، فقلت له:

لقد كان الإمام أحمد تلميذًا للشافعي رحمه الله، وكان الإمام أحمد وفيًّا لأستاذه، وكان يدعو له يوميًا اعترافًا بفضله، قال الإمام أحمد: إني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي[٢]، وقال محمد ابن الإمام الشافعي: قال لي أحمد: «أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرًا»[٣]، وقال عبد الله بن الإمام أحمد: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال: «يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما عوض»[٤]

---

(١) قوة الذكاء الاجتماعي، ص ١٦٨، ١٦٩ (بتصرف).
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٨٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٢٧
(٤) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٥.

وقد كان الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – وفيًّا لمن أدرك منه علمًا، وسخيًّا مع من تعلم منه، وكان يقول: «إني لأستغفر لمن تعلمت منه علمًا أو علمته علمًا»[1]

(٤) مرحبا بك في مسرح المشاغبين

كان عندي في الفصل مجموعة من الأولاد المشاغبين، ولقد احتار معهم الكثير من المدرسين، ولقد جلست يومًا أفكر في سبب عدم قدرة أحدنا على استيعابهم، فوجدت أننا جميعًا نحاول السيطرة عليهم وكبت طاقاتهم، وهذا شبه مستحيل، فنحن كمن يحاول إخماد نيران كبيرة بنفخة من فمه، وقلت في نفسي: لماذا لا نحاول توظيف هذه الطاقة الكامنة فيهم كمراهقين بدلًا من كبتها، كمن يوظف النار لتسيير قطار أو لطهي طعام بدلاً من محاولة إخمادها... وفكرت كيف نوظف طاقاتهم؟ ووجدت أنهم ساخرون جدًا مضحكون للغاية، إذ لم يسلم منهم أحد، وذات مرة في إحدى الحصص الاحتياطية طلبت منهم تمثيل بعض المشاهد الساخرة والمهذبة، وأن يقلدوا بعض المدرسين، ووجدتهم

> **أيها المربي الكريم**
>
> **الطالب المشاغب – في الفصل أو المدرسة – هو طالب ذو طاقة عالية لم يحاول أحدهم يومًا توظيفها، فالجميع يحاولون السيطرة على طاقته وكبتها، فإن أردت أن تصنع من المشاغب مبدعًا فابحث لطاقته عن مجال للتوظيف بدلاً من أن تبحث عن وسيلة لقتلها... وقد يشاغب الطالب لأن عنده مشكلة لم يسمعها منه أحد، أو عنده معاناة لم يشاركه فيها أحد؛ فشاركه أحزانه واحترم مشاعره، تكسب صديقًا وفيًّا وتصنع رجلاً قويًا..**

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٤).

ممثلين مبدعين، فصنعت منهم فريقًا للتمثيل في مسرح المدرسة، ومن يومها أصبحوا منضبطين ومجتهدين وممثلين رائعين...

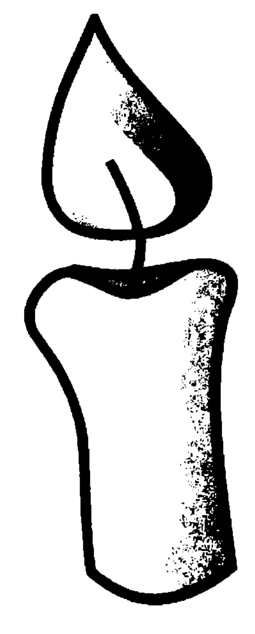
وهكذا فعلت مع طلبة آخرين من المشاغبين، فبعضهم طاقته تخرج في قيادة جماعة النظافة، أو في تسيير الطابور، أو متابعة الأنشطة الرياضية والاشتراك فيها، وغيرها..

(٥) حصة الإبداع الحرّة

كثير من المعلمين قد يضطرون إلى دخول حصة احتياطية بدلاً من زميل غائب أو مريض على أنها عبء زائد، ويقضي البعض هذه الحصة في التحدث العام أو تدريس مادة دراسية أو ترك الأولاد يكتبون الواجبات... لكنني كمدرس كان عندي طريقة مختلفة لإدارة الحصة الاحتياطية، فقد جعلت هذه الحصص لمناقشة مشاكل الفصل والمدرسة والأسرة وحتى المشاكل الدولية مع الطلاب، وأطلب منهم وضع حلول لها، وأدون تلك الحلول على السبورة وأناقشهم بحثًا عن دور إيجابي لهم في الحياة، وهذا جعل بعض التلاميذ يطرحون مشاكلهم الخاصة - بطريقة ذكية فيها مداراة وتورية - للنقاش داخل الفصل، كمشكلة أن أحدًا لا يسمعهم، ولا أحد يحترمهم، ولماذا يتحدث الجميع عن برّ الوالدين ولا يتحدثون عن حقوق الأبناء، وقضية الحب بين الجنسين... وغيرها.

ولي زميل آخر كان يدير الحصة الاحتياطية بطريقة أكثر إبداعًا، فقد خصص هذه الحصص للحديث مع التلاميذ عن المستقبل، كيف يرون أنفسهم بعد عشر سنوات ويكتب كل واحد منهم تصوره، والمهن التي يحبونها، وكيف يخططون للمستقبل، وقضية الرزق، وإدارة الوقت وغيرها من قضايا المستقبل التي لم يناقشها أحدهم يومًا مع أبنائنا وبناتنا.

(٦) مشروع أضئ شمعة



اتفقت مع طلابي على مشروع أسميناه «أضئ شمعة» أو «نوّر شمعة»، وهو عبارة عن إضاءة شمعة في كل بقعة نراها مظلمة بالمعصية، المشروع عبارة عن مقاومة المنكر باليد الرفيقة والكلمة الحانية والقلب الكاره للشر، فكل طالب يرى شيئًا منكرًا ينهى عنه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان تركيزي على البيت وجماعة الرفاق، وذات يوم رأى الطلاب شابًا يقف مع فتاة أمام المدرسة، فقالوا: «يا أستاذ، نوّر شمعة»... يقصدون أمامك منكر حاول أن تنهى عنه، ولم يكن لدي ساعتها مفر، فذهبت إلى هذا الشاب ونصحته برفق، فاستجاب بفضل الله تعالى، وكانت تجربة عملية للطلاب..

(٧) صندوق بريد الفصل

وضعت صندوقًا للبريد في الفصل الذي أشرف عليه، الصف الخامس الابتدائي في المدرسة التي أدرس بها، وجعلت صندوق البريد مخصصًا لتبادل الحب والتناصح والاعتذار والعتاب بين التلاميذ وبعضهم البعض وبينهم وبين المدرسين، بحيث يكتب كل طالب ما يريد أن يقوله لزميله في خطاب، ويضعه في الصندوق مكتوبًا عليه اسم المرسل إليه واسمه إن أحب، وفي نهاية كل يوم دراسي هناك مسئول عن الصندوق يفتحه ويوزع ما فيه من بريد، وقد نفتح صندوق البريد مرة واحدة في الأسبوع كل خميس، وكم كانت الخطابات جميلة وراقية وبريئة وصادقة، وكنت ألاحظ التلميذ المنطوي فأكتب له خطابًا

أتحدث فيه عن مزاياه ومناطق القوة فيه، فيفرح بالخطاب كثيرًا، والطالب المشاغب أرشده إلى كيفية تفريغ طاقته في عمل نافع، ولقد كانت نصائح التلاميذ للمدرسين جميلة وطلباتهم مشروعة ومدحهم صادق وشكرهم جميل..

(٨) مدارس بلا أسوار

المدارس بأسوارها العالية والفصول بأبوابها المغلقة تلقي أحيانًا بظلال من الكآبة والضيق على الحياة الدراسية، ولكي يكسر أحد المدرسين هذا الملل، قام بدعوة تلامذة فصله للالتقاء في مكان مفتوح خارج المدرسة، بهدف زيادة التعارف والتآلف وكسر الملل ومشاركة الزملاء أفراحهم وأتراحهم، كان هذا اللقاء يتم مرة كل شهر، كان الجميع ينتظرونه بفارغ الصبر، ففيه يستعيدون نشاطهم ويزيلون همومهم، وفي النهاية كان هذا الفصل هو صاحب النصيب الأكبر من أوائل الطلاب..

(٩) حصة الحبّ



في هذه الحصة أدخل الفصل لا لأدرس مادة دراسية، بل لأخبر كل تلامذتي أنني أحبهم، لا يستغرق تحضير مادة هذه الحصة يومًا ولا أسبوعًا، بل يستغرق شهرًا كاملاً، وخلال هذا الشهر أدون في كراسة خاصة حسنات كل واحد من طلابي ومناطق تميزه وكيف يمكن أن يكون أفضل، وفي هذه الحصة أتحدث عن طلابي كلهم واحدًا واحدًا، وأذكر لهم ما كتبته عنهم، وأسمي هذه الحصة «حصة الحب»، ينتظرها طلابي بشوق وسعادة، كم جعلت هذه الحصة

حياة طلابي أجمل، وإقبالهم على مادتي الدراسية أقوى وأفضل..

١٠) اذا وقفت على قبري فبماذا ستتذكرني؟

إذا وقفت على قبر أبيك أو أمك (معلمك أو معلمتك) فبماذا تشعر؟ وماذا تتذكر؟

أحد المعلمين كان يبعث بالرسالة التالية لتلامذته على تليفوناتهم المحمولة وعلى الإيميلات الخاصة بهم، وينتظر منهم الرد برسالة أو وجهًا لوجه..

كانت الرسالة تقول:

تخيل أنني في يوم اختفيت..

وأنت اتصلت بي وأنا ما رديت..

وجاءك خبر عاجل بأنني مت وانتهيت..

ووقفت على قبري وبكيت..

بالله عليك بأي شيء ستتذكرني؟

الرجاء الرد بكل صراحة..

لقد كان هدف هذه الرسالة هي تصفية الأجواء بين هذا المعلم وتلامذته، واكتشاف أخطائه معهم، وتقوية روح المحبة بينهم... ولقد تلقى المدرس الكثير من الرسائل الجميلة والمبدعة والرائعة... وإن أردت أن تعرف ما كتبه له الطلاب، فجرب تلك الفكرة مع تلامذتك (أو أبنائك لو كان ذلك لا يحزنهم) وأرسل لهم الرسالة وانتظر المفاجآت..


علّم ابنك
كيف يشكو حزنه الى الله

علم ابنك كيف يشكو حزنه إلى الله





لمن تشكو أحزانك؟ وما نتيجة تلك الشكوى؟

هذا السؤال طرحته على الكثير من الشباب والفتيات؛ فانقسموا إلى ثلاث فئات..

* المجموعة الأولى (وهي الأغلبية) قالت: نتحدث عن أحزاننا مع أصدقائنا، لكن القليل منهم هو من يتفهم مشاعرنا ويسعى لمساعدتنا، في حين أن أغلب الأصدقاء لا يهتمون بنا وربما يسخرون منا.

* والمجموعة الثانية (وهم قليل) قالت: نتحدث مع أحد والدينا - إن كان ذلك ممكنًا - ونحكي له ما نحن فيه؛ وغالبًا ما يساعدنا على حلّ مشكلتنا ويواسينا ويتفهم مشاعرنا.

* أما المجموعة الثالثة فقالت: لا نجد من نتحدث معه.

إن الهموم والأحزان إن ظلت محبوسة في صدر صاحبها، أصابته بالمرض النفسي والعضوي وأحالت حياته إلى عذاب، لذلك كان لا بد للمحزون أن يحدث غيره عن أحزانه، ليخفف من الهم والغم الجاسم على صدره، والعجيب أن البهائم أحيانًا تحتاج إلى من تشكو إليه ما بها من حزن، وتتحدث معه عما نزل بها من غمّ، فقد دخل النبي ﷺ حديقة لرجل من الأنصار، فإذا فيها جمل،

فلما رأى الجمل النبي حنّ وأصدر صوتًا حزينًا، وبكى وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ظهره ومؤخرة رأسه، فسكت الجمل وسكن، فقال : لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال ﷺ: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه[١] .. يعني تجيعه وتتعبه في العمل.

إن البهيمة احتاجت إلى من تشكو إليه، فما بالكم بأبنائنا وبناتنا؟

إن واقع أبنائنا يقول: إن أحدهم قد يتوجه إلى والده ليحكي له همومه فيجده مشغولاً، ويتجه المسكين حزينًا إلى صديقه فيجده غير مهتم، فيتحول المحزون إلى النت ليراسل خبيرًا أو مستشارًا فيتأخر عليه الرد، فيا ترى ماذا يفعل؟

إن أبناءنا بحاجة ماسة إلى من يكون حاضرًا في كل وقت ليسمع شكواهم ويزيل همومهم، ولن يقدر على ذلك أحد غير الله تعالى، إن من له أب يسمعه لن يحزن، فما بالك بمن له ربّ معه أينما كان، ويسمعه متى ناجاه؟

فيا بني...

إذا أرهقتك هموم الحياة ... ومسّك منها عظيم الضرر

وذقت الأمرين حتى بكيت ... وضج فؤادك حتى انفجر

وسدت بوجهك كل الدروب ... وأوشكت تسقط بين الحفر

فيمم إلى الله في لهفة وبث ... الشكاة لرب البشر[٢]

---

(١) انظر : صحيح سنن أبي داود للألباني ح ر ٢٥٤٩.

(٢) اكتب هذه الأبيات على لوحة جميلة وعلقها في حجرة طفلك ، ويمكنك أن تشجع ابنك أو ابنتك على إلقائها في الإذاعة المدرسية ، أو تعليقها في حجرة الدراسة .

أبي.. لمن تشكو أحزانك؟

سيدنا يعقوب عليه السلام بعد أن فقد ابنه يوسف بعد أن رماه إخوته في الجب وانقطعت أخباره لسنين؛ فقد اثنين آخرين من أبنائه: أحدهما احتال له يوسف وأخذه في دين الملك، والثاني رفض أن يعود إلى أبيه وبقي بمصر قائلاً: لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي، وبعد أن جاء الخبر إلى الأب المحزون تجدد شوقه ليوسف، وبدلاً من أن ينتظر واحدًا بدأ ينتظر عودة ثلاثة من أبنائه، لكن أمله في الله تعالى لم ينقطع وقال: عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا.. وتولى عن أبنائه يبكي حتى ضاع بصره وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، لقد أصابه من الحزن الكثير لكنه يكظمه في صدره ولا يحكيه لأحد.. وعندما عاتبه أبناؤه على تذكره ليوسف وتجدد أحزانه؛ رد عليهم بصبر وثقة في الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

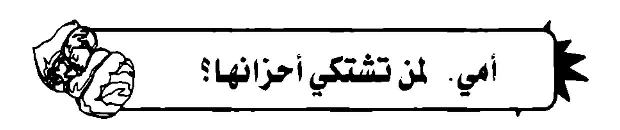
قال العلماء وأهل اللغة: البثّ.. أشد الحزن وأعظمه وأصعبه؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه ويفشيه، ولكنه بثه عند ربه، وما زال يدعو ويدعو بعد ذهاب البصر حتى رد الله عليه يوسف وأخويه مع ملك وخير عظيم..

وسيدنا يوسف الذي تربى في بيت النبوّة بين يدي أبيه يعقوب، عندما تعرض لبلاء وظلم عظيم لجأ إلى مولاه يشكو حزنه وبلواه، لقد تزينت له امرأة العزيز وتعرضت له ودعته إلى الفاحشة صراحة، وأسرعت خلفه وطاردته بعد أن غلقت الأبواب، وافترت عليه بأن قالت لزوجها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:٢٥]، ثم جمعت

النسوة وقالت له: اخرج عليهن، واجتمعن عليه يردن فتنته، وتم تهديده بالسجن... في هذه الظلمات سطع له النور، ولجأ إلى ربّ قدير نصير غفور، فدعا ربه: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٤]، وهكذا خرج معززًا من السجن مكرمًا بعد ذلك ليكون له أمر الخزانة، ثم أمر المُلك..

وهكذا كان يوسف يدعو ربه ويشكو له أحزانه؛ فنجاه الله تعالى منها على خير، غير أن هناك مرة واحدة اشتكى فيها يوسف إلى مخلوق وهو رفيقه في السجن، إذ لما علم يوسف من تأويل رؤيا الرجل أنه سينجو ويخرج ويكون ساقي الملك، قال له: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، اذكر قصتي للملك وذكره بأنني محبوس ظلمًا، لكن هذه الشكوى لم تفلح، إذ أنسى الشيطان ذلك الناجي أمر يوسف وانشغل في خدمة الملك، ولبث يوسف في السجن بعدها بضع سنين قضاها في المناجاة والشكوى لربه، فكانت النجاة من الله تعالى برؤيا يراها الملك، ويصرّ الملك على تفسير رؤياه، هنا فقط يتذكر الساقي أمر ذلك المسجون الذي يعرف تأويل الأحلام، وهكذا كان الخلاص على يد الكريم سبحانه...

إن سيدنا يوسف لما اشتكى لله تعالى نجاه... ولما اشتكى للمخلوق نسيه وقلاه...



عندما يكبر الطفل بين يدي أم كثيرة الشكوى من حياتها ومسكنها وظروفها وكل شيء حولها، عندما يجد أمه لا تتوقف عن الشكوى لزوجها ولأهلها ولجيرانها؛ تشكو بسبب وبغير سبب، فكيف يكون حاله؟



ستسكن الأحزان قلبه، ولن يرى ما في حياته من إيجابيات وخيرات، فقط سيرى الشر والضر، ويرث من أمه كثرة الشكوى؛ فيعيش شاكيًا باكيًا يائسًا حزينًا..

ولخطورة عدم الرضا وقلة الصبر وكثرة شكوى المرأة – كزوجة وكأم – أمام الناس؛ فقد أتى النبي ﷺ النساء بعد صلاة العيد فوعظهن وذكرهن فقال: («تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»، فقامت امرأة من سطة النساء (من وسط النساء) سفعاء الخدين (في خدها تغير وسواد) فقالت: لم يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير»، قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن)(١)

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ وَالنِّسَاءُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ وَأَنَا فِيهِنَّ، فَسَمِعَ صَوْتًا أَوْ ضَوْضَاءَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، إِنَّكُنَّ أَكْثَرُ حَطَبِ جَهَنَّمَ، قَالَتْ: فَنَادَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَكُنْتُ جَرِيئَةً عَلَى كَلامِهِ، فَقُلْتُ:

(١) رواه مسلم ، ومعنى تكثرن الشكاة : تكثرن الشكوى.. وأقرطتهن جمع قرط وهو الحلق.

يَا رَسُولَ الله، وَلِمَ؟ قَالَ ﷺ: إِنَّكُنَّ إِذَا أُعْطِيتُنَّ لَمْ تَشْكُرْنَ، وَإِذَا أُمْسِكَ عَنْكُنَّ شَكَوْتُنَّ، وَقَالَ ﷺ: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْـمُنَعَّمِينَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا كُفْرُ الْـمُنَعَّمِينَ؟ قَالَ: «الْمَرْأَةُ تَكُونُ تَحْتَ الرَّجُلِ قَدْ وَلَدَتْ لَهُ الْوَلَدَيْنِ، وَالثَّلاثَةَ، ثُمَّ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[1]

أما إن وجد الطفل أمه تشكر عند العطاء، وتصبر على البلاء، وتشكو حزنها وضرها لله تعالى؛ عندها يسكن الرضا قلب الصغير، ويعرف لمن يشكو همه، ويعيش هادئًا مطمئنًا.. ولنا في قصة المشتكية إلى ربها عبرة وعظة..

قصة المشتكية إلى ربها

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

كان الرجل في الجاهلية إن قال لزوجته أنت عليَّ كظهر أمي حرمت عليه فصارت مثل أمه، فتصير بذلك معلقة لا متزوجة ولا مطلقة، وكان أول مسلم يقول ذلك لزوجته هو أوس بن الصامت، وكان متزوجًا بابنة عمه خولة بنت ثعلبة، وبعد أن قال لزوجته هذه الكلمات القاسية ندم وحزن، وقال لزوجته: ما أراك إلا قد حرمت علي، فائت رسول الله ﷺ فسليه عن ذلك، فأسرعت السيدة خولة نحو رسول الله ﷺ وقصت عليه الخبر فقالت: لقد ظاهرني زوجي ثم ندم، فقال النبي ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله لم يذكر طلاقًا، فقال النبي ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله، زوجي أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني.. فقال لها: زوجك وابن عمك شيخ كبير فاتقي الله وأحسني

(١) مسند الإمام أحمد ٦/ ٤٥٢، روى البيهقي في شعب الإيمان ح ر ٨٥٤٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٣١٤، وقال: فيه شهر وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

صحبته.. فقالت: يا رسول الله، لي منه صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا (لضعفه) وإن ضممتهم إلي جاعوا (لفقري) وأخذت تجادل وتحاور الرسول ﷺ، ولم يكن النبي ﷺ عنده جواب فقال لها: اصبري فما عندي في أمرك شيء... فقالت: «اللهم إن أشكو إليك».. حتى النبي ﷺ ما شكت إليه وإنما شكت إلى ربها من كمال إيمانها، وقوة توحيدها، فماذا كانت النتيجة؟ آيات تنزل وتقرأ إلى قيام الساعة ولا تخص تلك المرأة وحدها بل كانت فاتحة لحل القضية المعضلة عند كل امرأة تقع في وضع مشابه، وتنزل الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]، ثم تأتي الآيات بالأحكام التي بها كفارات الظهار..

لقد حدثت هذه القصة في حجرة السيدة عائشة التي كانت تجلس في أقصى الغرفة، تسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليها بعضه، لكن الله تعالى لا يخفى عليه شيء؛ فسمع سبحانه شكوى السيدة خولة وأجابها في الحال، تقول السيدة عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[1]

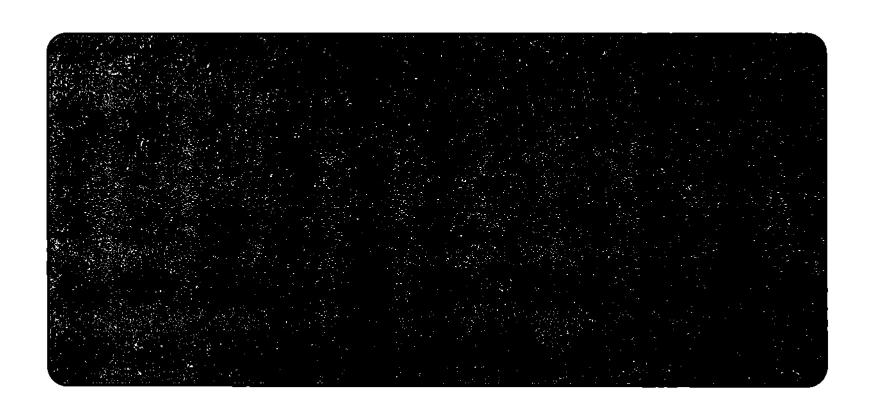
وعن عمر بن الخطاب أنه مر بعجوز فاستوقفته فوقف معها يحدثها (وتأخر على من ينتظره من الناس) فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست الناس بسبب هذه العجوز؟

فقال: ويحك، أتدري من هذه؟

---

(١) صحيح ابن ماجة ح ر ١٦٩١.

هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة التي أنزل الله فيها، ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾[1]



***

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ح ر ٤٣٥، شرح الطحاوية للألباني ح ر ٢٨٤ وقال : ضعيف.
(٢) مصحيح الترغيب للألباني ح ر ٨٣٨.

كيف نحوّل الشكوى إلى عمل؟



هناك قصة رمزية جميلة تحكي طريقة مبدعة لتعامل الزوجة مع الهموم الزوجية، وكيف تحول الهم والغم إلى عمل وإنتاج بدلًا من تحويلها إلى شكوى ونواح...

ظلا متزوجين ستين سنة، كانا خلالها يتصارحان حول كل شيء، ويسعدان بقضاء كل الوقت في الكلام أو خدمة أحدهما الآخر، ولم تكن بينهما أسرار، ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق فوق أحد الأرفف، وحذرت زوجها مرارًا من فتحه أو سؤالها عن محتواه، ولأن الزوج كان يحترم رغبات زوجته فإنه لم يأبه بأمر الصندوق، إلى أن كان يوم أنهك فيه المرض الزوجة وقال الطبيب: إن أيامها باتت معدودة، وبدأ الزوج الحزين يتأهب لمرحلة الترمل، ويضع حاجيات زوجته في حقائب ليحتفظ بها كذكريات.

ثم وقعت عينه على الصندوق فحمله وتوجه به إلى السرير حيث ترقد زوجته المريضة، التي ما إن رأت الصندوق حتى ابتسمت في حنو وقالت له: لا بأس.. بإمكانك فتح الصندوق.. فتح الرجل الصندوق ووجد بداخله دميتين من القماش وإبر النسج المعروفة بالكروشيه، وتحت كل ذلك مبلغ ٢٥ ألف دولار، فسألها عن تلك الأشياء..

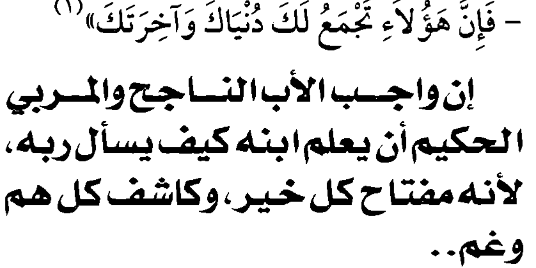
فقالت العجوز هامسة: عندما تزوجتك أبلغتني جدتي أن سر الزواج الناجح يكمن في تفادي الجدل والناقر والنقير.. ونصحتني بأنه كلما غضبت منك وحل بي الهم والغم؛ أصرف طاقة الغضب في صنع دمية من القماش مستخدمة الإبر، وهذا ما فعلته عبر سنوات زواجنا.. هنا كاد الرجل يشرق بدموعه: دميتان فقط؟ يعني لم تغضب مني طوال ستين سنة سوى مرتين؟

ورغم حزنه على كون زوجته في فراش الموت فقد أحس بالسعادة لأنه فهم أنه لم يغضبها سوى مرتين... ثم قال: حسنًا، عرفنا سر الدميتين ولكن ماذا عن الخمسة والعشرين ألف دولار؟ أجابته زوجته: هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع الدمى..

علِّم ابنك كيف يسأل ربه



أَتَى رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ ﷺ: «قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي - وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلاَّ الإِبْهَامَ (يعدها له على يديه) - فَإِنَّ هَؤُلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»[1]



إن واجب الأب الناجح والمربي الحكيم أن يعلم ابنه كيف يسأل ربه، لأنه مفتاح كل خير، وكاشف كل هم وغم..

١- هل أهديت لابنك دعاء يحفظه؟

قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبدًا قط هم ولا غم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا» قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهن؟ قال ﷺ: «بلى، ينبغي لمن يسمعهن أن يتعلمهن»[2]

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حديث صحيح، انظر: أحمد شاكر عمدة التفاسير ٢/ ٧٩، و السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ١٢٤ والجميع يتعلمه لأنه سيصيبه الحزن يومًا، فالكل في حاجة إليه.

وقد دل هذا الحديث الصحيح على أشياء، منها:

* أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب.

* والحزن على مكروه ماضٍ من فوات محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حزنًا.

* والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم.

فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب، وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، كمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة وغير ذلك، وأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره...

أيها المربي الكريم..

من اليوم اكتب هذا الدعاء على لوحة جميلة وأهده لأبنائك وخاصة المراهقين منهم، فإنهم يعانون كثيرًا من الهموم والأحزان.. واحفظ هذا الدعاء مع أطفالك الصغار..

٢- هل يسمعك ابنك تدعو ربك؟

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فكنت أسمعه ﷺ كثيرًا يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»..

إنه أسلوب تربوي جميل، فالخادم الصغير أنس عندما يسمع المربي الكريم يردد هذا الدعاء كثيرًا، فإنه سيحبه ويحفظه ويقوله كثيرًا، إنها القدوة الإيمانية العملية.. ولكي تسير على نهج النبوة الكريم، عليك أن تكون قدوة عملية لطفلك في التعامل مع الأحزان، وتقول: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، فعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»[(١)]

ولتكن قدوة عملية لأبنائك عند المصائب والأحزان، فإذا نزل بك هم أو غم سارع نحو الصلاة، قل لابنك: أنا حزين وسأصلي ركعتين، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ وقد «كان ﷺ إذا حزبه أمر صلى»[(٢)]، ومعنى حزبه: أي نزل به أمرٌ مهم، أو أصابه غم... وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام وهو يقول: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ..﴾[(٣)]

يقول أحد الشباب:

كان أخي مريضًا بأحد تلك الأمراض الخبيثة، وبعد رحلة طويلة من الأدوية دخل مستشفى معهد ناصر، وبعد أيام من دخوله المستشفى جاءنا خبر وفاته، فتأثر

(١) التوسل للألباني ح ر ٣٢، والكلم الطيب للألباني ح ر ١١٩، وقال: حديث حسن.
(٢) مسند أحمد(١/ ٢٠٦)، وسنن أبي داود (٢/ ٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ح ر ١٣١٩
(٣) عمدة القاري، ٨/ ١٤٥

والدي بشدة ودمعت عيناه، وأسرعت مع والدي وأقاربي إلى القاهرة لكي يأتوا بجثة أخي لدفنها، ونحن راجعون في الطريق ومعنا جثة أخي، سمعنا أذان الظهر، فطلب والدي من السائق أن يقف عند أول مسجد حتى يصلي الظهر في جماعة، فتعجبت أنا وأقاربي من موقف أبي، أي قلب هذا الذي يحمل ابنه ميتًا ثم يتركه ليصلي الظهر جماعة؟ إنه قلب أبي المطمئن الموصول برب العالمين، لقد عرفت اليوم كيف عاش أبي صبورًا ثابتًا، إنه ممن يستعين بالصبر والصلاة، ومن يومها تغيرت نظرتي لأبي، فأصبحت محبًّا للجلوس معه والاقتباس من نوره والتعلم من صبره، ومرت السنوات، وحضرت أبي الوفاة، وكنت بجواره في تلك اللحظات، وكان آخره ما قاله أبي من كلمات هو: «لا إله إلا الله» ثم فاضت روحه.

تقول إحدى الفتيات:



كنت فتاة مجتهدة محبة للدراسة، وفي الثانوية العامة اجتهدت كثيرًا وتوقع لي الجميع الخير، وظهرت النتيجة فذهبت لإحضارها، وهناك فوجئت أن مجموعي ضعيف جدًّا وغير متوقع، فعدت للبيت حزينة منكسرة، فما كان من أبي إلا أن احتضنني هو وأمي وقال لي: أنا فرحان جدًا بما رزقك الله به من مجموع، فقدر الله تعالى كله خير وفي مجموعك الخير، وخاصة أنك اجتهدت وعملت ما عليك، وعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وأعطاني أبي ٥٠٠ جنيه مكافأة على مجهودي لا مجموعي، وطلب مني أن أصلي ركعتين شكرًا لله تعالى، وألا أرفع رأسي من السجود الأخير إلا في حالة إحساسي بالرضا التام والحمد والشكر الجميل، فدخلت في الصلاة حزينة، لكن مع ابتسامة أبي وحضن أمي، ومن قبلهما عطف ربي، فقد خرجت من الصلاة راضية وسعيدة، لم أرفع رأسي من السجود

الأخير حتى رزقني الله تعالى الرضا التام، وشعرت بسعادة عجيبة، والله من يومها أشعر بالرضا في كل شئون حياتي.

٣- هل تحكي لابنك قصة دعاء؟

ومن الجميل عندما ترى ابنك مغمومًا أن تحكي له القصة التالية:

فلقد دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال ﷺ: يا أبا أمامة؛ ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال (أبو أمامة): هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال ﷺ: أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله ﷻ همك وقضى عنك دينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت؛ اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».. قال (أبو أمامة): ففعلت ذلك؛ فأذهب الله ﷻ همي، وقضى عني ديني[1]

ومن هذه القصة سيأخذ المحزون عبرة وعظة، ومن الممكن أن تهدي له الحديث مكتوبًا على ورقة جميلة، وتردده معه في أذكار الصباح والمساء..

٤- يا بني. هكذا تعرف ربك في الرخاء

إن من واجبنا كآباء وأمهات أن نعلم أطفالنا كيف يتعاملون مع الشدائد والأزمات قبل أن تنزل بهم، وندربهم على طرق حل المشكلات قبل أن يقعوا فيها، وعندما نعلم أطفالنا كيف يسألون الله تعالى عند الأحزان والمصائب، يجب أن نجعلهم يتعرفون إلى الله تعالى في الرخاء والنعمة، حتى يستجيب الله تعالى لهم عند الشدائد والمصائب، قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يستجيب

(١) سنن أبي داود ح ر ١٥٥٥ ، وضعيف أبي داود للألباني ح ر ١٥٥٥

الله له عند الشدائد والكُرب؛ فليكثر من الدعاء في الرخاء»[١]

وعن سلمان قال: إذا كان العبد يذكر الله في السراء ويحمده في الرخاء فأصابه ضر فدعا الله قالت الملائكة: صوت معروف من امرئ ضعيف، فيشفعون له، وإن كان العبد لا يذكر الله في السراء ولا يحمده في الرخاء فأصابه ضر فدعا الله قالت الملائكة: صوت منكر، فلم يشفعوا له [٢]

ومن هذا المنطلق أوصى النبي ﷺ ابن عباس بأن يحسن الصلة بالله تعالى في حال الرخاء والنعمة، حتى يرحمه ربه حال البلاء والشدة، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال له: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[٣]

ومعنى قوله: «تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة» يعني أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وأدى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، وحفظ له تعرفه إليه في الرخاء، فنجّاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه، فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته [٤]

والآن ايها المربي الكريم...

اجتمع مع أبنائك وبناتك في لقاء أسري جميل، وأخبرهم بوصية النبي لابن عباس الذي كان يحبه جدًّا، فهذه وصية الحبيب لحبيبه، ثم احك لهم

(١) أخرجه الترمذي والحاكم (١/ ٥٤٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٠).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ١٨٠، وجامع العلوم والحكم (١/ ٤٧٥).
(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وصححه الألباني في كتاب التوسل ح ر ٣٥.. لقد مات النبي ﷺ وابن عباس عمره ١٣ سنة، فهذه الوصية للأبناء تكون قبل سن ١٣ سنة.
(٤) جامع العلوم والحكم، ص ٤٧٤.

نماذج لمن تعرفوا إلى الله تعالى في الرخاء بالإيمان والعبادة فعرفهم الله تعالى في الشدة والنصر والفرج، من هؤلاء: سيدنا يوسف إذ يقول عنه تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

فيوسف قد تعرف إلى الله ﷻ في الرخاء وكان من المخلصين، فعرفه الله تعالى في الشدة وصرف عنه مؤامرة امرأة العزيز وتهديدها...

وسيدنا إبراهيم حين ألقي في النار نجاه الله تعالى لأنه قد تعرف إلى الله تعالى قبل ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

ثم احكِ لأطفالك مثالاً لمن لم يعرف الله في الرخاء، وهو فرعون حين أطبق عليه البحر وأدركه الغرق، فحينئذٍ أدرك فرعون أنه هالك لا محالة، وأدرك أن ما كان له من المال والولد والسلطان والخدم لم يعد ينفعه، فقال: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

قال ذلك بعد فوات الأوان، فجاءه الجواب: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس:٩١، ٩٢].

وبين الله ﷻ مصيره يوم القيامة، فقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨].

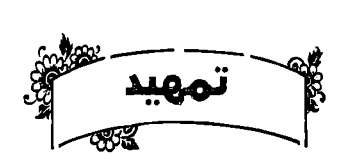
وبين مصيره في حياة البرزخ ويوم القيامة في آية أخرى، فقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥، ٤٦].

وبعد أن تحكي هذه القصص لأبنائك وبناتك، اسألوا أنفسكم: كيف نتعرف على اللّه تعالى في الرخاء؟ كيف نتعرف عليه سبحانه من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلا؟ كيف نتعرف عليه سبحانه بالعبادة والطاعة؟ ناقش أبناءك، واسمع مقترحاتهم بحب وتقدير، ثم اتفقوا على وسائل عملية تنفذوها معًا.. واللّه المستعان..


سامحني يا بُنيّ
سأتجسس عليك

سامحني يا بني... سأتجسس عليك





إذا أحست البنت أن أمها لا تثق فيها وتفتش في متعلقاتها الشخصية: فسوف تنام حزينة.

وإذا شك الولد أن هناك من يفتش خلفه ويحاول كشف أسراره، فلن ينام سعيدًا.

وإذا شعر الأب أو الأم أن ابنهما يخبئ عنهما شيئًا سيئًا، فلن يذوقا طعم النوم.

إن الأولاد والبنات – وخاصة المراهقين والمراهقات - يحبون أن تكون لهم أسرارهم الشخصية ومساحتهم الخاصة التي لا يطلع عليها أحد، وهذا طبعًا من حقهم، وفي الوقت نفسه يريد الآباء والأمهات معرفة كل تفاصيل حياة أبنائهم أطفالاً ومراهقين، ويعتقدون أن هذا من واجبهم، إذًا كيف نحل تلك المشكلة؟ كيف تحترم خصوصية الولد أو البنت وفي الوقت نفسه نعرف عنه ما نريد؟

حلول عملية.. تحترم الخصوصية

إن أكبر النزاعات بين الوالدين وأبنائهم هي الحاجة المتزايدة لدى الأبناء لأن يكونوا مستقلين ولهم أسرارهم الخاصة، وفي الوقت نفسه هناك رغبة قوية

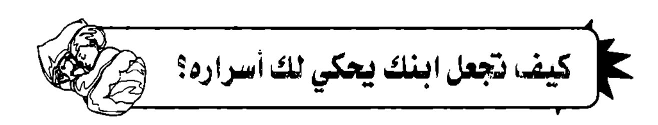
لدى الوالدين تتعارض مع احتياج الأبناء لخصوصية، وهي رغبة في حماية وتوجيه أبنائهم والسيطرة عليهم ومعرفة كل شيء عنهم..

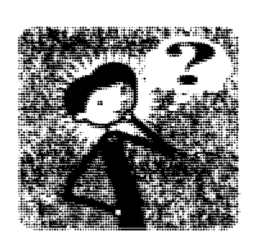
وللتوفيق بين وجهتي النظر؛ ينصح الخبراء الوالدين بإعداد قائمة بما يحتاجون فعلاً إلى معرفته عن الطفل، كما يكتبوا في القائمة ما لا يحتاجون إلى معرفته عنه، وهذه القائمة تتغير بطبيعة الحال كلما كبر الأطفال.

ويتم تقديم هذه القائمة أول مرة إلى الأطفال في السن ما بين الثامنة والتاسعة، وذلك قبل أن تصبح الخصوصية جزءًا من قوة المقاومة لدى الطفل أو المراهق، وتستخدم هذه القائمة كطريقة لتوضيح حق الطفل في الاحتفاظ بأسرار له كخصوصية من خصوصياته، وتبين مسئولية الوالدين في حمايته وتوجيهه، ويمكن مراجعة هذه القائمة مع بداية كل عام أو في يوم ميلاد الطفل، وكلما زادت الثقة والصراحة بين الوالدين والأبناء؛ قلَّت حاجة الأطفال إلى الخداع[1]

قائمة خصوصية الأبناء			
التاريخ	العمر	ما يحتاجه الوالدان إلى معرفته	الأشياء الخاصة

(١) كيف تنشئ طفلاً يتمتع بذكاء عاطفي، ص ٩٦ – ٩٨ (بتصرف).





هناك عدة طريق تجعل أبناءنا يحكون لنا أسرارهم ومشاكلهم وأحاسيسهم ومشاعرهم، ويفعلون ذلك وهم سعداء، ومن هذه الطرق:

- يبدأ الحوار الناجح منذ الطفولة، فالطفل الذي يجد من يسمعه ويساعده في حل مشكلاته برفق ومحبة، لا شك أنه سيكبر منفتحًا متحاورًا، ويكون لوالديه صفحة مفتوحة مع احتفاظه ببعض الأسرار، وهنا تقول إحدى الأمهات: جربت فكرة مبدعة لتنشيط الحوار اليومي مع أبنائي، ففي كل يوم بعدما يعودون من المدرسة، وعلى طعام الغداء أسأل كل واحد منهم: ما أجمل ما حدث معك اليوم في المدرسة؟ وما أسوأ ما حدث معك هناك؟ فعلت ذلك معهم منذ أن كان عمرهم ست سنوات، واستمرت تلك الفكرة مطبقة في بيتنا حتى بعد أن التحقوا بالجامعة، وكانت تلك الفكرة سببًا في تقاربي مع أبنائي وبناتي، وكم حللت كثيرًا من المشكلات في بدايتها قبل أن تكبر وتتعقد، وكان الإخوة يشاركون في حل مشكلات بعضهم، ونفكر معًا ونحزن معًا ونحتفل معًا..

- المراهق يعاني الكثير من الضغوط، ويقابل الكثير من المشكلات والصعوبات، ولذلك فهو بحاجة ماسة إلى من يحكي له همومه ويناقش معه أفكاره، وخير من يفعل ذلك هو الوالدان، ولكن كيف يحكي الولد لوالده الذي يطارده باحثًا عن أسراره متدخلاً في خصوصياته؟ وكيف

تتقرب البنت من أمها التي تنتقدها دومًا وترى أن كل ما تفعله ابنتها خطأ؟ إن الحوار يحتاج إلى حبّ وتقبل للخطأ وحسن اختيار الوقت، وهنا تقول إحدى الأمهات: كان ابني في مرحلة المراهقة، وكان قليل الكلام كثير الغضب، يشعر دومًا أنه على صواب، وأنه لا يحتاج إلى نصح من أحد، وكلما حاولت أن أتقرب منه يبتعد أكثر، كل محاولاتي تقربيًا انتهت بصراخ في وجهه وتوبيخه، وذات يوم ألهمني الله تعالى فكرة مبدعة، لقد أحضرت ورقة وقلمًا وكتبت له رسالة، كتبت أقول: كم أحبك، وأشعر بما تعانيه، وحبي لك لن يتغير يومًا، وأشتاق للحوار معك.. ووضعت الرسالة في مظروف وكتبت عليه من الخارج (اقرأه عندما تحب)، ووضعته على وسادته.. لم أخبره بما فعلت ولم يتحدث معي، لكنني تأكدت أنه قرأها.. وبعد أسبوع كتبت له الرسالة الثانية، ثم الثالثة.. فعلت ذلك معه طوال سنوات المراهقة.. وبعد أن كبر وأصبح مثالاً للشاب الرائع أخبرني أنه كان ينتظر رسالتي الأسبوعية في شوق ومحبة، وأنها غيَّرت كثيرًا من حياته، وخففت عنه كثيرًا من الآلام..

✍ هناك قاعدة تقول: لكي يحكي لك إنسان أسراره؛ فعليك أنت أن تحكي له أسرارك أولاً جرِّب هذه القاعدة مع ابنك أو ابنتك، ابدأ بأسرار العمل العادية، والأسرار المالية البسيطة، والأسرار العائلية العادية... احكِ لابنك أولاً، وخذ رأيه واستشره.. وعندما يتأكد من أنك تثق فيه وتقدره وتخصه بأسرارك؛ سيبدأ يحكي لك أسراره ويشكو لك همومه ويستشيرك في شئونه..

✍ كثير من أبنائنا يحبون أن نحدثهم عن ذكرياتنا في مثل أعمارهم، وهذه فرصة لنصحهم بشكل غير مباشر، كما أن هذه الفكرة قد تجعل الأبناء يخرجون ما في

أنفسهم من أسرار، ويضعون ما على صدورهم من أثقال، إذ إنهم سيشعرون أننا كنا مثلهم نعاني ونحب ونكره ونحزن ونتألم... هذا فقط سيتحقق عندما نختار ما نحكيه لأبنائنا وبناتنا بعناية، بشرط ألا نخبرهم فقط كيف كنا رائعين وأفضل منهم وأننا لم نخطئ قط... هكذا ستكون نصيحتنا ثقيلة وحوارنا مملاً، علينا أن نحكي لهم كيف انخدعنا أحيانًا في أصدقائنا، وكيف خابت بعض آمالنا، وكم عانينا في سنوات المراهقة، وكيف كانت ظروفنا المادية صعبة ثم تحسنت، وكيف عملنا في هذا التخصص، وكيف صححنا أخطاءنا... هكذا تحترم عقل ابنك أو ابنتك... وسترى النتيجة بنفسك.

وعندما يختارك ابنك أو ابنتك كصديق ويحكي لك أسراره؛ يجب أن تكون على قدر المسئولية، وتذكر أن الأسرار لا بد وأن تكون مليئة بالأخطاء والمشاكل، فلا تنفعل وتوبخ وتعطي المحاضرات، فإنك إن انفعلت وغضبت مع كل خطأ تكتشفه في أسرار ابنك؛ فإنه سيلجأ إلى الصمت معك، ويختار غيرك ليكون مستودع أسراره، ومن المهم أيضًا ألا تفرض حلولاً لمشكلات ابنك التي يحكيها لك ابنك، لا تتعامل معه بنظام الأوامر، حتى لا ينفر ويمل، قدم له الحلول العملية في صورة نصائح كأن تقول: لو كنت مكانك لجربت كذا وكذا، لو كنت أنا في تلك المشكلة لفعلت كذا وكذا، أقترح أن تجرب هذه الفكرة في حل تلك المشكلة... ويمكنك أن تطلب وقتًا تفكر في حل لتلك المشكلة وتسأل غيرك.. هنا سيشعر ابنك بحبك الصادق وبدوركم العملي في سماع أسراره ومشاكله..



كيف تتعامل مع أسرار ابنك السيئة؟



عندما تكتشف أن ابنك يرتكب خطأ ويخفيه عنك، ماذا تفعل؟

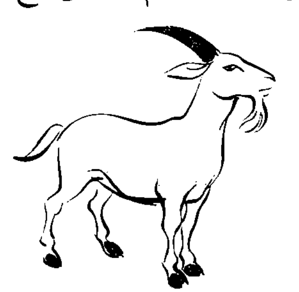
بعض الآباء يفضل المواجهة، ويخوض المعركة، لكنه للأسف يدخلها دون حساب ولا إعداد ولا تفكير، فينطلق مهاجمًا لابنه أو ابنته، وخلال المعركة تعلو الأصوات وتنطلق الشتائم وتضرب الأيدي، ويخرج الجميع من المعركة خاسرين..

ومن الآباء من يتغافل عن الخطأ كاظمًا غيظه ويبحث عن حل غير الضرب والصراخ، وقد يجلس مع شريك حياته ليبحث عن طريقة لعلاج تلك المشكلة، وبخليط من الصبر والحزم والدعوات يعبر الابن أو البنت تلك الأزمة والوالدين على يقين أنها لن تكون الأخيرة، وشعارهم: نلتقي في المعركة القادمة، ليس مع ابننا بل مع من يحيطون به من شياطين الإنس والجن..

وفيما يلي نقدم باقة من التجارب الواقعية التي تحوي طرقا إبداعية في التعامل مع سيئات الأبناء الخفية..

١- نقود العائلة.. أكلتها العائلة

كنا نعيش في بيت العائلة الكبير، ولكل أسرة حجرة خاصة بهم، فنحن مع والدي ووالدتي في حجرة، وأعمامي كل واحد منهم مع أسرته في حجرة، وجدتي - رحمها الله - في حجرة، وكنا نأكل معًا ونعمل معًا في الحقل وغيره، وكان والدي - رحمه الله - أكبر إخوته لذا كان يحتفظ معه بكل أموال



العائلة، وذات ليلة سرقت منه جنيهين وتأكدت أنه لم يشعر بي، وانتظرت فترة من الزمن أمثل عليهم جميعًا أنني أعمل وأدخر شيئًا من المال، وذات يوم قلت لأبي: إنني ادخرت جنيهين وأريد أن أشتري بهما عنزة صغيرة لأربيها في بيت العائلة، فوافق أبي وذهب معي لشرائها من السوق، ولما عدت وفي يدي العنزة سألني الجميع عن مصدر النقود، فقلت لهم: إنني عملت بها وكنت أجمعها في حصالة خاصة بي، وصدقني الجميع وصاروا يهتمون بإطعام العنزة الخاصة بي، فأسمعهم يقولون: أطعموا عنزة محمد، اسقوا عنزة محمد، احتفظوا بهذا البرسيم لعنزة محمد.. ومرت شهور وكبرت ا العنزة، وذات صباح قطعت العنزة الحبل وذهبت فأكلت كثيرًا من الأرز حتى نامت على الأرض متعبة من كثرة ما أكلت، واجتمعت العائلة ورأوا أن العنزة ربما تحتضر من كثرة ما أكلت، فقرروا ذبحها، وبالفعل ذبحوها وفي المساء جلست العائلة كلها يتناولون لحم العنزة وهم يضحكون ويقولون: اصبر يا محمد، عقبال العنزة القادمة، والبعض يواسيني والبعض يضاحكني، وأبي صامت لا يتكلم..

وفي اليوم التالي، كنت جالسًا بمفردي حزينًا على فقدان مشروعي الصغير، فجاء والدي مبتسمًا وقال: يا محمد، أريد أن أقول لك شيئًا، يا بني لا تحزن، «فنقود العائلة.. أكلتها العائلة».. فتوقفت حينها لحظات عن التنفس من هول المفاجأة، وزاغ بصري وقلت لنفسي: لقد كان يعلم بسرقتي للجنيهين طوال الستة أشهر الماضية ولم يتكلم، وكان يراني أربي العنزة ولم يفضحني، ولم أفق من تلك الحالة إلا عندما قال لي أبي: محمد، خذ هذين الجنيهين الحلال واشترِ بهما عنزة جديدة حلالاً

يا لصبرك يا أبي، فطوال شهور كنت تراقبني وتعلم أنني سرقت النقود منك لكنك تتغافل عما فعلت، طوال شهور ترى ابنك السارق يتحرك أمامك

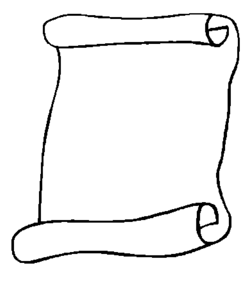
فرحًا – بالعنزة – الناتج عن سرقته ولم تفضحه، كل هذا لأنك تربي إنسانًا لا بهيمة، كل هذا لأنك تريد أن تتملك قلب ابنك لا تتملك جسده، ولقد نجحت يا أبي بامتياز، وجميلك دين في رقبتي إلى يوم القيامة، فهل هذا أب يمكن نسيانه؟ إنني من يومها وعلى مدار أكثر من أربعين سنة ما سجدت لله تعالى إلا ودعوت الله أن يرحم أبي كما رحمني..

٢- سرقت من أبي فكافأني بزيادة المصروف

كان أبي عاملاً بسيطًا، وكنت ككل الأطفال متطلعًا للمزيد من الحلوى والألعاب، وكان مصروفي لا يكفي لشراء كل ما أريد، فمددت يدي يومًا وسرقت من جيب أبي، وتكررت مني مرات السرقة من أبي، واكتشفت أمي يومًا ما أفعله فأخبرت أبي بالحكاية، فما كان منه إلا أن زاد لي في المصروف دون أن يكلمني في موضوع السرقة، وتعجبت كثيرًا مما فعله معي، إلى أن قالت لي أمي يومًا: اذهب لوالدك في العمل لتعطيه هذا الحذاء، وهناك وجدت أبي يعمل باجتهاد في حر الظهيرة الشديد، وعندما رآني أقبل يعانقني وهو يقول للناس مفتخرًا: هذا ابني أحمد، وعدت للبيت، وفي المساء قال لي أبي: أحمد، أنا أحبك جدًّا، وعندما تريد نقودًا زائدة أخبرني ولا تأخذ من جيبي، هل تعلم كيف زدت لك مصروفك؟ لقد قررت أن أعمل ساعة يوميًّا زيادة بدلاً من الراحة في وقت الظهيرة؛ لأوفر لك كل ما تحتاج إليه، فرجاء لا تسرق ولا تخذل أباك أبدًا، وأخذني في حضنه وتركني أبكي، ومن يومها زاد حبي لأبي، ولم أمد يدي للحرام أبدًا، وتفوقت في دراستي أملًا في رفع رأس أبي.

٣- رسالة أبي في علبة السجائر

كنت في مرحلة المراهقة، ومثل كل الشباب حاولت أن أجرب بعض الأشياء التي تشعر المراهق بأنه رجل، وكانت السجائر «التدخين» من تلك



الأشياء التي جربتها، وشيئًا فشيئًا بدأت علاقتي بالسيجارة تتوطد، وكنت على أعتاب أن أصبح عضوًا في نادي المدخنين هداهم الله أجمعين، غير أن الله تعالى لطف بي وأنقذني على يدي والدي، ولذلك قصة سأحكيها لكم: كنت أحترم أبي جدًّا، وطبعًا كنت أخفي عنه أمر السجائر، كنت أخفيها هنا وهناك، وكنت مطمئنًّا لأن أبي لا يعرف بأنني أدخن، إلى أن جاء اليوم الذي اكتشف فيه السر، كنت أخفي علبة السجائر في مكان يصعب أن يصل إليه أحد، وكنت أنتظر لحظة خروج أبي من البيت لأخرج العلبة وآخذ منها سيجارة، وفي ذلك اليوم خرج أبي من البيت، وتوجهت مسرعًا نحو المخبأ السري، وأخذت علبة السجائر بلهفة، وخبأتها في جيبي وصعدت نحو سطح البيت، وفتحت العلبة بشوق وفجأة تسمرت يداي في مكانها، لقد وجدت العلبة فارغة رغم أني تركتها ممتلئة، فقلبتها وفتشتها بدقة، وإذا بي أجد فيها ورقة ملفوفة، ففتحتها لأرى ما فيها فوجدت مكتوبًا فيها:

ابني الحبيب

مهما فعلت فأنت ابني الحبيب، سأكره المعصية التي تفعلها لكنني سأبقى أحبك، وأنا على يقين أنك لن تخذلني، أنا على يقين أنني أنجبت رجلاً يعرف الخير من الشر، السجائر معي، فإن كنت تريد أن تكمل هذا الطريق فستجدها تحت وسادتي، وإن كنت نويت التوبة - وهذا أملي فيك - فأنا على يقين أنك لن تشتري بالنقود التي أتعب فيها شيئًا تحرق فيه تعبي.

والدك

قرأت الرسالة ولم تعد قدماي قادرتين على حملي، فجلست حائرًا لا أدري ماذا أفعل، وفي النهاية قررت أن أكون ذلك الرجل الذي أنجبه هذا الرجل الطيب «أبي»، لم يعرف أحد غيري أنا وأبي بشأن تلك الرسالة، ولم يكلمني في هذا الموضوع أبدًا، فقط كان ينتظر، كان يكفيه أن يعرف إجابتي بنظرة واحدة تحت وسادته، كان أبي يبتسم كلما قابلني، ومن يومها تركت التدخين إلى غير رجعة، لقد أقسمت يومها ألا أحمل بين يدي سيجارة أبدًا، ولقد أعانني الله تعالى على البر بقسمي، لقد حدث هذا الموقف منذ أكثر من عشرين سنة، وما زالت رسالة أبي معي، وما زالت سجائري تحت وسادة أبي.

فوائد عمل المعصية في ستر



السلامة الكاملة من الذنوب مطلب محال، قال رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون، يغفر لهم»(١) وقال ﷺ: «ما من عبد مؤمن إلا و له ذنب، يعتاده الفينة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه، حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتنًا، توابًا، نسيًّا، إذا ذكر ذكر»(٢)

إن المؤمن يقاوم شيطانه ويجاهد نفسه، فإن ضعف ووقع في ذنب فإنه يستتر عندما يفعله تعظيمًا لله تعالى، وهو بذلك يحقق لنفسه فوائد أربعًا:

١- يفعل شيئا يحبه الله تعالى

روى أبو داود أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل من البراز بلا إزار، فصعد ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»(٣)

٢- يطيع أمر النبي ﷺ:

روى الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألمّ بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله،

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح الجامع للألباني ح ر ٥٧٣٥.
(٣) سنن أبي داود ح ر ٤٠١٢ ، والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل ٧ / ٣٦٧.

فإنه من يبد لنا صفحته (يظهر لنا أمره)، نقم عليه كتاب الله»[(١)]

تطلق القاذورة على الفاحشة ومنه «اجتنبوا القاذورات التي نهى الله عنها» أي كالزنا ونحوه، والقاذورة تطلق أيضًا على: الفعل القبيح والقول السيئ... وقال بعض العلماء: أراد به ﷺ في هذا الحديث ما فيه حد كالزنا والشرب؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك بعد رجم ماعز الأسلمي ﷺ الذي شهد على نفسه خمس مرت بأنه زنا[(٢)]

والاستتار المأمور به في هذا الحديث مع التوبة شامل لكل الذنوب والمعاصي..

٣- يفعل ذنبا واحدا

أبناؤنا في ارتكاب المعاصي والأخطاء صنفان:

- صنف يذنب ويستتر فيما يفعله، وهذا يرتكب معصية واحدة، وتكتب عليه معصيته بسيئة واحدة...
- وصنف آخر يذنب لكنه يجاهر بمعصيته ولا يستتر عند فعلها، وهذا يرتكب معصيتين؛ لأن فعل المعصية ذنب، وفعلها أمام الناس والحديث معهم عنها ذنب آخر، وهذا تكتب عليه معصيته بسيئتين أو أكثر...

---

(١) صحيح الجامع للألباني ح ر ١٤٩

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٢٩ (بتصرف).

الصنف الأول (تكتب عليه سيئة واحدة)	الصنف الثاني (تكتب عليه سيئتان)
• شاب يدخن السجائر وحده مغلقًا الأبواب حريصًا على ألا يشعر به أحد (أعرف أحدهم بدأ يدخن من عمر ١٦ سنة، وما زال يستحيي من أبيه ولا يشرب سيجارة أمامه، وعمره الآن فوق الأربعين، وما زال يستحيي من أبيه ويستتر منه).	• شاب يجلس وفي فمه السيجارة أمام والده أو والدته، وربما يضع قدمًا على أخرى... فهذا تجرأ على والديه، وشجع إخوته الصغار على الاقتداء به وارتكاب خطئه... أو يمشي في الشارع متفاخرًا بالسيجارة التي يفعلها، ولا يلقي بالاً لمن قابله أو رآه.
• بنت تسمع الأغاني الخليعة في خلسة وتحرص ألا يراها أحد.	• بنت تسمع الأغاني الخليعة بصوت مرتفع وتتمايل مع أنغامها، وتشجع أخواتها الصغيرات على فعل ذلك...
• مراهق يتخفى عندما يفتح المواقع الإباحية على الإنترنت ويغلقها سريعًا إن دخل عليه أحد والديه.	• مراهق آخر لا يستحيي ممن يراه أثناء جلوسه على الإنترنت ومشاهدته للمحرمات، بل ربما يتفاخر أمام زملائه بما فعل من سيئات.
• شاب يسمع الأغاني الخليعة في سيارته مغلقا الزجاج، وإذا ركب معه أحدهم أغلق المسجل، وربما يخفي تلك الأشرطة.	• شاب يشغل الأغاني الخليعة في سيارته بصوت مرتفع جدًّا يسمعه كل من مرّ به، ويفتخر أنه حصل على الإصدار الحديث لفلان وفلانة.

٤- يعافى ولا يكون من المجاهرين

روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»..

كل أمة النبي ﷺ معافى إذا استتر بالمعصية، معافى في الدنيا من الفضيحة ومن الغيبة، ويعافى في الآخرة من الفضيحة بين الخلائق كما يعافى من العقوبة بعفو الله تعالى عنه...أما المجاهرون فلهم أصناف وحالات، منهم من يعمل العمل السيئ بالليل في ستر الله تعالى، ثم يصبح محدثًا به غيره؛ وهكذا يكشف ستر الله تعالى عنه، ويحرك نوازع الشرّ في نفس من يسمعه.. ومن المجاهرة أن يعمل الرجل المعصية جهارًا نهارًا أمام الناس..

قال العلماء: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف... والحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من يستتر بها، وأيضًا فإن ستر الله نعمة يستحقها من ستر على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس منّ الله عليه بستره لله[(١)]

وهنا سؤال: هل من المجاهرة أن يخبر الابن أباه أو معلمه بذنب وقع فيه ليساعده ويرشده؟

قال النووي رحمه الله: يكره لمن ابتلي بمعصية أن يخبر غيره بها، بل يقلع

(١) فتح الباري ١٠ / ٤٨٧، ٤٨٨.

ويندم ويعزم ألا يعود، فإن أخبر بها شيخه أو نحوه ممن يرجو بإخباره أن يعلمه مخرجًا منها أو ما يسلم به من الوقوع في مثلها أو يعرفه السبب الذي أوقعه فيها أو يدعو له أو نحو ذلك فهو حسن، وإنما يكره لانتفاء المصلحة.

وقال الغزالي: الكشف المذموم إذا وقع على وجه المجاهرة والاستهزاء لا على السؤال والاستفتاء بدليل خبر من واقع امرأته في رمضان فجاء فأخبر النبي ﷺ فلم ينكر عليه[١]

٥- يتعرض لمغفرة الله تعالى يوم القيامة وستره

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول (تعالى): أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول (المؤمن): نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال (تعالى): سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق، فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

المراد بالكنف الستر، والمعنى أنه تحيط به عنايته التامة.. فالله تعالى يستر المؤمن ولا يفضح ذنوبه بين الخلائق، ويتكرم عليه بالعفو والمغفرة..

وقد أشار ابن عقيل - رحمه الله - إلى معنى لطيف في الاستتار بالمعصية فقال: الاستتار طاعة لله، وإن معافاة الله تعالى - في الآخرة - للمستتر بذنبه إنما كان لاستتاره في الدنيا[٢]

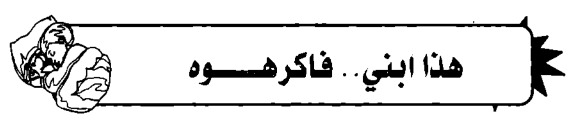
وقال العلماء: إن المراد بالذنوب في هذا الحديث ما يكون بين المرء وربه - سبحانه وتعالى - دون مظالم العباد[٣]

---

(١) فيض القدير ٥ / ١١، ١٢

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١ / ٢٥٥

(٣) فتح الباري ١ / ٥٠٤.





أن تعرض مشكلة ابنك (التربوية والخلقية) على طبيب ليداويه أو على مستشار ليساعدك.. فهذا واجب أبوي وضرورة تربوية..

أما عندما تجلس الأم بين صديقاتها وتشتكي من أبنائها، وتحكي أسرارهم السيئة؛ لا لتجد حلاً بل فقط على سبيل الفضفضة؛ فإنها بذلك تفضح ابنتها أو ابنها، وتجعل صورته أمام هؤلاء الناس سيئة، بل إنها ستجعلهم يكرهون هذا المخطئ المسيء، ويمنعون أبناءهم من صحبته، ومع الأيام تزداد فضيحته انتشارا بين صديقات الأم وأبنائهن وأزواجهن..

وفي قصة سيدنا ماعز ﷺ موعظة جليلة للآباء والأمهات:

ماعز بن مالك الأسلمي صحابي جليل، كان يتيمًا فكفله هزال الأسلمي، فكان منه بمنزلة الوالد من أبيه، وبعد سنوات وقع ماعز في ذنب الزنا، فبحث عمن يشكو له مصيبته، فذهب إلى أبي بكر الصديق ﷺ فأخبره بزناه، قال له الصديق: هل ذكرت هذا لأحد غيري؟

فقال ماعز: لا

فقال له أبو بكر: تب إلى الله واستتر بستر الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده..

لم تهدأ نفس ماعز ولم ترحه تلك الكلمات، فأسرع إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال له عمر مثل ما قال أبو بكر...

لم تطمئن نفس ماعز واحتار فيما يفعل، فلجأ إلى أقرب الناس إليه وهو هزال هذا الرجل الذي كفله صغيرًا ورباه يتيمًا، ونصحه الرجل الحاني أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره الخبر، لعل النبي ﷺ يستغفر الله له أو يجد له مخرجا...

ذهب ماعز إلى النبي وبين يديه قال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليَّ كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليَّ كتاب الله، حتى قالها أربع مرات، فاستوثق النبي من زناه، وأقام عليه الحد ورجم فمات طاهرًا تائبًا..

و لم تنتهِ القصة هنا، فالنبي ﷺ قابل بعد ذلك هزال الذي تكفل بماعز يتيمًا ورباه كبيرًا، ولكم كان النبي حزينًا بسبب ما فعله هزال، وذلك لأنه قال لماعز: ائتِ رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك، هذه كانت نية هزال إذ كان يبحث لابنه الذي كفله وأحبه عن مخرج واستغفار بين يدي النبي ﷺ، لكنه بنصيحته تلك فضح ماعز وتسبب في إقامة الحد عليه، وكانت التوبة الصادقة تكفيه، ولذلك عاتبه الرسول ﷺ عتابًا شديدًا؛، فقال له ﷺ: والله يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيرًا مما صنعت به[1]

فهذا هو أبو بكر الصديق ومعه الفاروق عمر - رضي الله عنهما - قد أرشدا ماعز المعترف بالزنا أن يستر علي نفسه ويكتم أمره، ولم يرد أن النبي ﷺ قد أنكر عليهما ذلك، ولا حضهما على خلاف ذلك، بل أنكر على هزال الذي فضحه من حيث أراد أن ينفعه..

(١) مسند أحمد ٥ / ٢١٦، والسنن الكبرى للنسائي ٤ / ٣٠٥، و سنن أبى داود ٤ / ١٣٤، و سنن البيهقي الكبرى ٨ / ٢١٩، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢ / ٢٠١، و موطأ مالك ٢ / ٨٢١، والحديث في صحيح الجامع ح ر ٧٩٩٠. شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٢٤

قال الحافظ ابن حجر: «ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد، كما أشار به أبو بكر وعمر على ماعز، وأن من اطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا، ولا يفضحه، ولا يرفعه إلى الأمام، كما قال ﷺ في هذه القصة: «لو سترته بثوبك لكان خيرًا لك»[1]

(١) فتح الباري ١٢/ ١٢٤

لماذا تستر أخطاء أبنائك؟

المقصود بالستر هنا هو عدم فضح الأبناء أمام غيرهم، أما حكاية أخطاء أبنائنا للأطباء والمتخصصين والخبراء لاستشارتهم وبحثًا عن علاج، فهذا ليس فضحًا لأسرارهم بل إنه واجب تربوي؛ بشرط أن يكون الخبير أمينًا كتومًا عالمًا فاهمًا.. والسؤال الآن: لماذا تستر أبناءك؟

١- حتى يسترك ربك في الدنيا والآخرة

روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة»، قال رسول الله ﷺ: «من علم من أخيه سيئة فسترها؛ ستر الله عليه يوم القيامة»[1]

٢- حتى يستره الله تعالى يوم القيامة

روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستر الله على عبد في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة».

قال العلماء: يحتمل في ستر الله تعالى له يوم القيامة وجهان:

أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف.

والثاني: ترك محاسبته عليها، وترك ذكرها.

(١) صحيح الترغيب للألباني ح ر ٢٣٣٦

والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر يقرره بذنوبه يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم[١]

٣- حتى لا تفسد حياته بفضيحتك له

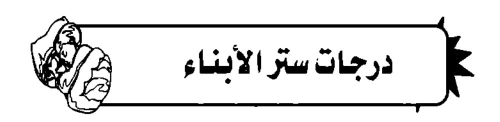
فكل من أخبرته عن ابنك سوءًا سوف يتغير قلبه تجاهه ويكرهه ويحذر منه، حتى لو كان قد تاب توبة نصوحًا، وبهذا يكون أمامه أحد أمرين، أولهما: أن يعيش منبوذًا صابرًا حزينًا، والثاني: أن يوغل في المعاصي يائسًا من رحمة الله سبحانه... ولقد روي عن الشعبي أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إني وأدت ابنة لي في الجاهلية، فأدركتها قبل أن تموت، فاستخرجتها، ثم إنها أدركت، فحسن إسلامها، وأنها أصابت حدًّا من حدود الإسلام فلم نفجأها إلا وقد أخذت السكين تذبح نفسها، فاستنقذتها.. فداويتها حتى برأ كلمها (أي: جرحها)، فأقبلت إقبالاً حسنًا، وإنها خطبت إليّ، فأذكر ما كان منها؟ (يعني: لخطيبها)، فقال عمر: «هاه لئن فعلت لأعاقبنك عقوبة يسمع بها أهل الوبر وأهل المدر».. وفي رواية أخرى قال له عمر: «أعاقبنك عقوبة يتحدث بها أهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة»..

وفي رواية ثالثة قال عمر لهذا الأب: «أتخير بشأنها؟ تعمد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة»[٢]

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ص ١١١

(٢) المصنف (٦/ ٢٤٦،٢٤٧) (٦/ ٢٤٧)، وتفسير الطبري (٦/ ١٠٥) ... والفاروق عمر - رضي الله عنه - هو محدث الأمة، وفيه يقول النبي ﷺ: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون. فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر منهم». رواه مسلم. والمحدث هو الملهم، أو هو - كما قال ابن القيم في «إعلان الموقعين» (٤/ ١٠٨) - المتكلم الذي يلقي الله في روعه الصواب يحدثه به الملك عن الله، وهو الذي قال فيه ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه». رواه الترمذي (٣٦١٥)، وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه أحمد في مسنده ٢/ ٥٣.



درجات ستر الأبناء

١- تسترها عن نفسك وتتغافل

إذا رأيته على معصية تتظاهر بأنك لم تره، ثم تعظه بطريقة غير مباشرة إن لزم الأمر...

ولقد رأى عيسى ابن مريم عليه السلام، رجلاً يسرق فقال له: أسرقت، قال: لا، والله الذي لا إله إلا هو، قال عيسى عليه السلام: آمنت بالله وكذبت بصري[1]

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ (لم يسأله النبي ﷺ عن خطئه)، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَصَلَّى (المخطئ) مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاَةَ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله، قَالَ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ.

فلا تبحثن أيها المربي الكريم كثيرًا في أخطاء أبنائك وبناتك لتعرف تفاصيل التفاصيل، فقط اطمئن وانصح ووجِّه برفق، وأرشدهم دومًا إلى طريق التوبة والمغفرة، وكن دومًا مفتاحًا للرحمة..

٢- تسترها عن الناس وتنصح

هنا تظهر لابنك أنك عرفت ذنبه وأنك لن تخبر به أحدًا، وبالفعل تحتفظ بهذا السر لنفسك فقط، وتنصح المخطئ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة..

---

(١) صحيح النسائي للألباني ح ر ٥٤٤٢

قال خَوَّاتَ بن جُبَيْرٍ ﷺ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ[١]، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي فَإِذَا أَنَا بنسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ، فَأَعْجَبْنَنِي، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي (حقيبة ملابسه)، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ..

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قُبَّتِهِ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ؟، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جَمَلٌ لِي شَرَدَ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا.. وفي رواية: يفتلن ضفيرًا لجمل لي شرود..

فَمَضَى ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَلْقَى إِلَيّ رِدَاءَه وَدَخَل الأَراك، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضأَ، فَأَقْبَلَ وَالْماءُ يَقطر مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ فسكتّ واستحييت، وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه... ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ ﷺ لا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ، إلا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدَ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِجْرِهِ فَجْأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعَنِي، فَقَالَ: طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ الله مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَالله لأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ولأُبْرِئَنَ صَدْرَهُ، فَلَمَّا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الله مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَت، فَقَالَ ﷺ: رَحِمَكَ اللهُ ثَلاثًا، ثُمَّ لَمْ يُعِدْ خوات لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ، فحسن إسلامه وهداه الله[٢]

---

(١) مرّ الظهران مكان على بعد ٤٠ كيلومترًا من مكة باتجاه المدينة ويسمى اليوم وادي فاطمة.

(٢) أخرجه الطبراني (٤/ ٢٠٣، رقم ٤١٤٦) قال الهيثمى (٩/ ٤٠١) رواه الطبرانى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة، وقال الحافظ العراقي رجاله ثقات، انظر تخريج الإحياء ٣/ ١٦١

٣- تسترها عن شريك حياتك

فتقول لابنك إن رأيته على خطأ وواجهته بلطف ومحبة، لن أخبر والدك (أو والدتك) بالخبر، وأنا على يقين أنك ستكون أفضل، فإذا اكتشفت الأم مثلاً أن الولد قد سرق مالاً منها أو من أبيه، تقول له: سأساعدك في سداد هذا المال وأسدد نصفه وأنت تسدد نصفه دون أن يعلم أحد، ولن أخبر والدك لأنه سيحزن، ولا أريد لصورتك أن تهتز أمامه... وقد تخبر الأم زوجها بخطأ ابنها أو ابنتها إن وجدت لهذا ضرورة، بشرط أن يتم هذا سرًّا دون علم المخطأ الذي وعدناه بستره، وبشرط ألا يظهر الأب له أنه قد علم بالأمر..

٤- تسترها عن إخوته

في بعض الأحيان قد تكتشف الأم خطأ يقع فيه الابن أو البنت، فتقول للمخطئ: سأقول لوالدك لنشاوره وينصحنا بالخير... ولن يعلم أحد إخوتك بهذا الأمر فسيظل سرًّا بيننا نحن الثلاثة وفقط..

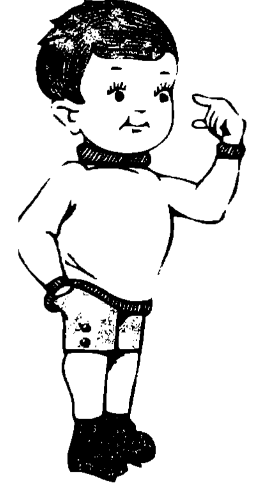
٥- تسترها عن أصدقائه – أقاربه – معلميه وزملائه في الفصل

حكى الشعبي أن عمر بن الخطاب ﵁ جلس بين مجموعة من أصحابه، وفيهم جرير ابن عبد الله ﵁، وبينما هم جالسون أخرج أحد الحاضرين ريحًا، وأراد عمر أن يأمر صاحب من أخرج ريحًا أن يقوم فيتوضأ، وهَمَّ سيدنا عمر أن يقول له: قم يا فلان فتوضأ، وفي هذا إحراج له بين الحضور، فقال جرير لعمر: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعًا. فسُرَّ عمر بن الخطاب من رأيه وقال له: رحمك الله، نِعْمَ السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام[١]

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٦١ (بتصرف).

من اليوم لن أكشف سترك يا بُني



يحكي أحد الآباء عن نفسه في مرحلة المراهقة فيقول:

كنت في المرحلة الثانوية، وكان بيتنا يتكون من مبنيين متجاورين، وكنا نجلس باستمرار في أحدهما، والآخر مخصص للضيوف وللطوارئ، وفي المرحلة الثانوية كنت أذاكر منفردًا في المبنى الثاني، وكنت أختلس الفرصة وأشرب السجائر، كنت أفعل ذلك حتى لا يراني أحد، في تلك الفترة كان والدي يتكلم أحيانًا عن ضرر السجائر وخطورة الدخان وكيف أنه معصية للرحمن، أحيانًا كنت أشك أن والدي يعرف أنني أدخن، لكنني ما ألبث أن أؤكد لنفسي أنه لا يعرف، ولو عرف لواجهني وعنّفني...

ومرت السنوات، وهداني الله تعالى وتركت السجائر، والتحقت بكلية الهندسة، وبعدما تخرجت أكرمني الله تعالى بالعمل والزواج، وذات يوم كان أبي يزورني، فتذاكرنا أيام الماضي فقلت له: «سأقول لك سرًّا، لقد كنت أدخن دون علمك لكن الله هداني»..

فتبسم أبي وقال: «وأنا عندي لك سر أخطر، لقد كنت أعرف أنك تدخن» وسكت قليلاً ثم قال: «لقد كنت آتي إليك وأنت تذاكر لأطمئن عليك، وعندما كنت أجد رائحة السجائر؛ كنت أرجع ولا أدخل عليك»..

فقلت له مستغربًا: لماذا؟ وكيف؟

فقال: يا بني، بيني وبينك جدار رفيع من الستر والحياء، لو هدمته لفسد حالك، فاكتفيت بالدعاء لك وتوجيهك بلطف وبطريقة غير مباشرة، وكنت سعيدًا لأنك تفعل المعصية في ستر، وكنت خائفًا أن أواجهك فتفعلها في علانية، وساعتها سأكون سببًا لمجاهرتك بالمعصية، يا بني، كنت أخاف أن تكون من المجاهرين بالمعاصي، وكنت أحب أن أسترك حتى يسترني الله تعالى يوم القيامة، وجلس أبي يذكرني برسائله غير المباشرة وما فعله معي من وسائل عملية رفيقة حتى تركت التدخين بفضل الله تعالى..

أيها المربي الكريم..

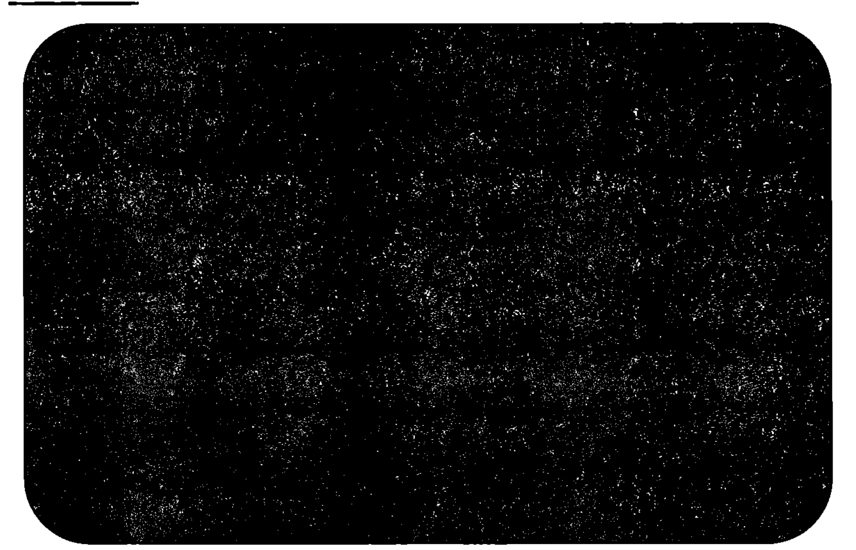
حاول أن تصحح الأخطاء الظاهرة ولا تفتش عن الأخطاء الخفية لتصلحها؛ لأنك بذلك تفسد القلوب، وقد نهى النبي ﷺ عن تتبع العورات فقال: «لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته»[(١)]، وقال: «إنك إن تتبعت عورات الناس؛ أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم»[(٢)]

إنك تفسد من تتبعت عيوبه المخفية لأنك لا محالة ستكشف ستره وتفضحه، فتجعله بذلك أكثر جرأة على المعصية، وبدلاً من أن يفعلها في الخفاء فإنه سيجاهر بها أمامك وبين الناس، وهنا يقول أحد الشباب: كنت في المراهقة أشرب الدخان سرًّا، فعلم أبي بالخبر وواجهني وعنفني وطردني، فما كان مني إلا أن عاندته وبدأت أشرب أمام أمي وإخوتي، ورويدًا رويدًا شربت أمامه، وليته تركني أفعل هذه المعصية في ستر، فبسببه أمشي الآن في الشارع حاملاً السيجارة في يدي..

---

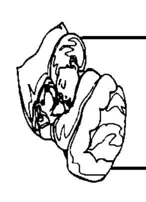
(١) رواه مسند أحمد ٥/ ٢٧٩، والترمذي [البر/ ٨٣] عن ثوبان مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

(٢) مسند أبي داود ٤/ ٢٧٢ ، وصحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٨٨٨.



(١)جامع العلوم والحكم ١/ ٨٢.

(٢)الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب الحنبلي ، ص ٢١.



اختبر نفسك..
واكتشف درجة الستر في بيتك

هل تربي أبناءك على الستر؟ هل تستر عوراتهم ولا تفضح أخطاءهم؟ ما درجة تحلي أسرتكم بخلق الستر؟

لتعرف الإجابة – عمليًّا – أجب عن الأسئلة التالية بصدق..

السـؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
(١) أعاتب المخطئ من أبنائي بصوت منخفض ولا أصرخ في وجهه حتى لا يسمع الجيران صوتنا وينفضح أمره بينهم.				
(٢) أعوّد أبنائي أن يستروا أخطاء بعضهم، ولا أفرح كثيرًا عندما يخبرني أحدهم بخطأ ارتكبه أخوه، وأعودهم ألا يخبرني أحدهم بخطأ يرتكبه أخوه إلا بعد أن يساعده وينصحه، أو في حالة أن يكون الأمر عاجلاً وخطرًا.				
(٣) أتغافل عن بعض الأخطاء البسيطة التي يرتكبها ابني أو ابنتي؛ فلا أظهر له أنني عرفت. وأتجاهل الأمر ساعتها تمامًا (أعطِ مثالا).				

السـؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
(٤) أمتنع عن تعيير أبنائي بأخطاء ارتكبوها، فلا أقول: يا كاذب.. يا حرامي.. يا فاشل..				
(٥) أعالج بعض أخطاء أبنائي بصورة غير مباشرة عن طريق الحدوتة.. وما بال أقوام.. وبعض الأولاد يخطئ في كذا.. والحلّ كذا...				
(٦) أعلّم أبنائي فضيلة الستر بداية من ستر العورة عند دخول الحمام.. وطرق الأبواب قبل الدخول.. وحتى الاستتار في فعل الأخطاء والذنوب، وما أخطأ فيه أحدهم سرًّا يتوب منه سرًّا، وما أخطأ فيه علانية يتوب منه علانية.				
(٧) أستتر أنا وزوجتي عن الأبناء في العلاقة الحميمة.				
(٨) في بيتنا نعرف المواصفات الشرعية للملابس التي نرتديها أمام بعضنا (حدود ملابس الأم أمام ابنها، والبنت أمام أخيها وأبيها، والأب أمام ابنته) ونلتزم بها.				
(٩) هناك أسرار بيني وبين كل واحد من أبنائي لا يعرفها إخوته، بمعنى أنني عندما أعلم بخطأ يقع فيه أحدهم فإنني				

السؤال	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
أنصحه سرًّا دون أن يعرف إخوته.				
(١٠) أسمح لأبنائي أن يكون لكل واحد منهم (بنين وبنات) أسراره وخصوصياته التي تناسب مرحلته العمرية.				

احسب نتيجتك

الإجابة	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا أفعل
الدرجة	٤	٣	٢	١

اعرف نفسك

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون، بعد أن نحسب درجاتنا فإننا نتلهف لمعرف مستوانا، و هل نحن ملتزمون بخلق الستر في بيتنا أم لا، فهيا بنا نعرف النتيجة من خلال الجدول التالي...

حاول أن تقترب

[١٠-٢٠]: إذا كانت درجاتك تنحصر بين هذين الرقمين ، فإن التزام أهل بيتك بخلق الستر يحتاج إلى إعادة نظر ، وهذا لا يعني أنكم سيئون ، فالفرصة ما زالت أمامكم ، فأسرع قبل فوات الأوان

على وشك الاقتراب

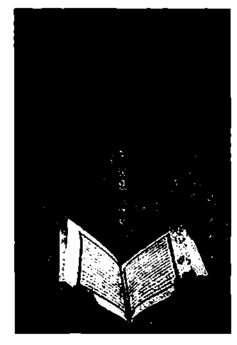
[٢٠ – ٣٠]: إذا كانت درجاتك في هذا المجال ، فأنت ربما لا تلتزم أحيانًا بخلق الستر ، و لكنك تقترب غالبًا من الطريق الصحيح ، ولهذا حاول أن تلتزم أكثر بخلق الستر في بيتك.. و الله ولي التوفيق .

أنت على الطريق الصحيح

[٣٠ – ٤٠]: إذا كانت درجاتك تنحصر بين هذين الرقمين ، فإن أهل بيتك – بنسبة عالية – ملتزمون بخلق الستر ، فاستمر على ما أنت عليه ، و اسأل الله الثبات.


كيف يحفظ طفلك القرآن
بدون ضرب وأحزان ؟

كيف يحفظ القرآن بدون ضرب وآحزان؟





هل حفظ القرآن.. يسبب الأحزان؟

حفظ القرآن وتلاوته والعمل به مصدر كل سعادة ومفتاح كل خير..

فتلاوة القرآن تنير البيوت، وحفظه ينير القلوب، والعمل به ينير دنيانا وأخرانا..

قال رسول الله ﷺ: «إن البيت ليتلى فيه القرآن؛ فيتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض»[1]

وقال ﷺ: «نوروا بيوتكم ما استطعتم؛ فإن البيت الذي يقرأ فيه القرآن؛ يتسع على أهله، ويكثر خيره، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن؛ يضيق على أهله، ويقلّ خيره، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين»[2]

وعند تلاوة القرآن للحفظ والتسميع والمراجعة والمدارسة؛ تتنزل السكينة، وتعمّ الرحمة، روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «ما اجتمع

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٣١١٢.
(٢) السلسلة الضعيفة للألباني ح ر ٤٩٦٥.

قومٍ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»..

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة وبيت ونحوهما إن شاء الله تعالى، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» فهذا الفضل مطلق يتناول جميع المواضع [(١)]

والسكينة هي: شيء يقذفه الله ﷻ في القلب فيطمئن ويوقن ويستقر؛ فلا يكون عنده قلق ولا شك ولا ارتياب فهو مطمئن، وهذه من أكبر نعم الله على العبد أن ينزل السكينة في قلبه بحيث يكون مطمئنًا غير قلق ولا شاكٍ، راضيًا بقضاء الله وقدره، مع الله ﷻ في قضائه وقدره، إن أصابته ضراء صبر وانتظر الأجر من الله، وإن أصابته سراء شكر وحمد الله على ذلك، هذه السكينة نعمة عظيمة، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، فهي من أسباب زيادة الإيمان.

(وغشيتهم الرحمة) يعني غطتهم، والغشيان هو الغطاء كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، يعني يغطي الأرض بظلامه، ومعنى (غشيتهم الرحمة) أي رحمة الله ﷻ فتغشاهم وتحيط بهم وتكون لهم بمنزلة الغطاء الشامل لكل ما يحتاجون إليه من رحمة الله ﷻ، وحفتهم الملائكة يعني أحاطت بهم الملائكة يستمعون الذكر ويكونون شهداء عليهم، وذكرهم الله فيمن عنده

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ٢١

يذكرهم الله تعالى في الملأ الأعلى[(١)]

وعندما نتأمل أفراح الآباء والأمهات في الدنيا، نجد منهم من يفرح لأن ابنه حصل على مجموع كبير وأصبح من الأوائل في المدرسة، وهناك من يسعده نظافة أبنائه وحسن مظهرهم، وهناك من يسعد لأنه وفر لأبنائه أحسن طعام وألحقهم بأحسن مدارس، ومنهم من يفتخر بأن ابنه يتكلم لغة أجنبية بمهارة، ومنهم من يفرح لأن ابنه يعمل في وظيفة مرموقة، وقد يفرح بعضهم لأن ابنته تزوجت من رجل ثري أو ذى وجاهة اجتماعية، وأصحاب الفرح الحقيقي هم من كان أبناؤهم من أهل القرآن؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قال ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والحسن، وغيرهم: فضل الله هو الإسلام، ورحمته هو القرآن... فجعلهم سبحانه مسلمين بفضله، وأنزل إليهم كتابه برحمته، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾..

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج ٤، ص ٧٠٨، ٧٠٩
كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة ... يقول تلميذه ابن القيم رحمه الله: وقد جربت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته. وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع
الأول قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].
الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].
الثالث قوله تعالى ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].
الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلنا من أهله... وفضل الله تعالى ورحمته (القرآن) يتضمن موعظة وشفاء لما في الصدور من داء الجهل والظلمة والضلال، فيعيش صاحب القرآن في سكون نفس، وإشراق روح، ورحمة تجلب له اللذة وتخفف عنه كل مصيبة... فذلك خير من كل ما يجمع الناس من أعراض الدنيا وزينتها، وهذا هو الذي ينبغي أن يفرح به، وليس بما يجمع أهل الدنيا منها، فإنه ليس بموضع للفرح، لأنه عرضة للآفات. ووشيك الزوال، فالثياب تبلى، والأموال تنفق، والصحة تضعف[١]

بل إن أفراح الدنيا كلها مبنية على النقصان، فتمام الفرح والمتعة يتطلب ثلاثة أشياء:

مال، وقت، صحة... نحتاج إلى الثلاثة لنحقق السعادة الكاملة، والآن تأمل أحوالك وأحوال الناس من حولك، في الطفولة يكون لديك صحة ووقت لكن ليس لديك مال، وفي الشباب تجد لديك مالاً وصحة لكن ليس لديك وقت، وفي الكبر يكون لديك وقت ومال لكن ليس لديك صحة... إن لذات الدنيا كلها مبنية على النقصان... والفرح بكل ما هو دنيوي فرح ناقص، فرح مخلوط بحزن، أما الفرح بالإسلام وبالقرآن فهو الفرح الحقيقي الذي لا يخالطه حزن...

وانطلاقًا من هذا الفهم القرآني فرح أبو حنيفة – رحمه الله – عندما حفظ ابنه حماد سورة الفاتحة واحتفل به أعظم احتفال، وأعطى لمعلمه مكافأة كبرى؛ يروى أنه لما حذق (حفظ وأجاد) حماد بن أبي حنيفة سورة الفاتحة، وهب أبو حنيفة للمعلم خمسمائة درهم (وكان الكبش أيامها يشترى بدرهم)، فاستكثر

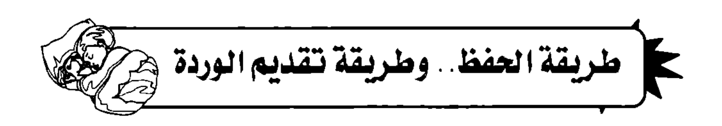
(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين٣/ ١٤٨، ١٤٩

المعلم هذا السخاء إذ لم يعلمه إلا الفاتحة، وقال: ما صنعت حتى يرسل إليَّ هذا؟ فأرسل أبو حنيفة إليه ليحضر، واستقبله أبو حنيفة في بيته، وحاول المعلم أن يعتذر عن قبول المال لأنه ما فعل ما يستحق ذلك، فقال أبو حنيفة: لا تستحقر ما علمت ولدي، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيمًا للقرآن، وفي هذا اجتمعت عفة المعلم مع سخاء أبي حنيفة[1]

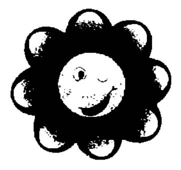


فإذا كان الناس من حولك يصنعون حفلاً لأبنائهم بسبب النجاح أو يوم الميلاد، فاصنع أنت لابنك حفلاً أسريًا عندما يختم سورة، وحفلاً أسريًّا آخر عندما يختم جزءًا، وحفلاً كبيرًا عندما يختم القرآن...

(١) فتح باب العناية ص ١٩، ومن أخلاق العلماء، ص ١٤٧، ١٤٨ (بتصرف).



لو أعطيت ابنتك وردة جميلة عطرة بالطريقة التالية: دخلت البيت، وتوجهت نحوها بوجه كئيب، وقلت لها صارخًا: خذي هذه الوردة أيتها الفاشلة الغبية، ثم لم تناولها الوردة بيديك بل قذفت بها في وجهها، عندها ماذا سيكون إحساس ابنتك؟ وكيف ستنظر لتلك الوردة؟



إن الوردة رمز للمحبة وعنوان المودة وهي رسول جميل بين الأحبة، لكن طريقتك السيئة جعلت من تلك الوردة الجميلة رمزًا للكراهية...

والسؤال الآن: كيف تقدم القرآن لأطفالك؟ كيف تعرف أبناءك على كتاب ربهم؟

من المهم أن تقدم لطفلك القرآن بطرق جميلة ومحبة غامرة وتشجيع لا ينقطع، اجعل طفلك يحفظ القرآن على قدر طاقته ووفق قدراته بطرق سعيدة وبمكافآت عديدة، لا بد وأن يكون شيخه رحيمًا وصبره جميلاً... أما طريقة التحفيظ السيئة وأسلوب التعامل القاسي فهو ما يسبب الأحزان لأطفالنا خلال تعاملهم مع القرآن الكريم، فهل حفظ القرآن عن طريق الحرمان والتعنيف والضرب والحبس أمر جيد؟ هل من المقبول أن يحفظ الطفل كتاب ربه كارهًا، ويردد آياته دامعًا، ويسمّع لشيخه خائفًا؟

إليكم هذه الحكاية الواقعية...

ذهبت يومًا مع بعض الأصدقاء لزيارة صديق لنا في بيته، وهناك استقبلنا صاحب البيت وعليه علامات الغضب، وبعد أن استقر بنا المجلس سمعت

ابنه يبكي، فسألته: ما الخبر؟ فقال: ابني ذو العشر سنوات تكاسل اليوم عن حفظ واجبه من القرآن، وعندما عدت من العمل أخبرتني زوجتي أنه ظل يلعب طوال النهار ولم يحفظ، و كنت حينها مغضبًا بسبب مشكلات في العمل، فتوجهت نحو ابني ثائرًا ووبخته وصرخت في وجهه، ودون أن أشعر لطمته على وجهه (بالحذاء)... نعم لطمته بالحذاء... وأمرته أن يذهب ليحفظ، وأنه لن ينام إلا بعد أن يسمع لي ما هو مقرر عليه من الحفظ اليوم...

لم أصدق ساعتها ما قاله هذا الأب، وسألته: كيف فعلت ذلك؟ بماذا أحسست بعدها؟ ماذا فعل ابنك بعدها هل جلس ليحفظ فرحان أم كارهًا؟... وبعد حوار هادئ، تألم صديقي لما فعله بابنه المسكين، فقلت له: هات ابنك واعتذر له أمامنا جميعًا الآن.. ووافق الأب الحاني محاولاً تصحيح جريمته، وجاء الطفل منكسرًا حزينًا، وما إن رأيته حتى أصابني الفزع، فقد رأيت آثار الحذاء الذي ضرب به موجودًا على خده، إنها جريمة مكتملة الأركان، لكن لطف الله تعالى ساقنا لبيت صديقنا في تلك الليلة، لننقذ ابنه المسكين ونأخذ بيد هذا الأب الحزين...

وهنا نسأل: ماذا تفعل لو هرب ابنك من الكتاب أو حلقة التحفيظ؟

ماذا تفعل لو خرج ابنك من البيت ذاهبًا إلى الكتاب أو حلقة التحفيظ، واكتشفت أنه بدلاً من الذهاب إلى شيخه ذهب ليلعب وعاد فسألته: أين كنت؟ قال: كنت في التحفيظ. وماذا تفعل لو تكرر هروبه من الشيخ والحفظ؟

إن المربي الناجح لا بد وأن يسأل نفسه قبل أن ينفعل ويضرب ويصرخ في وجه هذا الطفل الصغير: لماذا فعل الطفل ذلك؟ هل لأن الشيخ يقسو عليه؟ هل لأنه محروم من اللعب؟ هل لأنه يذهب إلى الشيخ مضطرًّا لا محبًا؟ أم لأنها طبيعة مرحلته السنية؟

لا بد وأنك حينها ستلتمس لطفلك عذرًا، وقد تجد ابنك محتاجًا إلى بعض

الدعم المادي والمعنوي على يد شيخه، وهنا تحضر الهدايا للشيخ ليعطيها لطفلك، ليرتبط به قلبيًّا والمحب لمن يحب مطيع، وقد تطلب من الشيخ ألا يضرب ابنك إلا ضربًا خفيفًا - إن لزم الأمر - بعصا لطيفة الهدف منها يكون التخويف لا القسوة، ويكون الضرب خفيفًا لا قاسيًا فلا يظهر له أثر على البدن يعني من جرح أو كسر ولا يترك على النفس أثرًا سلبيًا من قهر وخنوع..

وإليك ما فعله التابعي الجليل القاضي شريح - رحمه الله - مع ابنه عندما تكرر هروبه من الكتاب بسبب حبه للعب وذهابه للمصارعة بين الكلاب، بل وزاد على ذلك أنه أضاع الصلاة وتركها، روى أحد أبناء سعد بن أبي وقاص أنه كان لشريح ابن يترك الكُتّاب (مكان تحفيظ القرآن والتعلم) ويهرب من شيخه ويذهب ليلعب مع الصبيان ويهارش بين الكلاب (أي يلعب معها و يجعلها تتصارع مع بعضها) قال: فدعا شريح بقرطاس ودواة (ورقة و قلم) فكتب إلى مؤدب ابنه يقول:

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ... طلب الهراش مع الغواة الرجس
فإذا أتاك فَعِظَنَّهُ بملامة ... أو عظه موعظة الأديب الأكيس
فإذا هممت بضربه فبدرّة [١] ... فإذا ضربت بها ثلاثًا فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما تجرعني أعز الأنفس [٢]

وصية لمعلمي القرآن

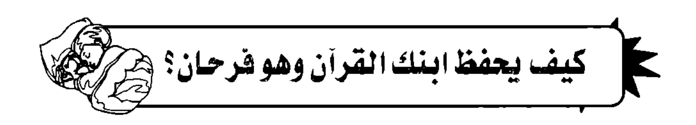
قال رسول الله ﷺ: «علموا، و يسروا ولا تعسروا، و بشروا و لا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت». [٣]

---

(١) الدرة: هي عصا لينة خفيفة، ولعصا الضرب مواصفات فقهية منها: أن تكون قصيرة لا تزيد على ذراع (٦٠ سنتيمترًا) وتكون رفيعة وتكون رطبة لينة ولتراجع مواصفات عصا الضرب عند التعليم وعدد الضربات بالتفصيل انظر كتابنا: كيف نعالج أخطاء أبنائنا؟ فصل: كيف نضرب أبناءنا؟

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني ٤/ ١٣٧، وأخبار القضاة لوكيع ٢٠٧، كتاب العيال لابن أبي الدنيا رقم ١٥٥

(٣)رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ر ١٣٧٥



كيف يحفظ ابنك القرآن وهو فرحان؟

الآباء يريدون من الأبناء أن يقضوا أوقاتهم في فعل شيء نافع..

والأبناء يريدون قضاء أوقاتهم في اللعب والمرح بكل صوره وجميع أشكاله..

فكيف يتفقان؟

إن اختلاف أهداف الآباء عن أهداف الأبناء وتضادها؛ ينتج عنه صراع السيطرة، فكلا الطرفين يريد أن يحقق هدفه ويريد أن يثبت نفسه، وهكذا يتحول التعلم والحفظ إلى معركة حامية، وعادة ما يخرج الجميع منها منهكًا متعبًا وقد حقق القليل من أهدافه، فالطفل لم يستمتع، والأب لم يجعل ابنه يتعلم ويحفظ، ومع كثرة المعارك قد يستسلم أحد الطرفين حزينًا، وقد ييئس الطرفان..

وحل تلك المسألة يكون بأن يقدم الآباء والمربون الأشياء النافعة للطفل ليفعلها في ثوب المرح واللعب، وبالنسبة إلى حفظ القرآن وهو منفعة كبرى؛ يجب علينا كآباء ومربين أن نجعل أطفالنا يحفظونه في جو من السعادة والحب والتشجيع، وهكذا يتحقق هدف الآباء (بفعل شيء نافع) وفي الوقت نفسه يتحقق هدف الأبناء (ويقضون وقتهم في المرح والسعادة)، ويخرج الجميع في النهاية فائزًا سعيدًا..

وهذه باقة من الأفكار العملية الواقعية تجعل طفلك يحفظ القرآن وهو سعيد وفرحان..

١- ذوو الاحتياجات الخاصة كيف يحفظون القرآن؟



ابني الأكبر من ذوي الاحتياجات الخاصة، وطريقته في الكلام مختلفة عن الأطفال العاديين، ولابني أخ وأخت أصغر منه، منذ صغرهم كنت أحرص على اجتماعنا معًا كل يوم جمعة على مائدة سورة الكهف، تحت شعار «هيا للنور الأسبوعي»، كنت أحرص على تلاوة السورة كل يوم جمعة حتى يضيء بيتنا بالنور من الجمعة إلى الجمعة[1]، وكانت هذه الجلسة الأسبوعية القرآنية لا تخلو من الحلوى والفاكهة والأكلات الجميلة المفرحة، وكان زوجي يساعدنا على أن يكون لقاء نورانيًّا مليئًا بالحب والسعادة، وكنت أقول لأبنائي الصغار: لا تعلقوا على طريقة أخيكم في التلاوة ولا تسخروا منه حتى لا يتأثر نفسيًّا، وكنت أوصي نفسي بالصبر على الكبير وترديد الآيات له ليقرأ خلفي، ومن هذا اللقاء الأسبوعي بدأت رحلة المحبة بين أبنائي والقرآن الكريم، ومع الأيام حفظ ابني الكبير القرآن الكريم كاملاً، نعم حفظ صاحب الاحتياجات الخاصة كتاب الله تعالى، وبسببه امتلأ بيتنا بالبركة، وحفظ إخوته الأصغر القرآن الكريم كاملًا وأتقنوه بأكثر من قراءة... والحمد لله رب العالمين.

٢- يا بني.. احفظ أكثر.. تلعب أكثر

في أيام الدراسة ومع الذهاب إلى المدرسة والدروس وكثرة الواجبات المدرسية، يشعر ابني الصغير أن حفظ القرآن يمنعه من الراحة واللعب، كان وقت حفظ القرآن وحثه عليه متعبًا جدًّا لي وله، كثيرًا ما فكرت في وقف الحفظ أيام

(١) قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة. أضاء له من النور ما بين الجمعتين» صحيح الجامع للألباني ح ر ٦٤٧٠

الدراسة، لكنني ما ألبث أن أعدل عن هذه الفكرة، لكنني أعود فأشفق على طفلي الصغير، وبعد طول دعاء وتفكير وتشاور مع زوجي وسؤال الخبراء؛ ألهمني الله تعالى بفكرة جميلة، فناديت على ابني وقلت له: من اليوم سيكون حفظ القرآن هو أسعد شيء في حياتك، فسألني مستغربًا: كيف ذلك؟

فقلت له: من اليوم كل آية تحفظها لك بها ربع ساعة من اللعب الذي تحبه، هذا الوقت من اللعب طبعًا فوق الوقت المسموح لك به يوميًّا، وحينها لمعت عينا الطفل الصغير بالفرحة والسعادة، واحتضنني مسرورًا، وبفضل الله تعالى كانت تلك الفكرة مفتاحًا لسعادة طفلي وسعادتي، وأصبح كلما أراد أن يلعب أكثر يحفظ أكثر..



٣- ساعة الحفظ لم تعد في بيتنا معركة

يقول أحد الآباء:

لقد وضعت مع أبنائي نظامًا جميلاً لحفظ القرآن الكريم..

لقد وضعت «أسعارًا» لكل سورة يحفظها أبنائي..

- ✍ قصار السور في جزء (عم) من يحفظ سورة منها له (١ جنيه).
- ✍ السور المتوسطة من جزء (عم) من يحفظ سورة منها يأخذ (٥ جنيهات).
- ✍ السور الأطول في أجزاء (تبارك وقد سمع) من يحفظ واحدة منها فله (٢٠ جنيهًا).
- ✍ السور الأكثر طولاً من يحفظ واحدة منها قله (٥٠ جنيهًا).
- ✍ السور الطوال في القرآن من يحفظ إحداها قله (١٠٠ جنيه).
- ✍ ومن ختم جزءًا كاملاً فله مكافأة كبرى.

فعلت هذا مع أبنائي منذ سنوات، واليوم بفضل الله تعالى لي أربعة من الأبناء كلهم قد حفظ القرآن الكريم كاملاً، ولله الفضل والمنة.

يقول أحد الآباء:

حتى أشجع أبنائي وبناتي على حفظ القرآن ومراجعته بحب وسعادة؛ اتفقت معهم على أن من يرغب في أن يسمعني أي سورة من القرآن الكريم - مما يحفظه - ويثبت جودة حفظه، فله على كل سورة (من السور التي حفظها منذ مدة في الماضي) ربع جنيه (٢٥ قرشًا)، وذلك في أي وقت من اليوم، ومن حقه أن يسمع أي عدد يختاره من السور، كما يمكنه أن يسمع لي السورة نفسها في نفس اليوم أكثر من مرة، ولكل مرة مكافأة مستقلة، أما إذا أسمعني سورة حديثة الحفظ ووجدته متقنًا للفظ؛ فله عليها مكافأة قيمتها جنيهان... وهكذا أصبح من يحتاج من أبنائي إلى نقود يأتي ليسمعني سورة مما يحفظ، وأنا طبعًا أتلقاه - في كل الأوقات المناسبة ومهما تعددت المرات - بكل فرحة وسعادة، وأعطيه ما يستحق من مدح ومال..

سؤال: هل ينفع التسميع عبر الهاتف عن بعد؟ فكلما رغب الولد في تسميع سورة اتصل بوالده ليسمعها له؟

إن منهج المكافأة المادية على حفظ القرآن الكريمة والحديث الشريف فكرة تربوية طبقها سلفنا الصالح؛ قال إبراهيم بن أدهم: قال لي أبي: يا بني اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا و حفظته فلك درهم ، فطلبت الحديث على هذا[1]

وذكر الذهبي في السِّيَر، عن زيد بن الحارث أنه كان مؤذنًا، وكان يقول للصبيان: تعالوا فصلوا، أهب لكم جوزًا، فكانوا يصلون ثم يحيطون به ليعطيهم مكافآتهم، فقيل له في ذلك (عاب الناس عليه ما يفعل) فقال: وما

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، ص ١٠

علي أن أشتري لهم جوزًا بخمسة دراهم، ويتعودون الصلاة[١]

٤- كيف يختم ابنك القرآن على الدراجة؟



كل الآباء يريدون لأبنائهم أن يحفظوا القرآن الكريم، ويسلكون في سبيل ذلك طرقًا شتى، ومن شدة حرص الوالدين على حفظ أبنائهم لكتاب الله، قد يلجئون إلى الضرب والتعنيف، لدرجة قد يهرب معها الطفل من مكتب التحفيظ ويكره الشيخ الذي يحفظ معه، حتى وإن حفظ بتلك الطريقة فإنه سريعًا ما ينسى، لأنه لم يحفظ بحب، والسؤال الآن: ماذا تفعل حتى يحفظ ابنك القرآن وهو فرحان؟

يقول أحد الآباء: كان ابني كثيرًا ما يتهرب من الذهاب إلى مكتب تحفيظ القرآن بسبب غلظة الشيخ، وطبعًا كان الشيخ يضربه كثيرًا لأنه لا يحفظ، وبدلاً من الشيخ جربت معه خمسة شيوخ، كل هذا بلا نتيجة، والهروب من الحفظ يزداد يومًا بعد يوم، فهداني الله تعالى لفكرة مبدعة والحمد لله، فاشتريت دراجتين واحدة له والأخرى لي، واتفقنا على أن نخرج يوميًّا لمدة ساعة معًا كل على دراجته لنسير بين الحقول، وفي تلك الساعة بدأنا نحفظ القرآن معًا، والله خلال سنتين حفظ ابني القرآن الكريم كاملاً...

٥- مشروع صيفي وفيه مكسب قرآني

في بداية الإجازة الصيفية أخبرني ابني ذو العشر سنوات أنه يريد أن يخرج للعمل مع زملائه، وهذا الأمر أسعدني جدًّا، لكنني كنت أتمنى أن يلتحق بمكتب تحفيظ القرآن ليواصل الحفظ، وأصبحت بين خيارين: إما حفظ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٧

القرآن وإما العمل، وجلست مع ابني وزوجتي نفكر في الأمر، تحدثنا حول طبيعة الأعمال التي يمكن الاختيار منها، فوجدناها جميعًا تستوعب معظم الوقت ولن يتمكن ابني معها من حفظ شيء، ومع الحوار هداني الله تعالى لفكرة يجمع ابني من خلالها بين خيري الحفظ والعمل، فقلت لابني: «عندي لك اقتراح جميل، ما رأيك أن تنتظم في الحفظ وفي الوقت نفسه تعمل مثل الرجال من زملائك»، فقال: كيف؟

فقلت له: «سأحضر لك كمية من سوائل ومساحيق التنظيف تتاجر فيها وتبيعها على جيراننا، وهكذا لا يضيع منك حفظ للقرآن، واعلم يا بني أن الرزق مقسوم، بل إن الله تعالى الذي ستحرص على حفظ كتابه سيكرمك وسيوسع لك في رزقك»، وأقتنع ابني بالفكرة، ومضينا في تنفيذها، كنت أراقبه وأشجعه وأرشده وأكافئه، وفي نهاية الإجازة الصيفية جلسنا معًا، فقلت له: «لترى مدى نجاح مشروعك الصيفي، احسب ما ربحت من تجارتك، واسأل أصدقاءك عما جنوه من نقود خلال عملهم الصيفي».

فذهب ابني وغاب كثيرًا وعاد فرحًا مسرورًا، فلقد تفاجأ أن ما ربحه يساوي ما ربحه كل واحد من أصدقائه، لكنه زاد عنهم بحفظ القرآن، فالحمد لله منزل الكتاب ومقسم الأرزاق العزيز الوهاب.

٦- كيف يحفظ ابنك القرآن وهو يلعب على الكمبيوتر؟

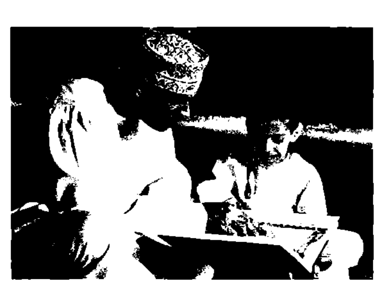
يقول أحد الآباء:

اكتشفت أن ابني الحبيب - حفظه الله - يحب ألعاب الكمبيوتر بصورة مفزعة، بدأت تلك العلاقة بينهما عندما بلغ من العمر ثلاثة أعوام، وكنا حينها نحفظ القرآن معًا، واكتشفت أنه يحفظ معي ثلث أو نصف ساعة بصعوبة، بينما يجلس مع صديقه الكمبيوتر ثلاث ساعات، فقلت: لماذا يأخذه الكمبيوتر

مني، سأجلس مع صديقه هذا لأعرف كيف يأخذه مني، وبالفعل جلسنا نلعب معًا، وهنا هداني الله لفكرة مبدعة، فقد جربت أن أغلق صوت اللعبة التي نلعبها وأجعل صوت الشيخ الحُصري - رحمه الله - في الخلفية يقرأ السورة التي نحفظ فيها، ونجحت الفكرة كثيرًا، بدأت تلك الفكرة منذ ثلاث سنوات وحتى يومنا هذا، وجربها غيري وآتت بثمار طيبة، وشكرًا لصديقنا الكمبيوتر.

٧- يا فرحتي.. فالمعلم أبي

عندما كنت صغيرة كان أبي - رحمه الله - محبًّا للقرآن وأهله، ولكي يشجعنا على الحفظ كان يجمعني أنا وإخوتي وأولاد الجيران ويقرأ لنا القرآن ويحفظنا إياه، لم يكن يضربنا أبدًا، فقد كان يعتمد فقط على التشجيع الإيجابي، فمن كان يحفظ كان يحصل من أبي على الهدايا والمكافآت، وكان أبي يقول: من يحفظ ما أريد سيطلب هو الهدية التي يريد، وأحيانًا كان يشتري الهدايا مقدمًا.



فيقول لنا: كل واحد يقول لي ماذا يتمنى أن أشتريه له، ويسمع أمنياتنا جميعًا، ثم يذهب ليشتريها جميعًا إذ كان سخيًّا جدًّا مع حافظ القرآن، كان أبي يعود من السوق حاملًا كل ما تمنيناه، ثم يضعه أمامنا ويقول: هذه لفلان، وهذه لفلانة.. سأعطيكم إياها بشرط واحد هو حفظ سورة كذا... مرت سنوات وسنوات، وسكنت محبة القرآن في قلبي بسبب أفعال أبي الطيبة، وبفضل الله تعالى ثم أبي أعمل اليوم محفظة قرآن، وأطبق مع طالباتي أفكار أبي نفسها - رحمه الله تعالى - وتعطي نتائج رائعة..

٨- الحواديت كيف تشجع طفلك على الحفظ؟

يقول أحد الآباء:

عندما أتم طفلي الحبيب سنواته الأربع، التحق بمكتب تحفيظ القرآن، ولكي أشجعه وأشعره بحلاوة القرآن ولذة حفظه؛ كنت في كل ليلة أحكي له حدوتة قبل النوم، لم تكن حدوتة عادية، إذ كانت تدور حول فرحان الذي يحفظ القرآن، وفرحان هذا ولد مضحك ومشاغب لا يحفظ أبدًا، ويكون دور ابني أثناء الحدوتة أن يصحح ما يقع فيه فرحان من أخطاء التلاوة، وفرحان كل يوم يحفظ ما أخذه ابني في الكتاب، وفي كل يوم كنت أترك لطفلي الحبيب فرصة أن يختار اسم الشيخ الذي سيذهب إليه فرحان اليوم، كان هدف الحدوتة مراجعة ما حفظه ابني ذلك اليوم في جوّ مرح جميل، كانت الحدوتة تبدأ بقول فرحان في دلع ومرح: أنا فرحان (فلحان)، يحفظ قرآن (قلآن)، كريم، عند الشيخ (ما يختاره ابني من أسماء مضحكة)، وتبدأ الحكاية وتستغرق تقريبًا ربع الساعة، يراجع خلالها طفلي الحبيب مع فرحان ما حفظه ويصحح له أخطاءه، بل ربما يحفظ مع فرحان آيات جديدة... لقد طبقت تلك الفكرة مع ابني لمدة عامين دون انقطاع، ولما كبرت سنه بدأت أفكر في طرق جديدة تناسب مرحلته العمرية وتشجعه على حفظ القرآن بفرح وسعادة..

٩- المرأة المبدعة.. حفظ القرآن أبناؤها الأربعة

يقول أحد معلمي القرآن في أحد المساجد:

أتاني ولد صغير يريد التسجيل في الحلقة ، فقلت له: هل تحفظ شيئًا من القرآن؟

فقال: نعم.

فقلت له: اقرأ من جزء عم، فقرأ.

فقلت: هل تحفظ سورة تبارك؟

قال: نعم.

فتعجبت من حفظه برغم صغر سنه.

فسألته عن سورة النحل؟

فإذا به يحفظها فزاد ذلك تعجبي.

فأردت أن أعطيه من السور الطوال فقلت: هل تحفظ البقرة؟

فأجابني بنعم وإذا به يقرأ ولا يخطئ

فقلت: يا بني هل تحفظ القرآن؟؟؟

فقال: نعم!!

سبحان الله وما شاء الله تبارك الله.

طلبت منه أن يأتي غدًا ويحضر ولي أمره.

وأخذت أفكر: كيف يمكن أن يكون ذلك الأب؟ لا بد وأنه عالم جليل أو معلم خبير...

فكانت المفاجأة الكبرى حينما حضر الأب، ليس في مظهره ما يدل على التزامه بالسنة... فبادرني الرجل قائلاً: أعلم أنك متعجب من أنني والده، ولكني سأريحك وأخبرك الحكاية، إن وراء هذا الولد امرأة بألف رجل، وأبشرك أن لدي في البيت ثلاثة أبناء كلهم حفظة للقرآن، وأن ابنتي الصغيرة تبلغ من العمر أربع سنوات تحفظ جزء عم... فتعجبت وقلت: كيف ذلك!!!

فقال لي: إن أمهم عندما يبدأ الطفل في الكلام؛ ومع حروفه وكلماته

الأولى؛ تبدأ معه بحفظ القرآن وتشجعهم على ذلك، فمن يحفظ أولاً هو من يختار وجبة العشاء في تلك الليلة، ومن يراجع أولاً هو من يختار أين نذهب في عطلة الأسبوع، ومن يختم أولاً هو من يختار أين نسافر في الإجازة، وعلى هذه الحالة تخلق بينهم التنافس في الحفظ والمراجعة.

هذه هي المرأة التي أوصى الرسول ﷺ باختيارها زوجة من دون النساء، وترك ذات المال والجمال والحسب، فصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، وجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1]

ملاحظة تربوية:

فكرة هذه الأم جميلة، لكنها تخلق نوعًا من التنافس بين الأبناء وهذا جيد وخطر في الوقت نفسه، جيد لأنه سيشجعه على الحفظ، وخطر في أنه قد يخلق العداوات بينهم ويظلم الابن صاحب مقدرة الحفظ الضعيفة أو المتوسطة، ويمكن تعديل هذه الفكرة المبدعة لتكون كالتالي: أول من يحفظ يختار ماذا سنأكل في العشاء، والثاني: يختار المشروبات، والثالث يختار لعبة نلعبها.. ومن يراجع أولاً يختار أين نذهب في عطلة نهاية الأسبوع، والثاني يكون مسئولاً عن البرنامج، والثالث يكون مسئولًا عن الميزانية.. ومن يختم أولاً هو من يختار أين نسافر في الإجازة، ومن يختم ثانيًا يختار أين نذهب في إجازة ثانية، ومن يختم بعده يختار أين نذهب في إجازة ثالثة... وهكذا نشجع جميع الأبناء ويكون الكل فائزين.. وهناك طريقة أخرى جميلة تجعل الجميع سعداء بنجاح من يختم وشركاء في نجاحه، عندما يختم أحدهم نقيم حفلاً للجميع وليس لمن ختم وفقط، ونحضر هدية كبرى لمن ختم وهدايا أخرى قيمة لإخوته، وهنا سيسأل الأبناء: لماذا جئتم لنا بالهدايا؟ وهنا سنقول لهم: لأنكم شركاء في

(١) رواه البخاري.

نجاح أخيكم وختامه للقرآن، وحفظه للقرآن في رصيد حسناتنا كعائلة، فقد أخذنا من وقتكم وجلسنا معه ليحفظ، وأخذنا من أموالكم وأنفقنا عليه، وأنتم ساعدتموه على الحفظ بكذا وكذا وكذا... فأنتم شركاء في نجاحه... هكذا تزول الغيرة، ولماذا أغار من أخي ونجاحه يعود بالمنفعة عليه أولاً ثم على جميع إخوته؟

١٠- يحفظ القرآن.. مخلوطًا بالحنان

تقول إحدى الأمهات:



أتذكر عندما كنت طفلة صغيرة أن أبي كان يأخذني في حضنه ويحفظني آية الكرسي وبعض قصار السور، كنت ساعتها أحفظ القرآن مخلوطًا بالحنان، كنت دومًا في شوق لحضن أبي الحاني، وكنت أحفظ حينها ما يردده معي من آيات وسور بحب وسعادة، وكان أبي يجمعني أنا وإخوتي ويحكي لنا قصص القرآن ويقرأ لنا الآيات ويشجعنا على حفظها، كان كثيرًا ما يحكي لنا قصة سيدنا يوسف ويعلق على آياتها بلطف وشرح بسيط، ولا أنسى شرح أبي لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾. إذن نحن لسنا بصادقين..

حدث هذا منذ سنوات، وكبرت وتزوجت ورزقني الله تعالى بالذرية، ورحل أبي عن الحياة، وكلما قرأت آية الكرسي وقصار السور تذكرت أبي رحمه الله، وكلما سمعت قصة سيدنا يوسف فكأنني جالسة بين يدي أبي أسمعها منه، وعندها تفيض عيني بالدمع ولا يتوقف لساني عن الدعاء لهذا الأب الحاني..

وهنا يقول أحد الآباء:

كان ابني يتعبني كثيرًا في حفظ القرآن الكريم، وبدأ يكره وقت مراجعتي معه، لأنني كنت فظًّا وغليظًّا في التسميع له، أنهره إذا أخطأ وأعاتبه إذا توقف، في كل مرة كنت أمسك بالمصحف ويجلس هو أمامي ليسمع ما حفظ؛ كان يبدو خائفًا وكنت أرى في عينيه حزنًا عجيبًا، ورويدًا رويدًا بدأ يتهرب مني بادعاء المرض أحيانًا وبالنوم أحيانًا أخرى، وكأنه بدأ يتمنى ألا يراني... هكذا بدأ ابني يبتعد عني كما بدأ يبتعد عن كتاب الله تعالى، وكنت أنا السبب، فالحفظ بغلظة والتسميع بقسوة هو ما أوصل طفلي الحبيب إلى هذه الحالة... وهنا قررت أن أتغير...

في اليوم التالي ناديت على طفلي الحبيب، فجاءني خائفًا، فقلت له: من اليوم سنبدأ التسميع بلعبة جميلة.. سنلعب لعبة مصارعة الذراعين (الرست)، فنمسك يد بعضنا ونثبتها في الوضع القائم، ويحاول كل منا إنزال يد الآخر على الأرض)، وأريته الطريقة عمليا..وقلت له من يغلب وينزل يد الآخر، هو من يسمّع القرآن، ولقد فرح المسكين بتلك الفكرة لكن على حذر، فرصيد التجربة بيننا لا يوحي بخير.. لكنني كنت عند كلمتي، وتوقفت عن ضربه وتوبيخه تمامًا أثناء التسميع، وكنا نبدأ بلعبة (الرست)، وكنت أحاول جعله يربح حتى يسمع لي ما حفظ، وكان هو يحاول جعلي أكسب حتى لا يسمّع، ومع مزيد من الألعاب والأفكار هداه الله وبدأ يستمتع بحفظ القرآن، لأن وقت تسميعه وحفظه أصبح ممتعًا.

١١- كيف يصبح مشاهير القراء.. قدوة للأبناء؟

التعلق بأهل القرآن وقرّائه خير كثير، ومن لم يعرف أهل الحق عرف أهل الباطل، ولعلّ السبب في تعلق بعض شبابنا بالمغنين واللاعبين والممثلين سببه

أنهم لم يعرفوا غيرهم، لم ينشئوا في بيوت محبة للذكر مستمعة للخير، فماذا يفعل طفل فتح عينيه فرأى أمه تسمع أغنية وأبوه يتابع مباراة وفقط؟ وماذا تتوقع من طفل فتح عينيه فرأى أمه تسمع قارئًا للقرآن وأبوه يستمع لشيخ من الشيوخ؟...



وهنا يقول أحد الآباء (وهو طبيب ومقرئ):

كان أبي -رحمه الله- محبًا للقرآن وأهله، وكانت إذاعة القرآن الكريم لا تتوقف عن القراءة في بيتنا، وكان أبي مبدعًا في جعلنا نتعرف على المقرئين ونحبهم، فكان - رحمه الله- قبيل الفجر يوقظنا بطريقة مبدعة رائعة، كان يشغل الراديو على إذاعة القرآن الكريم ويوقظنا وهو يقول لنا: من سيعرف هذا القارئ من هو من أول مرة فله جنيه (وهذا مبلغ يومها كبير جدًا)، فكنا نتنافس في التعرف على الشيخ القارئ، هل هو عبدالباسط أم الحصري أم المنشاوي أم غيرهم؟ فهذا يقول فلان والآخر يقول: لا إنه فلان، ونتنافس حتى يعرف أحدنا من الشيخ، وهنا يكون النوم قد ذهب عنا ونذهب إلى صلاة الفجر، وكان أبي صادقًا في وعده كريمًا في فعله، وبهذه الطريقة حقق أبي هدفين جميلين: أولهما أنه بهذه الطريقة كان يشجعنا على صلاة الفجر، وثانيهما أنه جعلنا نحب قراء القرآن ونتعلق بهم ونعرفهم أكثر وأكثر، إلى أن أصبحنا من أهل القرآن ومحبيه نسأل الله القبول..

١٢- التسجيل.. كيف يزيد حفظ الصغير؟

سجل صوت الطفل وهو يقرأ القرآن، فهذا التسجيل يحثه ويشجعه على متابعة طريقه في الحفظ، بل حتى إذا ما نسي آية أو سورة فإن سماعه لصوته يشعره أنه قادر على حفظها مرة أخرى، ومن خلال التسجيل يكتشف أخطاءه

في التجويد ونطق الحروف، ويمكنك أن تقارن بين تسجيله وتسجيل أحد كبار القراء ليتعرف على طريقة القراءة الصحيحة، بل يمكنك أن تخبره أنه في المستقبل ربما يسجل القرآن بصوته ليسمعه العالم كله...

وفي عمر العام والعامين والثلاثة، يكون تسجيل القرآن بصوت الأم للطفل جميل جدًا، فالطفل في هذه المرحلة متعلق جدًا بأمه، ويحب القرب منها، وعندما تنشغل في المطبخ سيستأنس بصوتها وهو يستمع تلاوتها لقصار السور..

ومع الأطفال الأكبر سنًّا فإن الفكرة قد تنجح جدًّا، وهنا يحكي لي أحد الأصدقاء أنه ذهب يوم لتعزية شيخ المسجد في وفاة والده، وكان من عادة أهل هذا البلد أن يشغلوا القرآن الكريم أثناء العزاء، ويتم هذا الأمر طوال أيام العزاء الثلاثة، كان صوت الشيخ الذي ينبعث من المسجل عذبًا ونديًا وجميلاً، وكم تأثرت بطريقته في التلاوة، والأمر نفسه حدث مع أكثر من واحد... ومرت الأيام، وقابلت شيخ المسجد فقلت له: في عزاء والدك سمعتكم تشغلون أشرطة لأحد القراء وقد تأثرت به كثيرًا، فمن هذا القارئ؟

دمعت عينا الشيخ وقال: إنه والدي، نعم إنه صوت الرجل الذي كنتم تحضرون عزاءه، فهو ميت والناس يستمعون لتلاوته أثناء العزاء... ثم قال: إن لهذه الأشرطة قصة طويلة..

عندما كنت صغيرًا، كان معلم القرآن بالنسبة إلي هي مجموعة أشرطة سجل عليها أبي القرآن الكريم كاملاً بصوته الجميل، نعم قام أبي على مدار سنوات بتسجيل القرآن الكريم كاملاً بصوته وتجويده الجيد، ولقد حفظت القرآن الكريم كاملاً بواسطة أشرطة أبي التي سجّلها من أجلي، ولأنني أحببت القرآن فقد التحقت بالأزهر الشريف، وأعمل اليوم إمامًا وخطيبًا.. ومرت

الأيام، وجاء اليوم الذي غادر أبي فيه الحياة، ووجدت أن أفضل قارئ يقرأ طوال أيام العزاء هو أبي عن طريق أشرطته الرائعة التي لم يسمعها طوال سنوات أحد غيري، لقد جاء الوقت الذي يسمعك فيه الناس يا أبي، رحمك الله فقد تركت لي خير ميراث، وأنا سأحكي قصتك هذه لأبنائي، وسأجعلهم يحفظون القرآن على صوتك كما فعلت معي..



١٣- لا تحرم طفلك من جائزة التعتعة

روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران»، وفي رواية: والذي يقرأ وهو يشتد عليه له أجران.

قال النووي رحمه الله: والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف، ولا تشق عليه القراءة؛ بجودة حفظه وإتقانه... وأما الذي يتتعتع في القرآن: فهو الذي يتردد في تلاوته؛ لضعف حفظه؛ فله أجران؛ أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمراد بالمهارة بالقرآن جودة الحفظ وجودة التلاوة من غير تردد فيه؛ لكونه يسره الله تعالى عليه كما يسره على الملائكة، فكان مثلها في الحفظ والدرجة[2].

والماهر بالقرآن في الآخرة مع السفرة الكرام البررة، وهم الملائكة الذين بأيديهم اللوح المحفوظ، فحامل القرآن في الدنيا له في الجنة منازل مع حملة

(١) قال العلماء: وهذا ليس معناه الذي يتتعتع في القرآن له من الأجر أكثر من الماهر به؛ بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا؛ لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة، ولم تذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق بمن مهر بالقرآن من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته... صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٨٤، ٨٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١٣ / ٥١٨، ٥١٩).

اللوح المحفوظ، والماهر بالقرآن رفيق للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم... ويا له من شرف أن تكون مع من قال الله فيهم: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣- ١٦].

وهكذا يتّضح من آراء العلماء: أن المقصود بالمهارة بالقرآن هي المهارة في حفظه وتلاوته، كما أن المقصود بالتعتعة عدم إتقان الحفظ وصعوبة التلاوة...

كيف تعطي لطفلك جائزة التعتعة؟

في بعض الدول يقيمون دورات مكثفة لحفظ القرآن الكريم، تكون مدتها حوالي عشرين يومًا، وفي كل يوم يبدأ البرنامج بصلاة الفجر في المسجد، ثم يجلس الطلاب ليحفظوا في رحاب بيت الله، ثم يذهبون لاستراحة بين الظهر والعصر، ثم يعودون إلى المسجد في صلاة العصر ليحفظوا حتى المغرب، ثم استراحة بين المغرب والعشاء، ثم يعودون للحفظ، يليه النوم... وهكذا، وخلال الدورة يلتقي الطلاب بقراء كبار ويتعلمون التجويد وغيره... ولتلك الدورات المكثفة نتائج رائعة، فمن الأولاد من يحفظ عشرة أجزاء، ومنهم من يحفظ عشرين جزءًا، ومنهم من يحفظ خمسة أجزاء، لا يشترط كمًّا معينًا كل يحفظ حسب طاقته، فقط يبذل الجهد ويلتزم بالبرنامج..

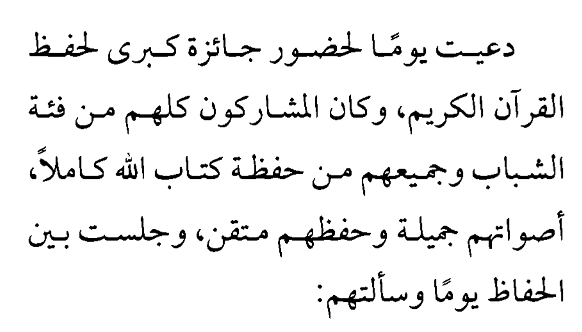
وفي إحدى تلك الدورات حدثت قصة عجيبة، كان حمد من الطلبة المجتهدين جدًّا، لم يكن يخرج وقت الاستراحة، فبعد الظهر تراه في المسجد جالسًا ليحفظ، المصحف لا يفارق يده، ردد القرآن أينما ذهب، ومرت العشرون يومًا وجاء يوم الحصاد، وجاء القائمون على الدورة ليسمعوا للطلاب ما حفظوا، فوجدوا من حفظ عشرة أجزاء، ومنهم من حفظ سبعة، ومن بينهم من حفظ خمسة عشر جزءًا... وجاء دور حمد، وكانت المفاجأة أنه لم

يحفظ غير وجه واحد من المصحف، كل هذا المجهود وهذا الإصرار وتلك العزيمة كانت نتيجتها وجهًا واحدًا، هذه هي قدرات حمد لم يستطع حفظ ما هو أكثر..

وجاء حفل توزيع الجوائز، وحصل كل على الجائزة التي تناسب حفظه، وفي الحفل حدثت مفاجأة عجيبة، لقد كانت الجائزة الكبرى من نصيب حمد، صاحب الوجه الواحد، وصفق الجميع ابتهاجًا أثناء تسلمه للجائزة، لقد حصل عليها بإجماع المحكمين ورضا المشاركين، لقد حصل حمد على جائزة بذل الجهد، فعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، والعبرة بالقبول بين يدي الله تعالى..

١٤- حفظ القرآن عن طريق العمل به





دعيت يومًا لحضور جائزة كبرى لحفظ القرآن الكريم، وكان المشاركون كلهم من فئة الشباب وجميعهم من حفظة كتاب الله كاملاً، أصواتهم جميلة وحفظهم متقن، وجلست بين الحفاظ يومًا وسألتهم:

كل واحد منكم يخبرني ما هي الآية التي يحسب نفسه من أهلها؟ بمعنى ما هي الآية التي يعمل بها حق العمل؟

فلم يتكلم أحد..

فسألت: ما هو الدعاء القرآني الذي تحب أن تردده دومًا؟

فلم يتكلم سوى واحد أو اثنين..

فقلت: عندما تقوم الليل ما الآيات التي تحب أن تقرأ بها في الصلاة؟

فسكت الجميع..

فسألت: في وقت الغم والحزن ما الآيات التي تقرؤها؟ وفي وقت الفرح ما الآيات التي تتذكرها؟

وأجابني ثلاثة والباقي سكوت..

فقلت لهم: كيف غيَّر القرآن حياتكم؟ كيف كانت أخلاقكم معاملاتكم قبل الحفظ؟ وكيف هي الآن بعده؟

ما أكثر الآيات التي أثرت في حياتك؟

ما أكثر السور قربًا إلى قلبك؟

مع كل سؤال كان القليل جدًّا منهم هو من يتكلم، والباقي يكتفون بالصمت لأنه ليست لديهم إجابة...

في الختام قلت لهم: إذًا من أنتم؟

قالوا: نحن حفظة، بأي قراءة، وبأي رواية نقرأ لك؟

فقلت حزينًا: أنا لا أريد شريط تسجيل أو c.d، أنا فقط أريد قرآنًا يمشي بيننا لا نسمعه فقط بآذاننا، فالنبي سمع القرآن وحفظه وبلّغه وتخلق به، فكان قرآنًا يمشي بين الناس...

إننا عندما نتأمل حال الأمة الإسلامية، نجد أن عدد الحفاظ في ازدياد، وعدد العاملين به قليل، وعدد جمعيات التحفظ والكتاتيب كثيرة بفضل الله، لكن مراكز التخلق بالقرآن وتدريب الصغار على العمل به قليلة، ولذلك فإن أزمة أمتنا اليوم في العمل بالقرآن وليس في حفظه..

وعندما نتأمل حال آباء وأمهات حفاظ كتاب الله تعالى، نجد أنهم يبذلون الغالي والنفيس والوقت والجهد ليحفظ أبناؤهم القرآن الكريم، طلبًا للمثوبة والتكريم يوم القيامة، لكنهم لا ينتبهون أن تكريم آباء وأمهات الحفاظ يوم القيامة له شرط أساسي وهو عمل هؤلاء الأبناء بما حفظوه.

روى الحاكم عن النبي أنه قال: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به؛ ألبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسبنا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[1]

وفي حديث آخر: «بتعليم ولدكما القرآن»[2]

وإليكم هذه القصة..

كان هناك ولد يعيش مع والدته في قرية صغيرة، وأرادت الأم أن يحفظ ولدها القرآن فبحثت له عن شيخ في قريتهم فلم تجد، وعلمت أن في القرية المجاورة التي تبعد مسيرة ثلاثة أيام شيخًا جليلاً يجلس الأولاد عنده إقامة كاملة ليحفظوا كتاب الله تعالى، فأمرت لولدها أن يذهب إلى القرية المجاورة ليحفظ القرآن وقالت لولدها ألا يعود إلى المنزل حتى يحفظ القرآن، وودعت الأم والدها الحبيب، ومضى الغلام إلى القرية المجاورة وذهب إلى المسجد فقابل الشيخ وقال له: أريد أن أحفظ القرآن عندك.

فقال له الشيخ: العدد مكتمل وليس لك مكان.

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الترغيب ح ر ١٤٣٤

(٢) قال رسول الله ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك، وأظمئ هواجرك، وإن كان تاجرًا من و راء تجارته، و أنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان يا رب! أنى لنا هذا؟ فيقال بتعليم ولدكما القرآن» السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٢٨٢٩

فقال الغلام: ستحزن أمي كثيرًا.

فقال الشيخ: هناك حلان تختار أحدهما، إما أن تتربص.

قال الغلام: وما معنى أتربص؟

قال: تنتظر عندنا تخدم الطلاب وتنظف خلف الحيوانات وتسقيها حتى ينهي أحد الطلاب الحفظ وتحل مكانه.

قال الغلام: وما الحل الثاني؟

قال الشيخ: تحضر دينارًا ذهبيًا.

فقال الغلام: أنا وأمي وأهل قريتي لم نر دينار الذهب فكيف أحضره؟!

اعتذر له الشيخ، فانطلق الغلام حزينًا إلى قريته، وفي الطريق أصابه التعب فاستلقى تحت إحدى الأشجار ونام، فرأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له عليه السلام: «عد إلى الشيخ وقل له رسول الله يقول لك أن تحفظني القرآن».

فقال الغلام: لن يصدقني، أريد علامة (أمارة) أخبره بها ليصدق ما رأيت...

فقال له ﷺ: قل له.. «زمرًا زمرًا».

فاستيقظ الغلام وعاد من فوره إلى الشيخ ودق عليه باب داره..

فتح الشيخ الباب وقال للغلام: هل أحضرت الدينار الذهبي؟

قال الغلام: لا، ولكني رأيت النبي ﷺ في المنام وهو يقول لك: حفظني القرآن... وعلامة ذلك.. زمرًا زمرًا..

أقبل الشيخ على الغلام يقبله، وأدخله بيته وأكرمه وقال له: من الغد أعلمك.

فقال الغلام: لن أتعلم شيئًا حتى تخبرني بحكاية: زمرًا زمرًا..

فقال الشيخ: لقد رأيت رؤيا منذ سنوات، ورأيت الرسول ﷺ فسألته ما جزاء حفظة القرآن العاملين به؟

فقال ﷺ: «يدخلون الجنة زمرًا زمرًا».

كيف يحفظ طفلك القرآن عن طريق العمل؟

خير معين لحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هو العمل بما فيهما، ولقد جرب سلفنا الصالح فكرة الحفظ عن طريق العمل، فيعمل أحدهم بالحديث ويطبق توجيهاته حتى يحفظه، من هؤلاء الشعبي (التابعي الجليل القاضي الشهير) ووكيع (أستاذ الشافعي) فقالوا: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»[1]

وإذا كان المسلم يمتلك القدرة على الحفظ السريع، فعليه أن يتبع الحفظ بالعمل، يقول الإمام أحمد رحمه الله: ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به ، حتى مر بي الحديث: أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة الحجام دينارًا، فاحتجمت وأعطيتُ الحجّام دينارًا[2]

إن حفظ القرآن عن طريق العمل به فكرة إيمانية مبدعة، فمن عمل بآية كان من أهلها ولا يمكن أبدًا أن ينساها، ويمكننا أن نجعل أبناءنا يعملون بمحتوى الآيات التي يحفظونها أولاً بأول، ونساعدهم على ذلك بأن نقدم لهم منهجا متكاملا يشمل الحفظ مع العمل، وفيما يلي مثال لذلك...

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر١/ ١٨٨، ٢/ ١٠ ، واقتضاء العلم العمل للخطيب ص٣٤، ٣٥ رقم٣٨.

(٢) الجامع للخطيب١/ ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٣ وشرح التبصرة للعراقي ٢/ ٢٢٨ وفتح المغيث للسخاوي ٣/ ٢٨٤ ، وعلوم الحديث ص٢٢٣

أسبوع اقتحام العقبة

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد ١١ – ١٨].

عندما يحفظ الطفل هذه الآيات في الكتاب أو في حلقة التحفيظ أو في البيت؛ نشرح له أولاً محتواها، فنقول له:

العقبة: هي عبارة عن جبل في جهنم[(١)]، لا بد وأن نمر عليه جميعًا ونحن متجهون إلى الجنة، ولكي تعبر جبلاً وتتسلقه تحتاج إلى أدوات، أما عقبة الآخرة هذه فنحن نحتاج إلى عدة أشياء حتى نستطيع عبورها بسلام.

١ – نحتاج إلى فك رقبة وهي تحرير عبد من الرق بأن نشتريه من سيده، وهذا بفضل الله تعالى لم يعد موجودًا، فالإسلام جاء وهناك عبيد، وعمل على تحريرهم جميعًا.

٢ – أو إطعام في يوم ذي مسغبة: نطعم الفقراء والمساكين في يوم قليل أكله أو في بيت جياع أهله، أو نطعم أهل بلد عندهم مجاعة.

٣ – يتيمًا ذا مقربة: يتيم من أقاربنا وذوي رحمنا.

٤ – أو مسكينًا ذا متربة: مسكين ذو عيال ومحتاج، أو غريب وفقير، أو المدين المحتاج، أو الضعيف الذي لا أحد له، أو المطروح في الطريق الذي لا بيت له.

---

(١) وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن وقتادة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتحموها بطاعة الله تعالى، وقال كعب الأحبار: (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم. وقال الحسن البصري: (فلا اقتحم العقبة) قال: عقبة في جهنم. وقال قتادة: إنها قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله ﷻ.

٥- ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، فهو مع كل هذه الأفعال الجميلة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند ربه، فهو من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم..

من فعل ذلك كله واتصف بهذه الصفات كان من أصحاب اليمين، الذين ينجيهم الله تعالى من النار، ويدخلهم جنات النعيم...

وأنت يا بني إن فعلت خصلة من خصال الخير هذه وداومت على فعلها وكنت من أهلها؛ أخذت بيدك يوم القيامة حتى تعبر بك العقبة وتدخلك الجنة، قال أبو ذر ﷺ قلت يا رسول الله؛ ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله، قلت: يا نبي الله مع الإيمان عمل؟ قال: أن ترضخ (تعطي وتنفق) مما خولك الله، وترضخ مما رزقك الله، قلت: يا نبي الله فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال: يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر المعروف، ولا ينهى عن المنكر؟ قال: فليعن الأخرق (فليساعد مَنْ لا يُحسن عمله أو صنعتَه). قلت: يا رسول الله: أرأيت، إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: فليعن مظلومًا، قلت: يا نبي الله أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ قال: ما تريد أن تترك لصاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن الناس، قلت: يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة؟ قال: «ما من مؤمن يطلب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة»، وفي رواية: «ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة»[1]

وبعد أن نشرح معاني الآيات لأطفالنا (في البيت أو في المدرسة أو في

(١) صحيح الترغيب للألباني ح ر ٨٧٦، السلسلة الصحيحة ح ر ٢٦٦٩

الروضة أو في الكتاب أو في حلقة التحفيظ)، نقول لهم: سنجعل هذا الشهر (أو هذا الأسبوع) هو شهر اقتحام العقبة، كيف ذلك؟

في الأسبوع الأول: نقتحم العقبة ونعبرها بأن نطعم أهل بيت جياعًا، أو أهل بلد عندهم مجاعة، فمن هؤلاء؟ وكيف نطعمهم؟ هل نجمع منا تبرعات أم نجمعها من أهلنا؟ وكيف نوصل الطعام لهم؟ هل نصنع طبقًا من الطعام أو وجبات جاهزة ونرسلها لهم؟ نتشاور مع الأطفال ونوزع عليهم المهام وننفذ متعاونين، ثم نقيم ما فعلنا في النهاية.

في الأسبوع الثاني: نقتحم العقبة معًا بطريقة إطعام مسكين، فمن هو هذا المسكين وماذا سنطعمه؟ نتشاور مع الأطفال ونصل لقرار ونوزع المهام وننفذ معًا، ثم نسألهم عن مشاعرهم وما حدث معهم في نهاية العمل.

في الأسبوع الثالث: نقتحم العقبة بأن نطعم يتيمًا ذا مقربة، تعالوا نرسم شجرة العائلة، فهذا باب وفروعه، وهذه ماما وفروعها، هل عندنا يتيم في العائلة؟ نبحث حتى نجده، والآن نحن من نحتاجه وليس هو من يحتاجنا، نحن نحتاجه لنعبر العقبة، فماذا سنفعل معه؟ نتحاور ونتشاور وننفذ..

> **أخرج أحمد في الزهد: أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن ابني جمع القرآن (حفظه)، فقال أبو الدرداء: اللهم غفرًا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع..**

في الأسبوع الرابع: نقتحم العقبة بطريقة التواصي بالصبر، نترك وجبة مثلاً ونرسلها للفقراء، نصوم ونفعل ذلك مثلاً، فكرة قطع الحلوى في الروضة والمدرسة وغيرها، وتنفذ بأن تحضر المعلمة علبة مليئة بالحلوى وتقول للأطفال: من أراد واحدة الآن فليأخذ، لكن من سيصبر حتى نهاية اليوم الدراسي سيأخذ اثنتين أو ثلاثًا، والفكرة نفسها تنفذ في البيت

والكتاب وحلقة التحفيظ...

ونقتحم العقبة في الأسبوع نفسه بطريقة التواصي بالمرحمة، كيف نوصي الآخرين بالمرحمة؟ كلمة في الإذاعة، خاطرة في الفصل؟ تبرعات من الأقارب والجيران؟ خدمة عامة لأسبوع في جمعية خيرية؟ زيارة جمعية خيرية مع الأطفال لمعرفة أنشطتها وننطلق لنعرف الزملاء بها، ملصق عن التراحم وفعل الخير نعلقه في العمارة... نتحاور ونختار ما يناسبنا.

نفعل هذا كله ونحن نتذاكر بالإخلاص، ونتذاكر الثواب وندعو الله القبول ونشكره على التوفيق لما يحب ويرضى، ونشكره على ما نحن فيه من نعم، وأننا بفضله اليد العليا ولسنا اليد السفلى.

١٥- كيف تكرم ابنك حامل القرآن؟ كيف نكرم حامل القرآن في المدرسة؟

حافظ القرآن يستحق التوقير والتكريم لقول النبي: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن؛ غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[(١)]

إن من (إجلال الله) من تبجيل الله تعالى وتعظيمه وتكريمه:(إكرام ذي الشيبة المسلم) أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام، بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك، كل هذا مِن كمالِ تعظيم الله، لحرمته عند الله، (وحاملِ القرآن) أي: إكرام قارئه، وحافظه، ومفسره. وسماه حاملاً له لِما يَحمِل لمشاق كثيرة، تزيد على الأحمال الثقيلة، ولحامل القرآن الذي نكرمه شرطان:

أ- (غير الغالي فيه): الغلو هو التشديد ومجاوزة الحد، والغلو في القرآن يكون

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح ر ٢٧٤

بتجاوز الحد في العمل به، وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، وفي حدود قراءته ومخارج حروفه... ومن الغلو أيضًا خيانة ألفاظ القرآن بتحريفه كأكثر العوام... وقيل الغلو: المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى.

ب- (وغير الجافي عنه) أي: وغير المتباعد عنه، المعرض عن تلاوته، وإحكام قراءته، وإتقان معانيه، ومعرفة تفسيره، والعمل بما فيه، والجفاء: أن يتركه بعد ما علمه، لا سيما إذا كان نسيه[١]

ومن هذا المنطلق كان صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - يكرم حاملي القرآن؛ يروى أنه كان يتجول بين العسكر وهو في خضم المعركة فمرّ على طفل صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن، فاستحسن صلاح الدين قراءته؛ فقربه، وجعل له حظًّا من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءًا من مزرعته[٢]

والسؤال الآن. كيف نكرم حامل القرآن (قارئه - حافظه - مفسره وفاهمه - العامل به) في البيت والفصل والروضة والمدرسة؟

هناك عدة أفكار منها:

- أن يكون أكثر الأطفال حفظًا إمامًا للصلاة بشرط أن يتقن الطهور والوضوء ويحسن الصلاة.
- الذي قرأ خلال الأسبوع أكثر هو

---

(١) فائدة: قال طاوس من السنة أن توقر أربعة: العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد (والوالدة)، والمراد بالعالم: هو الجامع بين العلم والعمل، كما هو مستفاد من قوله: (حامل القرآن) القارئ له العالم والعامل به، فإذا كان الأب (أو الأم) شيخًا وحاملاً للقرآن وسلطانًا ظاهريًّا فيزداد إجلاله؛ لأنه يجب تعظيمه من وجوه كثيرة.

(٢) النوادر السلطانية ص ٩

من يمسك ميزانية الأسرة ليوم أو أكثر.

- من يحفظ أكثر يقف على الأولاد في الفصل.
- من يعمل بهذه الآية جيدًا سيكون مساعد المعلمة في الأسبوع المقبل.
- من يحفظ هذه السورة له وجبة فاخرة في المطعم، ولو أنه حامل القرآن بحق يمكن أن يشرك معه إخوته.
- جوائز بسيطة جدًّا لأكثر عشرة أطفال حفظًا في الفصل.
- نأخذ رأي حافظ القرآن.
- نقدمه فيبدأ هو اللعب.
- يختار هو الفريق.

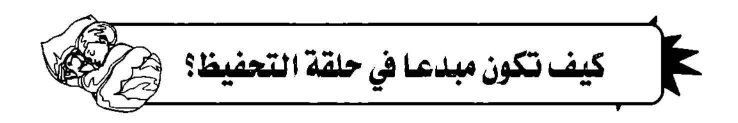
كل هذا مع مراعاة عدم الغيرة بين الأشقاء، فلنبرز مناطق التميز عند كل منهم ولنمدحها ونكافئه عليها، وهناك الكثير من الأفكار التي يمكن أن يبدعها الآباء والمعلمون في حلقات نقاشية خاصة.. والله المستعان..

وصية لأبنائنا وتلامذتنا

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «**من لم يجلس صغيرًا حيث يكره ... لم يجلس كبيرًا حيث يحب**».[1]

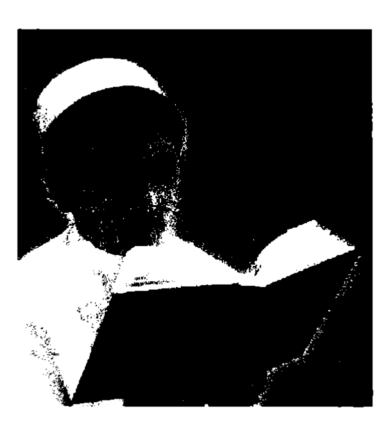
* * *

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢ / ٢٧١



يقول أحد معلمي القرآن:

كنت أعمل مدرسًا للقرآن الكريم في إحدى المدارس، وكنت أعاني من عدم ترديد الأولاد خلف قراءتي خصوصًا في الصفوف الأولى (أولى وثانية وثالث ابتدائي)، حيث يعتمد الحفظ في هذه السن على كثرة الترديد، وكانت معظم الحصص تمر في الزجر والضرب، وفي النهاية أخرج من الفصل متعبًا محبطًا قد أنجزت القليل..



وذات مرة هداني الله تعالى لفكرة جديدة، فقلت للأطفال: لا يردد القرآن خلفي إلا من يسمع صوتي فقط، وقمت بالتلاوة مع خفض صوتي قليلاً، وفوجئت بالفصل بالكامل يردد خلفي، فخفضت صوتي قليلًا أكثر، وبعد عشر مرات تقريبًا كنت أحرك شفتَيّ فقط والأطفال يرددون خلفي، لقد اكتشفت حينها سرًّا جديدًا، إن الأطفال كانوا بحاجة إلى طريقة شيقة وممتعة في الترديد، ولم يكونوا بحاجة إلى رفع صوتي وصراخي فيهم أن رددوا خلفي... وبهذه الطريقة زاد تركيزهم بصورة لم أكن أتوقعها.

يقول مدير جمعية خيرية لتحفيظ القرآن:

كان المعلم منضبطًا جدًّا مع الأولاد في الحفظ، يشجع من يحفظ ويعاقب من يهمل، وكم تسبب العقاب في تغيب الأطفال وهروبهم من الحلقات،

وجلسنا نفكر كثيرًا كيف نجعل الحفظ متعة؟ كيف نجعل الحضور إلى حلقة التحفيظ جميلاً؟

ورزقنا الله تعالى فكرة جميلة، واتفقنا على تطبيقها فورًا، لقد قررنا أن يكون يوم الخميس من كل أسبوع يومًا مفتوحًا بدون حفظ ولا تسميع، في هذا اليوم يأتي كل المشتركين في الحلقة ليسمعوا الحكايات ويلعبوا ويمرحوا في جو مرح جميل، ومع تطبيق تلك الفكرة بدأت نسبة الغياب تقل، وتشجع الأطفال على الحفظ، والعجيب أن نسبة الغياب في كل أيام الأسبوع تكون قليلة، أما في يوم الخميس فليس هناك غائب واحد، إذ كيف يتخلف الطفل عما يحب؟

والآن: نعقد للمعلمين والآباء جلسات العصف الذهني لنفكر معًا: كيف نجعل حفظ الأطفال للقرآن متعة وسعادة؟ كيف نخلط الجد بشيء من المرح؟...

كيف تجعل حلقة التحفيظ مصدرًا لسعادة الصغار؟



اختم ساعة الحفظ بحكاية أو نشيد أو طرفة، ومن الأجمل أن تكون مرتبطة بالآيات التي حفظها الأطفال... وهذا هو منهج سلفنا الصالح؛ فقد روي عن ابن عباس أنه كان إذا أفاض في القرآن والسنن قال لمن عنده: أحمضوا بنا[1]، أي: خوضوا في الشعر والأخبار، وذلك لَمَّا خافَ عليهم المَلَلَ أَحَبَّ أَن يُرِيحَهم فأَمَرَهم بالاستراحة والأَخذِ في جميل الكلام والحكايات.

---

(١) أحمضوا أي خذوا في المفاكهات. والإحماض مشتق من الحمض وهو فاكهة الإبل، يقال: قد أَحْمَضَ القومُ إِحْماضًا إِذا أَفاضوا فيما يُؤْنِسُهم من الحديث والكلامِ كما يقال فَكِهٌ ومُتَفَكِّهٌ، والحامض كل نبت في طعمه حموضة أو ملوحة، أحمضت الإبل إذا ملت من رعي حلو من النبات، اشتهت الحمض منه فتحولت إليه..لسان العرب ٤ / ٢٢٥ (بتصرف).

وعن الزهري أنه كان يقول لأصحابه: هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم ؛ فإن الأذن مجاجة، والقلب حمض.. وكان الزهري إذا سئل عن الحديث يقول: أخلطوا الحديث بغيره حتى تنفتح النفس.

وقال عمر بن عبد العزيز : تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل..

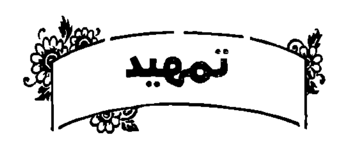
والحافظ العراقي – رحمه الله – قال: إن من آداب المحدث أن يختم مجلس الإملاء (إملاء الحديث) بالحكايات والنوادر.. واستحسن للمملي الإنشاد المباح في الأواخر من كل مجلس بعد الحكايات اللطيفة مع النوادر المستحسنة، وإن كانت مناسبة لما أملاه من الأحاديث فهو أحسن.. كما استحب الخطيب البغدادي – في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – ختم مجلس الحديث بالحكايات ومستحسن النوادر والإنشادات[1]

---

(١) انظر فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٣/ ٢٧٠، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب ، والآداب الشرعية والمنح الربانية ٢/ ١٠٠


من اليوم
لن أكون أبًا ثقيلاً

من اليوم لن أكون أبًا ثقيلاً



روى أن معاوية ﷺ غضب يومًا من ابنه يزيد، فأصابه الأرق تلك الليلة و لم يذق للنوم طعمًا، فلما أصبح معاوية بعث إلى الأحنف بن قيس فأتاه فلما دخل عليه قال له: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟

قال الأحنف: يا أمير المؤمنين.. هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبّوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً؛ فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك.

فقال معاوية: لله درك يا أحنف، لقد دخلت علي وإني لمملوء غضبًا على يزيد، فسللته من قلبي.

فلما خرج الأحنف من عنده، بعث معاوية إلى يزيد (يصالحه) بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فقال يزيد: من كان عند أمير المؤمنين؟ قالوا: الأحنف بن قيس، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره هدية أبيه[1]

---

(١) ابن أبي الدنيا: كتاب العيال ٣٠٩، الدينوري: المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٤٨٤، وابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد ٢ / ٢٧٣

حكيت هذه القصة لكثير من البنين والبنات، ثم سألتهم: ما مواصفات الأب الثقيل من وجهة نظركم؟ هل يشعر أحدكم أحيانًا أن أباه ثقيل أو أمه ثقيلة على نفسه؟ متى يحدث ذلك؟ وماذا تفعل عندها؟

وسمعت الكثير من الآراء، ورأيت الكثير من الدموع، وأحسست بكثير من الآهات، وفي النهاية تجمع لدي عدد من صفات الأب الثقيل (الأم الثقيلة)، وها هي نضعها بين أيديكم...

لا يعرف الاعتذار



هذا الأب (أو هذه الأم) يؤذي أبناءه - باليد واللسان - ويشعر أن ضربه لابنه وشتمه لابنته أمر عادي وطبيعي فهو من وجهة نظره بهذه الطريقة يربي ويعلم، إنه يشعر دائمًا أنه على صواب وأن أبناءه هم المخطئون، ولو شعر ذات مرة أنه قد أخطأ في حق ابنه أو ابنته فإنه لا يعتذر، معتقدًا أن الاعتذار يقلل من شأنه ويهزّ مكانته بين أبنائه... إلى هذا النوع من الآباء والأمهات نورد القصة التالية:

عن إياس بن سملة، عن أبيه، قال: مرّ عمر بن الخطاب ﷺ في السوق ومعه الدّرّة، فخفقني بها خفقة (ضربني بها ضربة)، فأصاب طرف ثوبي، فقال: أمط عن الطريق (ابتعد عن الطريق)..

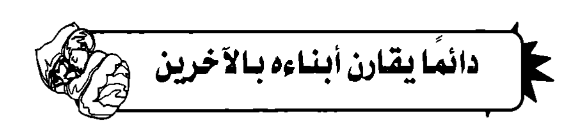
فلما كان في العام المقبل لقيني عمر فقال: يا سلمة، تريد الحجّ؟

فقلت: نعم. فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم، وقال: استعن بها على حجّك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك.

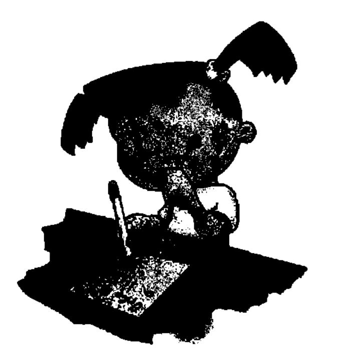
فقلت: يا أميرالمؤمنين ما ذكرتها (يعني: لقد نسيتها).

قال عمر: وأنا ما نسيتها[1]

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢ / ٤١٨.



يقول أحد الشباب:



غفر الله لأبي؛ كنت عندما آتيه فرحًا بشهادتي التي تزينها الدرجات العالية، كان يبادرني سائلاً: وماذا فعل فلان وفلان؟ فإذا كانت درجاتي أقل منهم؛ وبخني وأضاع علي فرحة النجاح والتفوق، ولا أخفيك سرًا أن هذا السلوك زرع في نفسي شيئًا من البغض والحسد لقرنائي المتفوقين، وتولد لدي إحساس بأنهم سرقوا مني فرحتي[1].

أيها المربي الكريم...

عندما تقارن طفلك بمن هو أفضل منه دراسيًّا وعلميًّا واجتماعيًّا، فتقول له: أريدك متفوقا مثل فلان، وكن مؤدبا مثل فلان، ولماذا لا تكون حافظًا للقرآن الكريم مثل فلان... هذه المقارنة الظالمة: تسبب للطفل الكثير من المشكلات النفسية والأمراض القلبية، منها:

١- سيشعر أن أباه يكرهه بينما يحب هذا الشخص الذي يقارنه به، ومن هنا سيكره أباه ويكره هذا الشخص الذي يراه أبوه خيرًا منه، ويتمنى له الفشل.

---

(١) الآن أنت أب، كريم الشاذلي، دار اليقين، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٦٠ (بتصرف).

٢- سيتعلم من أبيه أن ينظر دائمًا لمن هو أفضل منه، فتراه يقارن نفسه بالمتفوقين والنابهين، مما يشعره دائمًا أنه فاشل ولا قيمة لما يبذله من جهد، وكذلك سيقارن نفسه بالأغنياء وميسوري الحال، وعندها سيجد نفسه أمامهم فقيرًا ضعيفًا، فيشعر بالقهر والضعف، ويتحطم قلبه وتسكن الأحزان حياته، ويقل رصيد الرضا في قلبه، فيعيش غير راضٍ عن نفسه، وعن والديه، وعن حياته، وعن الناس أجمعين...

٣- النظر لما في أيدي الناس يزرع الغل والحسد في قلوب الصغار، فبدلاً من أن تساعد طفلك على التخلص من الغل والحسد، بيديك تزرعها في قلبه، تأمل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار واتبعوهم بإحسان في كل زمان ومكان؛ يستغفرون الله تعالى ويدعون للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويسألون الله تعالى ألا يجعل في قلوبهم غلاً (بغضًا وحسدًا) للذين آمنوا، هذا هو حال الصالحين.

٤- سيقارن الطفل أباه بالآخرين وأمه بالأخريات، فيجد من هو أغنى وأرقى وأهم اجتماعيًّا، فينقم على ظروف والديه الاقتصادية والاجتماعية ويكرهها، وهنا يرد السهم لأبيه - الذي قارنه يومًا بمن هو أفضل منه - فيقول له: أبي، لماذا لا تشتري لي سيارة مثل فلان، ولماذا لا نأكل في المطاعم مثل فلان، ولماذا لا نسكن في بيت مثل فلان... ويعامل أمه التي قارنته بالآخرين من زملائه بنفس أسلوبها، فتسمعه يقول لها: لماذا لا تكوني مثل أم صديقي فلان إنها أكثر علمًا

وأكثر مالاً وأكثر رفقًا؟؟؟

إن الأب (أو الأم) الذي يربي ابنه على النظر إلى ما في أيدي الآخرين من مال وصحة وعلم، يرتكب في حق ابنه جريمة تربوية كبرى، إذ هو يفسد على الصغير حياته كلها، ولأن النظر لما في أيدي الناس ليس من أخلاق السعداء، فقد قال تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[طه: ١٣١، ١٣٢].

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم فإنما هي زهرة زائلة، وفتنة واقعة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور، لا تنشغل بما في أيدي الناس وانشغل بتعليم أبنائك الصلاة وأمرهم بها دون أن ينسوا نصيبهم من الحياة الدنيا، أما من انشغل كثيرًا بزهرة الحياة الدنيا فستجده قليلاً ما يأمر أبناءه بالصلاة..

والدليل على ذلك أنه لو تشجع الأب يومًا ليوقظ ابنه (ذا التسع سنوات) لصلاة الفجر، فماذا ستقول زوجته؟ في الشتاء ستقول: دعه ينام لأن الجو بارد وهو صغير، وفي الصيف ستقول: لم ينم إلا منذ قليل فدعه، إنها تفعل ذلك شفقة عليه... والسؤال: كيف توقظ نفس الأم ابنها للمدرسة؟ إنها تنادي عليه بصوت يسمعه الجيران: ستتأخر، سيارة المدرسة ستفوتك... لا يخيفها برد الجو ولا قلة النوم، هذا لأن مستقبله (الدنيوي) سيضيع... ومن هنا يتربى الطفل على أن أول شيء في حياته هو المدرسة (زهرة الحياة الدنيا)، ثم تأتي الصلاة (مستقبله الأخروي) في المرتبة الثانية أو الثالثة... ويكبر المسكين مهملاً لصلاته مهتمًا فقط بدروسه وعمله.

ولكي يعالج النبي ﷺ هذا السلوك التربوي الخاطئ، علّمنا لمن ننظر وكيف ننظر، فقال ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه»[(١)]، وفي رواية ابن ماجة: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»[(٢)]، وروى الترمذي عن النبي أنه قال: «خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا صَابِرًا: مَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوِ دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَّ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينه إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ فَإِنَّهُ لَا يُكْتَبُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا»[(٣)]

والأب لكي يحمي ابنه من فتنة النظر لما في أيدي الناس؛ فيجب عليه أن يقلل اختلاط ابنه بمن هو أعلى منه ماديًّا بكثير، لأنه هناك سيشعر بفقره وقلة شأنه، الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال: «أَقِلُّوا الدُّخُولَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ»[(٤)]

ومن هذا المنطلق لا يدخلن الرجل ابنه إحدى المدارس ذات المستوى العالي جدًّا الذي يفوق مستواه الاقتصادي بكثير حتى لا يفتن ابنه أو ابنته، وليجعل ابنه يوصل الصدقات للفقراء ليحمد الله على ما في يديه من نعمة[(٥)]

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٣٣٥٨ ومعنى تزدري نعمة الله : تستقلها وتنتقصها وترى نفسك محروما بينما غيرك محظوظًا.

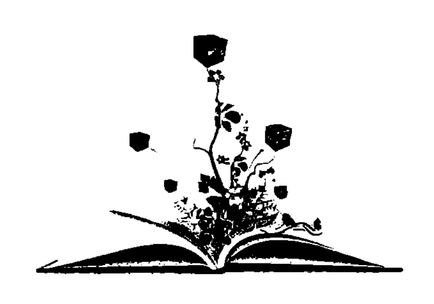
(٣) ضعيف الترمذي للألباني ح ر ٢٥٢١

(٤) السلسلة الضعيفة للألباني ح ر ٢٨٦٨

(٥) عرضت عليَّ كثير من مشكلات السرقة عند البنين والبنات ، ووجدت حالات متكررة يسرق فيها الأبناء لكي يكونوا مثل زميل غني ينفق في المدرسة ببذخ ، أو لكي يكونوا مثل قريب ذى شأن اجتماعي ... وهنا يجب أن نجعل للطفل مكانًا في المدرسة وشأنًا نتيجة لعمل جيد يبذله يعوضه هذا الإحساس بالضعف ، فيكون متميزًا في الإذاعة أو في مساعدة الفقراء أو في الناحية الفنية كالرسم وغيره ، فهو ليس بحاجة إلى توبيخ بقدر حاجته إلى تعليمه كيف يكون ذا شأن بما عنده من مهارات وقدرات وليس بما يملكه من أموال وعقارات. مع تربية الأبناء منذ الصغر على مفهوم الوجاهة الحقيقية في القرآن ، وأن الوجاهة هي أن تكون عند الله وجيهًا..

وأنت أيها الأب الكريم والأم الحنون..

عليكم أن تنظروا لمن هو أقل من ابنكم في الدرجات فتشعروا بالنعمة والرضا، وقديمًا قال العلماء: على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح..



وقت الطعام عنده صمت أو حزن

بعض الآباء لا يحلو له مشاهدة التلفزيون إلا ساعة تناول الطعام، ويا ويل من تكلم من أبنائه ساعتها وقطع ما يشاهده أبوه، هذا الأب تسمعه على الطعام يقول: اسكت حتى نسمع النشرة، اسكتوا لا أفهم ما يقول، كل وأنت ساكت... فوقت الطعام في بيته صمت مخلوط بحزن، وهذا ما جعل أحدهم يكتب لأبيه قائلاً:



«أبي الحبيب، أمنيتي في الحياة عندما أكلم حضرتك تنظر نحوي وتترك من يدك الريموت كنترول».

إن تحاور أفراد الأسرة مع بعضهم على الطعام سنة نبوية مؤكدة، هي سنة محبة ومودة وسعادة وتقارب قال ابن القيم: «وكان ﷺ يتحدث على طعامه؛ فقد قال ﷺ للرجل الذي استضافه في بيته وأطعمه خلاً: «نعم الإدام الخل»، وكما قال ﷺ لربيبه عمر بن أبي سلمة وهو يؤاكله: «سم الله وكل مما يليك»[(١)]، فكيف يكون الكلام على الطعام سنة نبوية كريمة، وعادة أسرية طيبة، ويأتي هذا الأب ليجعل وقت تناول الطعام في بيته وقت صمت وحزن؛ باحثًا عن مسلسل يشاهده أو نشرة يتابعها، تاركًا أطفاله وزوجته المشتاقين لوجوده معهم؟ ألا يعلم هذا الأب المسكين أن الأيام ستمر وتكبر سنه وينشغل أولاده وينفضون من حوله؟ ألا يدرك أنه بهذه الطريقة سيأتي عليه زمان يتناول فيه

(١) زاد المعاد، ٢/ ٣٦٦.

طعامه وحيدًا حزينًا؟

وهناك نوع آخر من الآباء لا يتناول الطعام مع أبنائه أمام التلفزيون، ومع ذلك لا يمر وقت الطعام دون حزن وغم، هذا لأنه أب مشغول ولا يلتقي بأبنائه إلا وقت الطعام، ولا يحلو له متابعة أبنائه وتصحيح أخطائهم إلا على الطعام، وهذا ما جعل أحد الأبناء يكتب رسالة لأبيه يقول له فيها:

«أبي.. من فضلك لا تجعلني أكره تناول الطعام معك، هذا لأن وقت الطعام في بيتنا أصبح ساحة معركة، فعلى الطعام يحلو لك توبيخنا ومحاسبتنا، اعلم أن هذا هو الوقت الوحيد الذي ترانا فيه وتريد متابعة تربيتنا، لكننا نشتاق للحوار معك أكثر من توبيخك، نحتاج إلى توجيهك أكثر من تعنيفك، كم أتمنى أن أتمتع بتناول الطعام معك، فهل تحقق أمنيتي؟».

أمثال هذا الابن الشاكي كثيرون، لكنه أحسن حالاً ممن يتناول طعامه دومًا بمفرده دون أبيه أو أمه، كلاهما مسكين ومحروم، أحدهما محروم من شخص أبيه فلا يراه يتناول الطعام معه، والثاني محروم من حب أبيه الذي يتمتع بتناول الطعام معه.

إن الاجتماع على الطعام ينزل البركة على أهل البيت جميعًا، روى ابن ماجة عن عمر ابن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا جميعًا ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة»[1]، وقال سفيان الثورى: حدثنى ابن عباس: «إن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يجتمعون على طعامهم»، ولقد حرص الصحابة الكرام على تناول الطعام مع أبنائهم؛ فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: أعتم رجل ثمّ النبي ﷺ (يعني: عند النبي ﷺ ومعه) ثم رجع

(١) سنن ابن ماجة ٢ / ١٠٩٣

إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها؛ فليأتها وليكفر عن يمينه»[(١)]، فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبي ﷺ حتى عتمة الليل، ويقومون على شئون الأمة في أشد أوقاتها خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم ويجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، وفي اليوم والليلة التي تأخر فيها عن أطفاله حتى ناموا، ففاته وفاتهم تلك الجلسة العائلية المعتادة؛ حزن ﷺ فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على إهماله ذلك الواجب اليومي[(٢)]، وتمر السنون، وبعد أربعة عشر قرنًا نقرأ الخبر التالي في جريدة الأهرام المصرية: أكدت دراسة إسبانية أن جمع شمل الأسرة حول مائدة الطعام يعزز استقرار الصحة النفسية و العقلية لدى الأبناء، و توصلت الدراسة التي نشرت في دورية «علم الأوبئة وصحة المجتمع» إلى أن الأبناء في سن المراهقة الذين يشاركون آباءهم في تناول الطعام يتمتعون بحالة نفسية جيدة، وأن تناول الوجبات اليومية التي تضم جميع أفراد الأسرة - ولأكثر من خمس مرات في الأسبوع - له أثر جيد على الصحة النفسية للأبناء[(٣)]

من اليوم سيكون وقت الطعام في بيتنا وقت سعادة ومحبة ولذلك:

١- لن نأكل أبدًا أمام التلفزيون .

٢-لن أناقش سلبيات أبنائي على الطعام ولن أعاتبهم وسأدع وقت الطعام يمر بسلام .

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢٧١

(٢) العشرة الطيبة مع الأبناء و تربيتهم.

(٣) جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨/ ١/ ٢٠٠٢ م.



لحظة دخوله للبيت لحظة حزينة

روى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة كلهم ضامن على الله ﷻ: رجل خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله ﷻ»(١)

ولقد قال العلماء في معنى «دخل بيته بسلام» يعني: دخل وسلم على أهل بيته وجاء معه السلام والأمن والطمأنينة والسعادة... والآن: كيف تدخل بيتك؟ وكيف يستقبلك أبناؤك؟ وكيف تتعامل مع سؤال ماذا أحضرت لنا؟

أيها المربي الكريم:

إذا أردت أن تعرف إن كنت تدخل بيتك بسلام أم لا؟ فانظر كيف يستقبلك أبناؤك، إن كانوا يفرحون بقدومك ويهللون «بابا وصل.. بابا وصل» وتجدهم في انتظارك، ويجرون نحوك فتسلم عليهم وتقبلهم، فأنت ممن يدخلون بسلام، أما إن دخلت بيتك وسمعت أحدهم يقول: «اسكتوا بابا وصل» فإنهم يقصدون «اسكتوا فقاتل الفرحة وصل»، وإن كنت تبعدهم عنك قائلاً: أنا تعبان، لا أريد صوتًا من أحد؛ فأنت محروم من جمال لقاء الأبناء... وإن كنت تشعر أن لحظة دخولك إلى البيت تسبب للجميع حزنًا وضيقًا ولحظة خروجك تمثل لهم فرحًا وسرورًا، فأنت على خطر كبير إذ يقول

(١) سنن أبي داود (٣ / ٧)، و الحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٢ / ٤٧٣، وفي مشكاة المصابيح ح ر ٦٩٤

رسول الله: «شر الناس الضيق على أهله. قالوا: وكيف يكون ضيقًا على أهله؟ قال: الرجل إذا دخل بيته خشعت امرأته، وهرب ولده، وفر عبده، فإذا خرج ضحكت امرأته واستأنس أهل بيته»[١]

والسؤال الآن كيف أدخل بيتي بسلام مبتسما بعد يوم شاق ومشاكل لا تتوقف؟



عندما تعود من عملك لا تدخل بيتك مباشرة، لأنك إن فعلت ذلك ستدخل والهموم معك، فقط انتظر دقيقة أو دقيقتين على الباب، خذ نفسًا عميقًا، وقل لنفسك: يا رب، إنك تعلم ما أنا فيه من هم وتعب ومشاكل العمل، لكن المساكين الذين في الداخل ليس لهم أب غيري، وهم في انتظاري، يا رب ساعدني وامنحني القوة، وأسعدني بلقائهم، وأسعدهم بعودتي، ثم خذ نفسًا عميقًا آخر، وادخل الآن، وتأكد أن الرحمة والسعادة والسلام سيدخلون معك، لقد جرب الكثيرون تلك الوصفة، ونجحت معهم جدًا، لدرجة أن أحد الآباء حكى لي قائلاً:

أنا أسير على قدمي يوميًا مسافة ٣ كيلومترات حتى أصل إلى بيتي، ومع وزني الزائد وسني الكبيرة، أصل منهكًا وأدخل بيتي متعبًا، وهكذا لا أطيق حتى نظرة من أحد، أدخل ويدخل الصمت والسكون معي، وبعد أن سمعت تلك الفكرة، بدأت أطبقها وأجلس لأستريح دقيقتين قبل أن أدخل، والله لقد تغير حالي تمامًا، حتى أنا أصبحت سعيدًا بدخولي نحو أولادي، لقد أصبحت أدخل مبتسمًا بعدما كنت أدخل مبتئسًا، أصبحت أسلم عليهم وأذهب نحوهم، بعدما كنت أبعدهم عني ولا أرد عليهم.

(١) السلسلة الضعيفة للألباني ح ر ٣٢٩٦.

«وهناك أحد الآباء عندما يعود إلى منزله كل يوم، يجلس في سيارته قبل أن يصعد للبيت، أو يقف على الباب قبل أن يدخل، يفكر في أحوال أسرته، ويفكر فيما يفعله كل فرد داخل هذه الجدران، ثم يحدث نفسه قائلاً: إن أسرتي هي أمتع وأبهج وأهم شيء في حياتي، سوف أدخل إلى بيتي وأشعر أسرتي بحبي لها»، وعندما يدخل من الباب، لا يفكر في البحث عن الأخطاء، و لا يوجه النقد لأحد، ولا يذهب لغرفته للاسترخاء وتلبية احتياجاته هو، بل يصيح عاليًا «لقد وصلت، هيا أنا مستعد للأحضان والقبلات»، ثم يبدأ في التجول في أنحاء المنزل والتعامل بشكل إيجابي مع كل أفراد الأسرة، فيسلم على زوجته، ويتدحرج على الأرض مع الأولاد، أو يفعل أي شيء من شأنه أن يدخل البهجة والسعادة على البيت، كأن ينصت لهذا أو يساعد ذاك، وعندما يفعل ذلك يتسامى على همومه وعلى عثراته وعلى مشكلاته التي تواجهه في العمل»[1]

---

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٤٣ (بتصرف).

يدير بيته بطريقة ما أريكم إلا ما أرى



فهو يعتقد دومًا أنه وحده على صواب، هو فقط من يعرف ويقرر ويخطط ويأمر وينهى، رغباته أوامر، من اعترض عليها طُرد، ومن قصّر في أدائها عوقب، لا أحد يناقشه فيما يقول، غير مسموح لأحدهم أن يقول رأيه وخاصة إن خالف وجهة نظر أبيه، ومن اعترض على ما قاله والده - بذوق وأدب - فهو مجرم وعاق... ونسي هذا المسكين أنه إنسان معرض للخطأ والجهل والنسيان... إنه يحكم أسرته بطريقة فرعون مع قومه، إنها طريقة ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر: ٢٩][1]، وأبناؤه يطيعونه إجبارًا لا اختيارًا، يحلمون باليوم الذي يفرون فيه من هذا الجحيم.

وإلى هذا الصنف نقول: تأمل أيها المسكين هذا الحوار بين الله تعالى وملائكته.

قال جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) هذه الكلمات قالها فرعون كبرًا وعلوًّا بعد سماعه لنصيحة مؤمن آل فرعون له ولقومه، لقد كان هذا الرجل المؤمن يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾، فأخذت الرجل غضبة لله ﷻ، ونصح قومه بين يدي فرعون قائلًا: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ إِن جَاءَنَا﴾

في هذا الحوار الرباني الجميل، يخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة، ومن روعة هذا الحوار أنه ليس من طرف واحد، مع أن الذي يتكلم هو الواحد سبحانه، فالملائكة لما علمت بأن الله تعالى سيجعل في الأرض خليفة قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ يا الله كم من جبار في الأرض لا يسمح أصلاً بالحوار معه، غير مسموح بين يديه للنقاش والسؤال، هو فقط يتكلم ويأمر والجميع يسمع ويطيع، أما بين يدي الله تعالى الرحيم المنان، فالملائكة تعرب عما يدور بخاطرها بأدب، وتعبر عن تخوفها بحرية، وتسأل حتى تعلم ما في أمر الله تعالى من حكمة... يقول ابن كثير رحمه الله:

وقول الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها) ليس على وجه الاعتراض على الله ﷻ، كما قد يتوهمه بعض المفسرين، فقد وصف الله تعالى ملائكته بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي: لا يسألونه شيئًا لم يأذن لهم فيه، والسؤال هنا إنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي: نصلي لك ولا يصدر منا شيء من الفساد، فهلا وقع الاقتصار علينا؟

قال الله تعالى مجيبًا لهم عن هذا السؤال: (إني أعلم ما لا تعلمون) أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم[1]

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٢١٧ (بتصرف).

إن منهج التربية الإسلامية الكريم يسمح للصغير بأن يقول (لا) بحق وذوق وأدب، وبهذا يكون لدينا جيل مرفوع الرأس، يعرف للكبير حقه، وفي الوقت نفسه يدافع عن حقه.

روى البخاري عن سهل بن سعد قال: أتي النبي ﷺ بقدح، فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال ﷺ: «**يا غلام؛ أتأذن أن أعطيه الأشياخ؟** فقال: ما كنت لأوثر بفضل منك أحدًا يا رسول الله، فأعطاه ﷺ إياه».

يجلس النبي ﷺ بين أصحابه وعن يمينه غلام هو الفضل بن العباس، ما الذي أجلسه بجوار النبي ﷺ، أليس الكبار أحق بهذا المكان منه؟ بل ما الذي أجلسه في مجلس الكبار أصلاً؟ وكيف يستأذنه النبي ﷺ ليعطي الكبار ليشربوا قبله؟ ثم كيف يتجرأ ولا يقبل استئذان النبي ﷺ منه؟ ولماذا أعطاه النبي ﷺ اللبن ليشرب قبل الكبار مع أن هذا عكس ما طلبه منه واستأذنه فيه؟ وهل الفضل بهذه الطريقة أساء الأدب مع النبي ﷺ؟

إن الإسلام قد وضع قواعد يعرفها الجميع ويحترمها الكبير قبل الصغير، ولقد علم هذا الغلام الصغير من حبيبه أن من حقه أن يشرب بعد النبي لأنه عن يمينه[1]، فتمسك ﷺ بحقه بذوق وأدب جم فقال: ما كنت لأوثر بفضل

---

(١) السنة في تقديم الشراب، أن يقدم صاحب اليمين، أي الجالس عن يمين الشارب، أو يقدم من هو في يمين المجلس، إذا كان الصاحب واقفًا، حتى وإن كان في المجلس من هو أكبر منه سنًّا وأعلى منه منزلة، ويشهد لذلك ما رواه أنس قال حلبت لرسول الله ﷺ شاة داجن، وشيب لبنها بماء من البئر التي في دار أنس، فأعطي رسول الله ﷺ القدح، فشرب وعلى يساره أبو بكر، وعن يمينه أعرابي، فقال عمر أعط أبا بكر يا رسول الله فأعطى الأعرابي الذي عن يمينه ثم قال: «الأيمن فالأيمن» وفي رواية: «الأيمنون الأيمنون، ألا فيمنوا» [متفق عليه]، وعن عبدالله بن أبي حبيبة ﷺ قال: جاءنا رسول الله في مسجدنا بقباء، فجئت وأنا غلام [حدث] حتى جلست عن يمينه، [وجلس أبو بكر عن يساره] ثم دعا بشراب فشرب منه، ثم أعطانيه، و أنا عن يمينه، فشربت منه، ثم قام يصلي، فرأيته يصلي في نعليه ... السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٢٩٤١

منك أحدًا يا رسول الله، وهنا يحترم الجميع حق هذا الغلام الفصيح، ويعطيه النبي اللبن ليشرب قبل الجميع، دون توبيخ الصغير وعتابه، فكون النبي ﷺ أعطاه فهذا إقرار لحق الغلام فيما فعل وأن ما فعله صواب لا خطأ فيه.

ولم يتوقف الأمر عند الفضل بن العباس، بل تعداه لأخيه عبدالله بن عباس؛ فقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: دخلت أنا وخالد بن الوليد مع رسول الله ﷺ على ميمونة بنت الحارث فجيء بإناء من لبن فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله فقال لي: الشربة لك وإن شئت آثرت بها خالدًا فقلت: ما كنت لأوثر بسؤرك علي أحدًا»[1]

وفي رواية قال لابن عباس: أما إن الشربة لك ولكن أتأذن أن أسقي عمك (قال عن خالد عمك لأنه في سن العباس والد عبدالله بن عباس) فقال ابن عباس: قلت: «لا والله ما أنا بمؤثر على سؤرك أحدًا قال: فأخذته فشربت ثم أعطيته»[2]

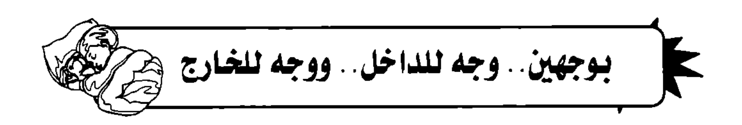
هنا لم يخرج خالد حزينًا قائلاً لابن عباس: إنك لم تحترمني، ولم تقدمني عليك، والله لن تخرج معي في غزوة أبدًا، وإن خرجت معي سأفعل كذا وكذا... كل ذلك لم يكن، لأن الجميع يعرف حق الصغير قبل الكبير، ويربون جيلاً يعرف للكبير حقه، وفي الوقت نفسه لا يتنازل عن حقه إلا برغبته وإرادته طائعًا مختارًا.

---

(١) قال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر مسند أحمد ٣/ ٣٠٢.
(٢) قال العلامة أحمد شاكر إسناده صحيح، انظر مسند أحمد ٤/ ١٩٦

والآن ... هل تقبل من ابنك (ابنتك) أن يقول لك (لا) بحق وذوق وأدب ؟

الولد الذي لا يستطيع أن يرفع رأسه في بيته ، لا يستطيع أن يرفعها خارج البيت ، والبنت التي لا تستطيع أن تقول لا في بيتها بحق وأدب، لا تستطيع أن تقول لا خارج بيتها.



بوجهين.. وجه للداخل.. ووجه للخارج

طلبت من كثير من البنين والبنات أن يصفوا لي آباءهم... فقال بعضهم:

بابا بوجهين، وجهه الجميل للناس في الشارع والعمل وللأصدقاء والزملاء، فتراه بينهم مبتسمًا مبتهجًا لطيفًا.. أما وجهه الكئيب فيختزنه لأهل بيته، وجهه الخشبي الغضوب لا يظهر إلا أمامنا في البيت.. لدرجة أن أحد الأبناء قال لأبيه يومًا: ليتني صديقك ولست ابنك، كنت حينها ستعاملني أفضل من هذا بكثير..

إن الأب العاقل يجب أن يكون خيره لأهل بيته أولاً، فمن ليس له خير في أهله ليس له خير في أحد، إن مقياس جودة الإنسان وخيريه تنبع من حاله داخل البيت ومع أهله، فمن كثر خيره داخل بيته فهذا على خير، ومن قلّ خيره في بيته فهذا على خطر، فمقياس ما في الإنسان من خير هو بما يفعله داخل بيته وليس ما يفعله خارجه.

ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[1]، وقوله: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[2]

قال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار:

في ذلك تنبيه على أن أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به هو

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ح ر ١١٦٢

(٢) صحيح الترمذي للألباني ح ر ٣٨٩٥.

من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر، وكثيرًا ما يقع الناس في هذه الورطة، فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقًا وأشجعهم نفسا وأقلهم خيرًا، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق زائغ عن سواء الطريق، نسأل الله السلامة[١]

قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجة: قَوْله (خَيْركُمْ).

«أَيْ مِنْ خَيْرِكُمْ لِأَهْلِهِ فَمُرَاده أَنَّ حَسَن الْعِشْرَة مَعَ الْأَهْل مِنْ جُمْلَة الْأَشْيَاء الْمَطْلُوبَة فِي الدِّين فَالْمُتَّصِف بِهِ مِنْ جُمْلَة الْخِيَار مِنْ هَذِهِ الْجِهَة. وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُتَّصِف بِهِ يُوَفَّق لِسَائِرِ الصَّالِحَات حَتَّى يَصِير خَيْرًا عَلَى الْإِطْلَاق»[٢]

ومعنى ذلك أن من عمل الخير في أهله؛ يوفقه الله تعالى لسائر الطاعات خارج البيت، وبذلك يحسن خلقه ويكثر خيره.

أيها الأب الكريم... أيتها الأم الحنون..

إن الناس خارج البيت يحكمون على ظاهرك، فإن رأوك مبتسمًا قالوا: هنيئًا لأهله به، وإن رأوك كريمًا قالوا: ما أسعد أولاده، وإن رأوك هادئًا قالوا: نادرًا ما يضرب أولاده.. ولا يعلم المخدوعون أنك في بيتك ربما تكون عكس ذلك تمامًا، فلماذا تعيش بوجهين؟ بل لماذا تختزن الوجه القبيح لأقرب الناس إليك؟

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ٦ / ٣٦٠.

(٢) حاشية السندي على ابن ماجة ح ر ١٩٧٧

إن حكم أهل بيتك عليك هو أصدق الأحكام، فأنت خارج البيت تتحرك وعليك ستر من الله تعالى، أما في البيت فأنت بلا ستر بلا تجمل، أنت على طبيعتك وعلى حقيقتك، فإن كنت خلوقًا طيبًا ظهر منك ذلك، وإن كنت غضوبًا عبوسًا رأى أهلك ذلك.. فلا يغرنك مدح الناس لك خارج بيتك، قال أحد الحكماء: من مدحك فإنما مدح جميل ستر الله فيك... وقال آخر: إن ثناء الناس عليك ليس إلا تذكرة بستر الله لك..

والآن اسأل نفسك: كيف أجعل الخير الأكبر لأهلي وزوجتي وأولادي؟

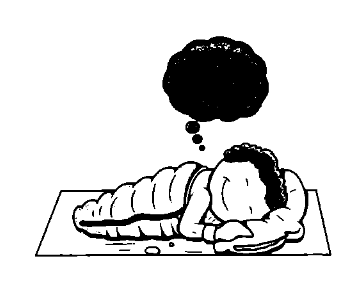


أحضر زجاجة مملوءة بالماء وكوبًا فارغًا، ثم قف أمام أصدقائك وقل لهم: أهم شيء عندي هو أن أملأ هذا الكوب بالماء، والآن قم بصب الماء خارج الكوب رويدًا رويدًا، واسأل من حولك: ما رأيكم إنني أملأ الكوب بالماء... كرر التجربة وقم بصب الماء حول الكوب... ماذا سيقول عنك من حولك؟ وبماذا ستشعر أنت؟

والآن: حاول أن تشرب من الكوب، ماذا ستجد؟ إنه لا شيء لأنك لم تضع فيه شيئًا..

هذه التجربة مثال لتعاملك داخل البيت وخارجه بوجهين، فزجاجة الماء هي ما بداخلك من خير، والكوب هو أهلك وأسرتك، والمفروض أن تملأ بيتك سعادة وبهجة، لكنك تصنع ذلك خارج البيت وتضع ما فيك من خير خارجه... وهذا ليس من العقل في شيء... ثم يمر بك الزمن، وتكبر سنك ويضعف جسمك، وتبحث عن الحنان والحب بين أبنائك، لكنك حينها لا تجد سوى قلوب خاوية (مثل كوب الماء تمامًا) لأنك لم تزرع فيها الحب يومًا..

ليس عنده وقت ليسمع أبناءه



الابن (أو البنت) الذي لا يجد في بيته من يسمعه، فغالبا ما ينام كل ليلة حزينًا، لأن بداخله سرًّا لا يجد من يسمعه، وهمًّا لا يجد من يفرجه، وضعفًا لا يجد من يقويه، وغضبًا لا يجد من يطفئه، وحزنًا لا يجد من يزيله، ويعيش باحثًا عن حبيب يسمعه، وهنا يزيد احتمال أن يقع الولد في صديق سوء، وتقع البنت في حبيب مزيف...

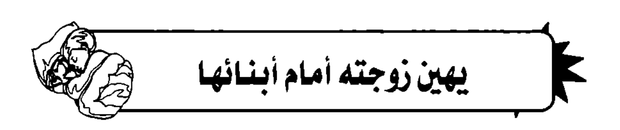
يقول أحد الآباء:

> **الابن (أو البنت) الذي لا يجد في بيته من يسمعه، فغالبًا ما ينام كل ليلة حزينًا، ويعيش باحثًا عن حبيب يسمعه..**

كنت أشعر أنني أب ناجح جدًّا، وذلك لأنني أخصص وقتًا للجلوس مع ابني للحوار معه والاستماع إلى أفكاره وخططه المستقبلية ووجهة نظره في القضايا المختلفة، وكنت دومًا أصحح له آراءه وأوجهه وأنصحه، وذات يوم أصابني بردٌ شديد وحدث لي التهاب في الحلق، كنت يومها أتحدث بصعوبة شديدة، وجاء ابني الحبيب وجلس بجواري، وأخذ يحدثني حول موضوع يهمه، وقد كنت أتمنى أن أرد عليه وأتفاعل معه، لكنني لم أكن أملك سوى الإيماءات والإشارات، كانت نسبة مشاركتي في هذا الحوار لا تتعدى

٥٪ من الكلام، وذلك لأن دوري في المحادثة اقتصر على الإيماء بالرأس بسبب ضعف صوتي وكنت أوصل ما أريد قوله عن طريق الهمهمة، وبعد ربع ساعة تقريبًا انتهى ابني الحبيب من كلامه، وانطلق نحو غرفته، لقد تركني وأنا أتخيل أنني قد قصرت معه ولم أعطِ الحوار معه حقه، كنت أعتقد أنه قد يظنني كارهًا للحوار معه، وفي المساء أخبرتني زوجتى بمفاجأة كبيرة، لقد قال لها ابني الحبيب: «هذا يا أمي أفضل يوم تكلمت فيه مع أبي، لقد سمعني بهدوء جميل ورفق شديد ولم يتسرع في الرد عليّ ولم يكثر في الكلام، فقط سمعني بمحبة وهدوء»، لقد صدمتني تلك الكلمات، فقد اكتشفت أنني نادرًا ما أسمعه، نعم أتحاور معه لكنني فقط من يتكلم وينصح ويصحح، لقد كان حوارنا من جانب واحد، ومن يومها قررت أن أستمتع بالحوار مع ابني الحبيب وأُسعده بالاستماع له.

* * *



يهين زوجته أمام أبنائها

عندما يهين الرجل زوجته ويشتمها أو يضربها أمام الأبناء، فإنه يضعها أمام خيارين أحلاهما مرّ، فهي إما أن تردّ عليه لتدافع عن نفسها، فتمد يدها إن مد يده وتشتمه إن شتمها، وهنا يتحول البيت إلى ساحة حرب، فيصيب الأبناء غم وهم واكتئاب وحزن..

والخيار الثاني أمام الزوجة إذا أهانها الزوج أن تستسلم وتسكت، وهنا يتعاطف الأبناء مع أمهم لأنها الطرف الأضعف..

والأبناء الذين يرون أمهم تهان من أبيهم صنفان:

الصنف الأول: ينسحب تاركًا جو المنزل المشحون بالمشاكل ويذهب ليلعب مع أصدقائه أو إلى أي مكان يجد فيه الراحة والهدوء أو ينسى فيه مشاكل بيته..

والصنف الثاني: يميل نحو الطرف الأضعف ويحاول نصرته، فتجد الولد يدافع عن أمه ويتلقى عنها الإهانات من شتم وضرب، وقد يشتبك مع الأب إن كان قادرًا على ذلك، وقد يساعد أمه فيوصلها إلى بيت أبيها، وقد تتعاطف البنت مع أمها بالبكاء والصراخ...

أبي.. متى تتوقف عن إهانة أمي؟

أبي الحبيب...

عندما تهين أمي أمام عيني وتقسو عليها؛ فإنني أكرهك، وكيف أحبك

وأنا أراك تهين رفيقة حياتك، كيف يكون لك مكان في قلبي وأنا أراك تضرب أمي؟

إنني حين تهين أمي أكون بين نارين:

بين أن أدافع عن أمي، فأهينك وأخسرك..

وبين أن أبقى صامتًا حابسًا نيران الغضب بداخلي تاركًا نصرة أمي..

حينها يا أبي ما الصواب؟ هل أقف معك؟ أم أكون في صف أمي؟ أم أبقى متفرجًا؟

أبي الحبيب..

أرجوك لا تهن أمي أبدًا، وإن كان لا بد فلا تعاتبها أمامنا، ولا تقسُ عليها أمام عيني حتى أبقى محبًّا لك... وحتى لا تهدم بيتنا، هذا البيت الذي سعيت أنت لسنوات لتبنيه على الحب والرحمة والمودة..



قد يساهم الأب دون أن يشعر في عقوق أبنائه لأمهم، ويتسبب في عدم احترام الأولاد لأمهم واستخفافهم بها... فالأب الذي يصف زوجته أمام أبنائه كثيرًا بأنها: جاهلة، سفيهة، غبية... كيف يحترمها أبناؤها؟

وهناك مثال يتكرر في كثير من البيوت...

عندما يكون الأب خارج البيت (في العمل أوغيره) تكون الأم بين أبنائها تكافح وتربي، وقد يغضبها أبناؤها فتتخذ بعض القرارات العقابية مثل:

إغلاق التلفزيون، عدم نزول النادي، عدم الذهاب لصديق، عدم استخدام الكمبيوتر... وهنا يتوعد الطفل أمه قائلاً: سأقول لأبي عندما يعود..

ويعود الأب من عمله مرهقًا، فيستقبله الأبناء قائلين: لقد أنهينا واجباتنا، وحفظنا ما علينا، وأمي أغضبتنا وضيقت علينا وأغلقت التلفزيون، فهل هذا يرضيك؟

هنا قد يخطئ الأب وينخدع بحيلة الصغار فيقول: اتركوها وشأنها، وافتحوا التلفزيون... وهكذا أخطأ في حق زوجته وفي حق أبنائه، فاستخفافه بقرارات زوجته يجعل أبناءه يقتدون به مستقبلاً ويستخفون بها، فيحرم زوجته من الاحترام، ويحرم أبناءه من برّ الأم... إن الأب عندما يتجاهل قرارات زوجته وينصر الأولاد على أمهم، فإنه يوصل لأبنائه رسالة تقول: دعكم من أمكم، أهينوها متى شئتم، فكلامها لا قيمة له..

والتصرف الأمثل في هذا الموقف: أن يقول الأب لأبنائه: انتظروا يا أحبابي، لا بد وأن لأمكم وجهة نظرة يجب احترامها، وأنا أعلم كيف تضايقونها دون قصد، سوف أطلب منها السماح لكم، إنها تحبكم جدًّا، ثم يدخل مع زوجته الغرفة ليناقشها، وهناك قد يحتد عليها قائلاً: رأيي صواب ولا بد وأن ينفذ، لكنه حفظ صورة زوجته أمام أبنائه، وعلمهم أن كلام ماما محترم ومقبول ومكانتها محفوظة ومصانة..

وهنا يقول أحد الآباء:

كان ابني الحبيب في فترة المراهقة عصبيًا غضوبًا، وكان يظن أن أمه تكرهه وتتعمد إهانته، فكنت أنصح أمه أن تترفق به، وأوصيه بأمه خيرًا، وذات يوم كنا مجتمعين على الغداء، وخلال تناولنا للطعام طلب أخوه الصغير من أمه أن تساعده في دخول الحمام، فقامت أمه وساعدت أخاه في دخول الحمام،

وساعدته في تنظيف نفسه من آثار البراز، وعادت لتتناول طعامها في هدوء، هنا قلت له: في طفولتك كانت أمك تفعل معك هكذا، كنت تطلب دخول الحمام فتقوم معك راضية سعيدة، فتساعدك وتنظفك بيديها، ثم تعود معك راضية تتناول طعامها بنفس اليد التي نظفتك بها، هذا لأنها تحبك ولأنك أغلى شيء عندها في الحياة... وهنا دمعت عينا ابني الحبيب لأول مرة، وبعد أن تناول الطعام قام من نفسه بنشر الغسيل بدلاً من أمه، وأنصلح حاله بهذه الكلمات التي ألهمني الله تعالى إياها...

إن الأب العاقل الحكيم هو من يوصي أبناءه قائلاً: إن النبي وصاكم على أمكم أكثر مني، فحقها عليكم أكثر من حقي عليكم، أرضوها أولاً، لو سامحتكم أمكم فأنا سأسامحكم، لو وافقت على هذا الموضوع سأوافق، قبل يد أمك قبل أن تنام، لا تنم وأمك حزينة... هكذا تعلى شأن الأم في نفوس الصغار، وتجعل أبناءك يحترمون أمهم في غيابك، فتضمن استقرار بيتك وسعادة زوجتك..

قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أُحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»[1]

ومعنى أحرّج : يعني أحذر من ذلك تحذيرا بليغًا من تضييع حقها ، وأزجر عنه زجرًا أكيدًا عن ظلمها.

المرأة ضعيفة مثل اليتيم تمامًا، فهي ضعيفة كأخت فلا تظلمها، وضعيفة كزوجة فلا تهنها، وضعيفة كبنت فلا تحزنها.

---

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٢٩٨٢


أحزان واقعية
وحلول إبداعية

أحزان واقعية وحلول إبداعية

لقد ماتت أمي وهي تحبك يا أبي



بعد إحدى المحاضرات طلب مني أحد الآباء أن يجلس معي قليلاً، وبدأ يحدثني وعلامات الانزعاج بادية عليه، أخبرني أنه بحاجة ماسة إلى دقائق معدودة، طلبها مني بأدب جم وإلحاح لطيف، فوافقت دونما تردد، وذلك لأنني تعلمت في محاضراتي أن الله تعالى جاء بي لهذا المكان من أجل أحد الآباء أو الأبناء هو أكثر الحضور احتياجًا لنصيحة لطيفة ولمشورة حكيمة، ودومًا يكون هذا الشخص الذي جئت من أجله هو آخر الحضور انصرافًا وأكثرهم إلحاحًا في طلب استشارة سريعة، لذلك وافقت سريعًا على طلب هذا الأب الكريم، وجلست معه على انفراد فحدثني قائلاً:

أنا أب ولي أربع بنات، وأعمل تاجرًا في مجال الملابس الجاهزة، وذات يوم كنت في المحل بمفردي، فدخلت علي إحدى نساء الحي وطلبت بعض الملابس، فناولتها ما أرادت، وبينما هي تشاهد الملابس عرفتني بنفسها وأنها زوجة فلان الذي أعرفه ثم فاجأتني بقولها:« وقتما أردتني فأنا تحت أمرك

فزوجي لا يعطيني ما أحتاجه»، لقد صدمتني كلماتها وابتعدت عنها كمن صعقته الكهرباء، وتجاهلت ما قالت كأنني لم أسمع أو لم أفهم، فاشترت ما أرادت وخرجت وتركتني خائفًا من سخط ربي، هذه أول مرة أتعرض لتلك الفتنة، ولقد عشت مع زوجتى وبناتي أربعة عشر عامًا وأنا خائف من قصة التاجر والسقا، يحكى أن تاجرًا كان يبع القماش للنساء ويتقى الله في التعامل معهن، وكانت زوجته في البيت تتعامل يوميًّا مع السقا الذي يأتي إلى البيت حاملاً الماء في قربته، وكان السقا ينادى من خارج البيت مستأذنًا ويضع الماء وهو غاض البصر، استمر الحال بالتاجر وزوجته هادئًا لسنوات، وذات يوم دخل السقا كعادته ووضع الماء وفجأة مد يده وأمسك بيد زوجة التاجر لثوانٍ ثم تركها وانصرف، جلست المرأة حزينة متفاجأة مما حدث، عاد التاجر في المساء وحاله هو الآخر على غير ما يرام، فسألته زوجته هل حدث شئ في المحل اليوم، فحكى لها أنه بينما يقيس القماش لإحدى النساء مد يده وأمسك بيدها لثوانٍ ثم تذكر الله فجأة فتركها، فبكت المرأة وقالت: دقة بدقة، ولو زدت لزاد السقا.

هذه القصة أتذكرها يوميًّا وأنا ذاهب إلى العمل، وأسأل الله تعالى العصمة من الفتنة، المهم أنه بعد أيام اضطررت وجلست في المحل بمفردي بعد مغادرة العمال لتنظيم بعض شئون العمل، وفجأة دخلت علي تلك المرأة صاحبة الطلب الشيطاني، كأنها تراقب المحل وتتحين فرصة وجودي بمفردي، وهذه المرة كانت هذه المرأة أكثر جرأة وخبثًا فقالت: «أنت تعرف أنني موظفة، وهذا رقم تليفوني، اطلبني فقط بالليل وحدد معي متى تريدني بشرط أن يكون صباحًا في وقت العمل»، فقلت لها: يا سيدتي أنا رجل أعرف ربي جيدًا وليس لي في طرق الشيطان أستغفر الله، فما كان منها إلا أن أقبلت

نحوي واقتربت مني تريد شيئًا، لقد اقتربت لدرجة مريبة، وفجأة دخلت ابنتي ذات الثلاث عشرة عامًا ورأت تلك المرأة على هذه الحالة، فألقت السلام وسكتت، وخفت أن تفسر ما رأته على غير الحقيقة، انصرفت المرأة وعدت إلى البيت أنا وابنتي، كلانا صامت لا يدري ماذا يقول، حدث هذا منذ أيام قليلة، ومن يومها تعاملني ابنتي بطريقة عادية، لكنني أشعر أنها تخفي شيئًا في داخلها، فهل يمكن أن تشك في أبيها وهي تعرف قربه من الله تعالى وخوفه من الحرام؟ وفي الوقت نفسه أصبحت أخاف من تلك السيدة وأخشى على نفسي من الفتنة، أنا في حيرة من أمري، ماذا أفعل؟

شكرت الرجل على ثقته بي، وسألت الله تعالى أن يجعلني عند حسن ظن الرجل، وأن يوفقني في مشورته، ثم قلت له: الحمد لله أن المشكلة في بدايتها، وكل مصيبة في البداية يكون حلها سريع وسهل إن شاء الله، فهي كالمرض إن عالجته في البداية كان الشفاء سهلاً بإذن الله، لكنك إن تركته تفاقم واشتد وزاد الألم وطال العلاج، وفي مثل هذه الحالة أنت لن تسترح إلا إذا تكلمت مع زوجتك بصراحة وأخبرتها بما يحدث، لكن بحكمة شديدة وتفكير عميق في كيفية التعامل مع ردود أفعالها المحتملة، ولن ترتاح ابنتك إلا إذا فسرت لها ما رأته واحتارت في تفسيره، وبعد حوار ونقاش اتفقت مع هذا الأب الكريم أن يتصرف كالتالي:

أولاً: يتحين وقتًا مناسبًا ويشرح لزوجته ما حدث معه بحكمة وهدوء، ويبدأ كلامه قائلاً: لقد تعرضت لمشكلة كبيرة وأطلب مشورتك فلن يساعدني أحد غيرك على حلها، ثم يخبرها بالقصة كاملة، ويؤكد على أنه لم يكن ليخفي شيئًا عن زوجته الحبيبة، ويفكر معها كيف يبعد هذه المرأة «الشيطانة» عنه، ثم يخبرها بموقف ابنته وكيف سيعالج الأمر معها.

ثانيًا: يجلس مع ابنته على انفراد ويقول لها: أريد مشاورتك في مشكلة وأنا على يقين أنني سأجد عندك المشورة الصادقة، ويحكي لها ما حدث معه بكل مصداقية، ويفسر لها ما رأته، ثم يسألها: كيف سيخبر أمها بما حدث لأنه لا يمكن له بحال أن يخفي عنها شيئًا كهذا، ويفكر مع ابنته في طريقة ذكية لإخبار الأم الطيبة (التي قد أخبرها هو من قبل).

يفعل هذا كله بعد أن يطلب من الله تعالى التوفيق والسديد والنجاة من كل فتنة، فسيدنا عمار بن ياسر لما أخبره النبي أنه سيدخل فتنة الخلاف بين المسلمين ويخرج منها سالمًا غير مفتون، مع ذلك كان يدعو الله قائلاً: «اللهم إني أعوذ بك من الفتن»، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه حكى عن بناء المسجد النبوي فقال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين (وفي رواية: لبنة عنه ولبنة عن رسول الله ﷺ)، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه، ويقول ﷺ: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار»، قال أبو سعيد الخدري: يقول عمار (من يومها): أعوذ بالله من الفتن، فسيدنا عمار مع علمه أنه ليس مع الفئة الباغية وأنه من الجماعة الصائبة؛ إلا أنه كان يستعيذ بالله تعالى من الفتن، ولقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – على قول سيدنا عمار (أعوذ بالله من الفتن) قائلاً: فيه دليل على استحباب الاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء أنه متمسك فيها بالحق، لأنها قد تفضي إلى وقوع من لا يرى وقوعه[1]

وانتهى لقاؤنا الأول واتفقت مع هذا الأب الكريم أن يوافيني بالنتيجة والتطورات، لقد تركته وأنا مشفق عليه وعلى أسرته، متخوفًا من ردة فعل زوجته وابنته، داعيًا الله تعالى أن يلطف به وأن يوفقه.

(١) فتح الباري ٢/ ٨٩.

بعد شهر تقريبًا قابلت هذا الأب الكريم للمرة الثانية، وحينها قابلني بابتسامة الرضا، وحكى لي ما كان من حكايته، وأخبرني أن الله تعالى وفقه للحوار مع زوجته التي تفهمت كلامه وشكرت موقفه، ثم كلامه مع ابنته واتفاقه معها على طريقة ذكية لإخبار والدتها (التي أخبرها هو مسبقًا)، وكيف نفذا معًا تلك الحيلة، وانتهى الموقف بمزيد من الحب بين الزوج وزوجته، ومزيد من الثقة بين الأب وابنته، ومزيد من الحذر والحيطة مع المرأة صاحبة الفتنة، وكيف أنهم وضعوا خطة لإبعادها وقد نجحوا بالتعاون في تحقيق ذلك، ولقد أخبرني الأب الكريم أنهم في بداية المشكلة كان كمن يحملان جبلاً على صدره، لكنه نتيجة للمصارحة الحكيمة مع ابنته وزوجته أصبح أكثر قوة وصلابة في مواجهة تلك المشكلة، فكم هو صعب أن تواجه مشكلة عاصفة وحدك، وأنت خائف من الجبهة الداخلية في بيتك من أن تنهار، فالصراحة والحوار سبيلنا لبناء الثقة الأسرية... وانتهى لقاؤنا الثاني وتركت الرجل وأنا سعيد من أجله مرتاح لما آلت إليه الأمور.

ومرت الأيام، وبعد خمسة أشهر جاءني خبر مفاجئ، لقد توفيت زوجة هذا الرجل الكريم، فأسرعت إليه معزيًا وأنا من يعرف قصة الحب التي كانت بينه وبين زوجته والتي دامت أربعة عشر عامًا، وبعد العزاء وعدت الرجل بزيارة خاصة لمواساته ولنتكلم معًا عن المستقبل وكيف سيتعامل مع بناته الأربع، وللأسف انشغلت عنه كثيرًا وقصرت لكن ليس بإرادتي، وفي أول فرصة زرته في بيته، وتحدثت معه عما كان فيما مضى وخططه للمستقبل، فحكى لي لقاءه الأخير مع زوجته في المستشفى، وكيف أنها دخلت غرفة العمليات، ومكثت هناك ساعات طوالاً أعلن الأطباء خلالها أن الحالة خطيرة جدًّا، ونقل لها الأطباء ٢٢ كيسًا من الدم لكنها كانت تتكسر في جسمها وتنزل فورًا،

وبعد طول انتظار خرجت من غرفة العمليات بين الحياة والموت، وذهبوا إلى العناية المركزة، وذهب الرجل خلفها، كانت مستلقية وهي لا تزال مخدرة، الأجهزة تتصل بكل نواحي جسدها، كلمها الرجل ورغم التخدير أحست به، أشارت إليه أن ينزع الخرطوم من فمها وأشارت إلى السماء، تعني أنها ستموت فلا داعي لتلك الأجهزة، فقال لها: توقفي عن الدلع أنت بخير، فأشارت بيدها إلى السماء مؤكدة أنها ستموت، ثم أشارت بيدها أربع مرات تقصد بناتها، وهي تعني: انتبه للبنات من بعدي، ثم رفعت أصبع السبابة تتشهد، ثم.. فارقت الحياة.

هكذا كان اللقاء الأخير بينهما، أربعة عشر عامًا من الحب انتهت في تلك اللحظات الحزينة، كم يكون الفراق صعبًا عندما يتركنا من نحب ويمضي، ومع علمنا أننا سنلتقي بهم في الآخرة إن شاء الله تعالى؛ إلا أن فراق الأحبة بلاء عظيم.

لملم الأب الكريم جراحاته، واستكمل كلماته قائلاً: لقد مررت مع زوجتي - رحمها الله - بكل التجارب التي صهرتنا معًا، كنت في رحلتي التجارية بين الغنى والفقر، ذات يوم كنت معها نضع آلاف الجنيهات في كيس كبير لا نعرف عددها من كثرتها، وبعدها بشهرين ابتلينا بفقد التجارة حتى صرنا لا نملك« نصف جنيه» نشتري به خبزًا لبناتنا، ما اشتكت يومًا ولا جزعت، عاشت صابرة محتسبة شاكرة معطاءة.

استأذنتني يوم وفاتها أن تذهب إلى المسجد لتلقي هناك درسًا في النساء، حاولت إثناءها عن الفكرة لأسباب شتى لكنها أصرت قائلة: نحن مقبلون على شهر رمضان والنساء بحاجة إلى تذكرة، فوافقت بعدما علمت رغبتها الشديدة في ذلك، في عصر هذا اليوم دخلت المسجد وفي مسائه دخلت

المستشفى لتغادر الحياة هناك..

أمام كلمات الرجل لم أكن أمتلك إلا الصمت، كنت أخفي دموعه عنه بصعوبة بالغة، فأكمل حديثه قائلاً:

لقد شعر البنات بفراغ شديد بعد رحيل أمهن، تخيل أن ابنتي الصغرى (أربع سنوات ونصف) تجلس على الطعام وتلف خمارها بطريقة معينة وتقول لنا: أنا مثل ماما، هكذا تفعل على كل طعام، ذات يوم جاءتني ابنتى ذات العشر سنوات تبكي وتقول: زميلاتي يتحدثن عما تفعله لهن أمهاتهن، لماذا أخذ الله أمي أنا، كادت دموعها تعصف بي، لكنني كلمتها عن القدر وعن رحلة الحياة وأنها لقاء بميعاد وافتراق بميعاد، أحبب من شئت فإنك مفارقه لأنها سنة الله في الحياة، وروعة الآخرة أنه لا فراق فيها ولا أحزان، ولما كثر كلامها وكدت أنخرط في البكاء معها، قلت لها بإلهام من الله تعالى: قومي فتوضئي، وتوضأت أنا أيضًا، وصلينا ركعتين معا لنستعين بها على ما نحن فيه.

ولأن ابنتي هذه متفوقة في الإلقاء والشعر، فقد قررت معها أن تشترك في مهرجان خطابي شعري كبير، أعدت قصيدة رائعة عن الحرية وتدربت عليها جيدًا، وحانت اللحظة المنتظرة واستعدت ابنتي للخروج على المسرح لتلقي القصيدة، فتوقت فجأة وقالت لي: أنا خائفة يا بابا، فما كان من ابنتي الصغرى (أربع سنوات ونصف) إلا أن قالت لأختها:

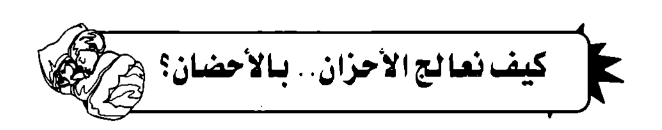
«انظري نحو السماء، ستجدين ماما تنظر إليك.. قولي لها هي فقط.. تحدثي معها وحدها.. فرّحي قلبها.. لا تشاهدي غيرها ولن تشعري بالخوف»، وكم كان لكلماتها مفعول السحر على أختها التي خرجت لتلقي القصيدة من أجل أمها التي تشاهدها هناك من بعيد من السماء حيث أرواح الأحبة.

يكمل صاحبي فيقول:

بعد وفاة زوجتي بفترة من الزمن جاءتني ابنتي ذات السبع سنوات يومًا فقالت: بابا، أتمنى أن نعود لنعيش أسرة كأيام زمان، كما كنا في حياة ماما، نجتمع كل مساء ونتناول الحلوى واللب، نضحك ونحكي عن الماضي والمستقبل، فأجبتها بابتسامة عريضة وحضن دافئ، بينما عجز لساني عن الكلام، لقد فضلت الصمت لأنني لو تكلمت لفضحتني دموعي.

بعد حوار مليء بالأحزان والأشواق ممزوج بالصبر والاحتساب، ذكرني الرجل ببداية قصتي معه، وما كان من قصة تلك المرأة معه قبل أشهر وكيف أخبر زوجته وابنته وتعاونوا على حل تلك المشكلة، ثم حكى لي موقفًا أذهلني، قال: بعد وفاة زوجتي بأيام، كنت أجلس مع ابنتي الكبرى نتذاكر ما كان من أفعال أمها الطيبة وندعو لها بالخير، إذ بها تفاجئني قائلة: فاكر يا بابا لما أخبرت أمي بشأن تلك المرأة السيئة، الحمد لله أنك أخبرتها قبل أن تموت، الحمد لله أنها يوم القيامة لن تتفاجأ بشيء لم تكن تعرفه عنك، الحمد لله أن ماما قد ماتت وهي تحبك..

لقد ظلت البنت متذكرة ذلك الموقف، شاكرة لأبيها أنه أشركها معه في إخبار أمها بما كان، مؤكدة على حبها لأبيها الذي ماتت أمها وهي تحبه.



كيف نعالج الأحزان.. بالأحضان؟

بماذا تشعر عندما يعانقك صديق أو حبيب؟
بماذا تشعر عندما يربت على كتفك والدك أو والدتك؟
بماذا تشعر عندما تعانق طفلك؟

لقد تكلم العلماء عن فوائد العناق فقالوا

يستطيع العناق أن يخفف من الإكتئاب، ويقوي جهاز المناعة، كما أن العناق ينشر عبير هواء الحياة المنعشة في الأجساد المرهقة ويجعلها تشعر بمزيد من النشاط والحيوية.

وعندما يربت أحدهم على كتفك ويعانقك يحدث زيادة لنسبة الهيموجلوبين في الدم بصورة ملحوظة، وحيث إن الهيموجلوبين هو المسئول عن إمداد القلب والمخ والجسم بالأكسجين اللازم للحياة فإنه يمكن اعتبار العناق مانحًا للحياة ومنقذًا لها، بالإضافة لكونه تعبيرًا رائعًا عن الحب والثقة(١)

فقدت جدها وجدتها.. فاكتشفت حبّ أمها

تقول إحدى الأمهات:

حينما كانت ابنتي الصغيرة في العاشرة من عمرها، وجدت نفسي شديدة

(١) قوة الذكاء الاجتماعي، ص ٣٤ (بتصرف).

القلق عليها؛ فقد كانت ابنتي مغرمة للغاية بجدها وجدتها اللذين كانا - بدورهما - شديدي التعلق بها، إلا أنهما توفيا واحدًا تلو الآخر في فترة زمنية قصيرة.

ولقد كانت هذه الخسارة الفادحة شديدة الوقع على أي شخص خاصة على طفلة، إلا أنها أثرت بشكل خاص في ابنتي بسبب طبيعتها الحساسة، فمنذ ذلك الحين وحتى بلغت العاشرة من عمرها كانت قد غرقت فيما يمكن أن أطلق عليه حالة من الإكتئاب، فعلى مدى عام كامل لم تبتسم إلا نادرًا، وكأنها تمضي في الحياة بلا هدف.

لم أكن أدري كيف أتصرف، وفي يوم من الأيام بعدما غادرت ابنتي إلى المدرسة، جلست في غرفة العائلة فوق أحد المقاعد الوثيرة، وتذكرت تلك الأحضان الدافئة التي تميزت بها عائلتي، فحينما كنت طفلة كان أبي وأمي وأجدادي وأعمامي وعماتي قد دأبوا على جذب الأطفال وإغراقهم في تلك الأحضان الدافئة، ومنذ أن تركت منزل العائلة وعند مصادفة أية مشكلة أستشعر هذا الدفء الذي كان يغمرني به أبي وأنا بين أحضانه، فتمتمت قائلة: «آه يا أبي ما الذي يمكن أن أفعله كي أساعد ابنتي؟» كدت أضحك بصوت مرتفع حينما داهمتني هذه الفكرة، فقد قرأت مؤخرًا عن أثر الأحضان في علاج الأمراض، أيمكن أن يكون هذا هو الحل؟ العلاج بالأحضان؟ وهل سينفع هذا العلاج مع ابنتي؟

وبما أنه لم يكن قد بقي أمامي سوى هذا الحل، فقد قررت أن أحتضنها قدر المستطاع، ولكن دون أن أشعرها أنني أتعمد ذلك.

وبدأت حالة ابنتي تتحسن شيئًا فشيئًا على مدى الأسابيع التالية؛ إذ بدت أكثر هدوءًا وابتهاجًا، وبدأ الابتسام يعرف طريقه إلى وجهها، ذلك الابتسام

الحقيقي الذي كان يضيء عينيها وفمها، وبدأت تعمل وتلعب بمزيد من الحماس، ولم تمضِ إلا شهور قليلة حتى هزمت الأحضان الإكتئاب.

إنني لم أصرح يومًا لابنتي أبدًا عن تلك الإستراتيجية، لكنها أدركت بمنتهى الوضوح مدى أهمية هذه الأحضان، فكانت كلما شعرت بالارتباك أو عدم الثقة أو بشيء من الإحباط تأوي إلى أحضاني، كما أنها كلما لاحظت أنني حزينة أو متوترة تبادرني قائلة: «يبدو أنك بحاجة إلى حضن»، وهكذا كنا نزلل كل الصعاب، ونواجه كل الأوقات العصيبة(١)

ابنة أختي وحضن المساء

يقول أحد الآباء:

كنت أزور أختي يومًا، واكتشفت أن علاقتها بابنتها ذات الأربع سنوات سيئة للغاية، فاقترحت عليها أن ترفق بالصغيرة، واتفقت معها أن تحتضن الصغيرة بحب وحنان مرة يوميًا قبل النوم، حتى تختم الصغيرة نومها بحضن جميل من أمها الحبيبة، وبدأت أختي تطبق الفكرة بانتظام، وبدأت ابنتها تهدأ كثيرًا، وصارت العلاقة بينهما أفضل، وذات يوم كانت أختي متعبة جدًّا، فقالت لها ابنتها: أنا ذاهبة للنوم يا ماما، فردت الأم بصوت متعب: مع السلامة، فقالت البنت: ألن تعطيني حضن كل يوم؟ فقالت الأم: لا أنا متعبة، فسكتت البنت قليلاً ثم قالت: سأخبر خالي أنك لم تعطيني حضن هذا اليوم... هنا شعرت الأم بالحرج الشديد، فأخذت ابنتها في حضنها وقبلتها، وانصرفت البنت للنوم فرحانة، أما أمها فتقول: في هذه المرة اكتشفت أن الحضن ليس علاجًا لأحزان ابنتي فقط، بل إنه علاج لتعبي وأحزاني أنا أيضا، فالحضن علاج مزدوج للبنت وأمها..

---

(١) شوربة دجاج لحياة الأمهات، ص ٤٨، ٤٩ (باختصار وتصرف).

وهنا تقول إحدى الأمهات:

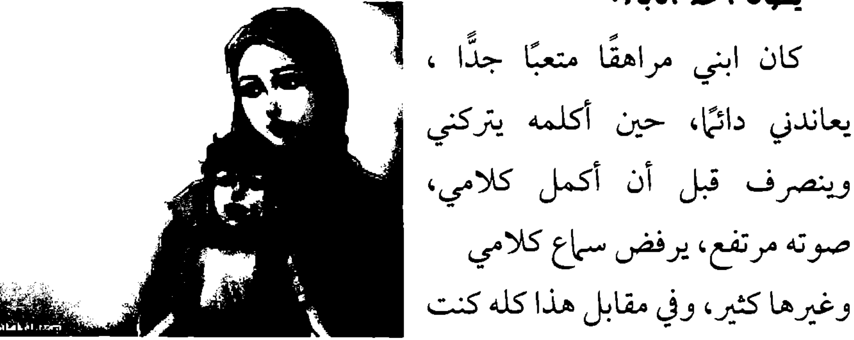
في يوم زفافي، أوصتني أمي وصية جميلة، قالت:

عندما يرزقك الله تعالى بالأطفال، استمتعي بالحياة معهم لأنهم كنز لا يقدر بثمن، وكلما وجدت نفسك حزينة، هاتي طفلك الرضيع واحضنيه واضعة خدك على خده الصغير، عندها ستشعرين أن كل هموم الحياة تزول... ثم قالت أمي: لقد جربت هذه الفكرة معكم وأنتم أطفال، وفي أحضانكم البريئة كنت أشعر أنني أملك أغلى شيء في الدنيا، كنت أشعر عندما أضع خدي على خدك أن هموم الحياة كلها تنتهي...

والله لقد جربت وصية أمي لمدة سبعة عشر عامًا، كنت كلما أحزن أتيت بطفلي الرضيع أو الصغير وأحضنه واضعة خدي على خده، ولقد صدقت أمي... ففي حضن أبنائي تزول كل الأحزان..

قبلة واحدة غيرت حياة ابني المراهق

يقول أحد الآباء:



كان ابني مراهقًا متعبًا جدًّا، يعاندني دائمًا، حين أكلمه يتركني وينصرف قبل أن أكمل كلامي، صوته مرتفع، يرفض سماع كلامي وغيرها كثير، وفي مقابل هذا كله كنت أعامله بقسوة، وأصفه بكل ما هو سيء، مما يزيد النار اشتعالا، ويزيد أخلاقه سوءًا ... دون أن أشعر، ونتيجة لهذا الجو المشحون كان ابني يرسب في دراسته الجامعية (كلية الحقوق)، وذات ليلة مررت على غرفته فطرقت الباب برفق ودخلت، فوجدته نائمًا وليس عليه غطاء والجو بارد، فقمت بتغطيته وقبلته في

جبينه، وخرجت من الحجرة وأنا على يقين أنه نائم..

وبعدها بدأت ألاحظ تغيرًا عجيبًا على هذا الابن، لقد بدأ يهدأ ويقترب مني أكثر، وبدأ ينجح في دراسته، وتحسنت أحواله كثيرًا منذ تلك الليلة، كنت أحمد الله كثيرًا على هذا التحسن، لكنني كنت أتعجب منه متسائلاً عن سببه، وذات يوم قلت لابني: كم أنا سعيد من ظهور الخير الذي في داخلك وصلاح حالك، فقال: أنت يا أبي من سبقت بالخير، أتذكر يوم أن دخلت ووضعت علي الغطاء وقبلتني، إنني ساعتها لم أكن نائمًا، لقد كنت أتظاهر بأنني نائم لأهرب من توبيخك وعتابك، لكنني فوجئت يومها أنك ما زلت تحبني، فقررت أن أتغير..

ومرت الأيام، وابني هذا اليوم متزوج ولديه أطفال، وأصبح محاميًا مرموقًا ورجلاً يفتخر الجميع بمعرفته.

المراجـــــع

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي أبو عبد الله، ت٦٧١ هـ، دار الشعب (القاهرة)، ط٢، ١٣٧٢هـ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفدا، ت ٧٧٤ هـ، ١٤٠١ هـ، دار الفكر (بيروت).

(٣) معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ت ٣١٠ هـ، دار الفكر (بيروت) ١٤٠٥هـ.

(٥) عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٦) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت ٢٥٦هـ، دار ابن كثير - اليمامة (بيروت)، ط ٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٧) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القسيري النيسابوري، ت ٢٦١ هـ، دار إحياء التراث (بيروت)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

(٨) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت ٣٥٤ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ت ٢٤١ هـ، مؤسسة قرطبة (مصر).

(١٠) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت ٢٧٩ هـ، دار

إحياء التراث (بيروت)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

(١١) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.

(١٢) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي ت ١٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي (مصر)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٣) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ت ٢٧٥هـ، دار الفكر (بيروت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٤) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ت ٣٠٣ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، تحقيق: د عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

(١٥) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ت ٣٠٧ هـ، دار المأمون للتراث (دمشق) الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م، تحقيق: حسين سليم أسد.

سنن البيهقي الكبري، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

( ) البحر الزخار المسمى مسند البزار، أبو بكر بن العتكي البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١

(١٨) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ، دار الفكر (بيروت)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

(١٩) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ٣٦٠ هـ، مكتبة العلوم والحكم (الموصل)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

(٢٠) سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ت ٢٥٥هـ، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع

العلمي.
(٢١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ.
(٢٢) المصنف لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة أبو بكر، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة - مؤسسة علوم القرآن، جدة - دمشق، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
(٢٣) الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي - عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
(٢٤) مسند أحمد، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر وحمزة الزين ، دار الحديث، ط ١ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
(٢٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٢ / ٥٧٤، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
(٢٦) صحيح سنن أبي داود باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
(٢٧) صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
(٢٨) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف (الرياض)، ط ١
(٢٩) ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
(٣٠) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد بن ناصر الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(٣١) صحيح سنن الترمذي باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(٣٢) صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ.
(٣٣) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ١٤٢١ هـ.

(٣٤) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط ٥.

(٣٥) صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي - محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٣٦) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣٧) صحيح موارد الظمآن على زوائد ابن حبان – للهيثمي، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

(٣٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢ هـ، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٩٧ هـ

(٣٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٤٠) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ت٦٧٦ هـ، دار إحياء التراث (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.

(٤١) عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط ٢، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

(٤٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري (ت١٤٠٤هـ)، تحقيق: جمال العيتاني، دار الفكر، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٤٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

(٤٤) شرح سنن ابن ماجة، أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي، دار الجيل بيروت.

(٤٥) المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١ هـ، المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

(٤٦) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، عبدالرءوف المناوي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

(٤٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٤٨) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ت ٦٢٠ هـ، دار الفكر (بيروت) الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ، دار الجيل (بيروت) ١٩٧٣م.

فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية، علي بن سلطان القاري الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - سلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

(٥١) الكلم الطيب، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٥٢) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

(٥٣) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٨، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(٥٤) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير - محمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، دار المناهج، ١٤٢٦ هـ.

(٥٥) مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٥٦) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله، ت ٧٤٨ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٩، ١٤١٣ هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

(٥٧) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ت ٧٧٤هـ، مكتبة

المعارف (بيروت).

(٥٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

(٥٩) تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

(٦٠) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧ هـ.

(٦١) الأئمة الأربعة (أبو حنيفة - مالك - الشافعي - ابن حنبل)، د مصطفى الشكعة، دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى، القاهرة ١٩٩١م.

(٦٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للإمام المحدث الفقيه القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصميري المتوفي ٤٣٦ هـ، عالم الكتب بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٦٣) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، بهاء الدين بن شداد، تحقيق: جمال الدين الشيّال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

(٦٤) أخبار القضاة، أبو بكر محمد بن خلف البغدادي الملقب بـ «وكيع»، تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠١ م

(٦٥) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(٤٦٣ هـ)، ابن عبد البر تحقيق: أبو الأشبال الزهيري ت٤٦٣ هـ: دار ابن الجوزي - الدمام، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٦٦) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٦٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد بن محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.

(٦٨) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، الإمام العز بن عبد السلام، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ٢٠٠٦ م.

٦٩) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٧٠) الآداب الشرعية والمنح المرعية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، دار ابن حزم، ٢٠٠٥ م.

(٧١) مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (المعروف باين قيم الجوزية) ت ٧٥١ هـ، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.

(٧٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٩ م.

(٧٣) المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان بن محمد الدينوري أبو بكر القاضي (ت ٣٣٣ هـ)، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، ١٤١٩ هـ.

(٧٤) جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيرى، دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٧٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

(٧٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(٧٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٧٨) أخلاق العلماء، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري - عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٧٩) شرف أصحاب الحديث، أحمد علي ثابت الخطيب البغدادي، محمد سعيد خطيب أوغلي، كلية الإليهات - جامعة أنقرة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

(٨٠) اقتضاء العلم العمل، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(٨١) حسن الظن بالله، عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق: عبد الحميد شانوحه، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٨٢) العيال، عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

(٨٣) العقد الفريد، شهاب الدين احمدابن عبد ربه الاندلسي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

(٨٤) شرح التبصرة والتذكرة، عبد الرحيم الحسين العراقي، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٨٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت ٧١١ هـ، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

(٨٦) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٧٢١ هـ، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.

(٨٧) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٨٨) أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية، ازدهار بنت محمود بنت صابر المدني، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٨٩) التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣.

(٩٠) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار السلام - دار الوراق، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.

(٩١) العشرة الطيبة مع الأولاد و تربيتهم، محمد حسين، دار التوزيع والنشر الإسلامية (مصر)، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

(٩٢) طاعة الوالدين متى تجب على الأبناء؟ ومتى لا تجب؟ الأمين الحاج محمد أحمد، دار الصفوة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٩٣) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ستيفن ر. كوفي، مكتبة جرير، ط ٣، ٢٠٠٥م.

(٩٤) قوة الذكاء الاجتماعي (عشر طرق لتحقيق أقصى استفادة من ذكائك الاجتماعي)، توني بوزان، مكتبة جرير، ٢٠٠٥ م.

(٩٥) كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصدقاء، ديل كارنيجي، مكتبة جرير، ط ٨، ٢٠٠٧م.

(٩٦) كيف تنشئ طفلاً يتمتع بذكاء عاطفي، لورانس إ. شابيرو، ف، د، مكتبة جرير، ٢٠٠٧ م.

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات

الفهرس

من اليوم
لن تنام حزينا يابني

